صفحات جديدة من التاريخ الإسلامي

الدولة العباسية

دراسة في سياستها الداخلية

من أوائل القرن الثاني الهجري حتى ظهور السلاجقة

أ. د. بدر عبد الرحمن محمد

أستاذ التاريخ الإسلامى

كلية الآداب ـ بنهـــا







٢ شارع امتداد رمسيس (١) ـ مدينة نصر ـ القاهرة

تليفاكس: ٢٤٠٢٤٦١٢ـ٢٤٠٥١٤٩٨

e. mail: af _ madkour @ yahoo . com

الطبعة الأولى: ٢٠١٢ م/ ١٤٣٣ هـ

رقم الإيداع: ٢٠٨٨٦ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى: ٦ـ٠٥٥ـ٤٩٥ـ٩٧٧ـ٩٧٨

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فهذا الكتاب يتناول الدولة العباسية: "دراسة فى سياستها الداخلية من أوائل القرن الثانى الهجرى حتى ظهور السلاجقة"؛ يتجلى فيه جذور الدعوة العباسية وجهود العباسيين لنقل الخلافة إليهم، معتمدين فى ذلك على العناصر الفارسية فى الكوفة وخراسان.

وعلى الرغم مما قام به الموالى الفرس من جهد كبير فى مساندة الدولة العباسية، فلم يلبث الخلفاء العباسيون أن نكلوا بقيادتهم التى تمثلت فى أبى سلمة الخلال وأبى مسلم الخراسانى، وكان ذلك فى عهد أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور.

وظهرت مشكلة ولاية العهد أيام أبى جعفر المنصور؛ إذ عزَّ على أبى جعفر أن يؤول ذلك الملك الواسع إلى ابن أخيه عيسى بن موسى، فمهد لخلع عيسى بن موسى وتعيين ابنه المهدى وليًّا لعهده، وسار المنصور فى ذلك على ترغيب عيسى بن موسى فى أن يخلع نفسه من ولاية العهد طواعية، فلما لم يستجب اتجه إلى دور الترهيب حتى أذعن عيسى بن موسى فى النهاية ونزل عن ولاية العهد للمهدى.

وظهر الدور الفارسى فى الدولة العباسية أيام هارون الرشيد؛ حيث ظهرت أسرة البرامكة التى استبدت بالأمور دون الخليفة، وسيطروا على مرافق الدولة ومواردها المالية بحيث كان هارون الرشيد يطلب أقل القليل من المال، فلا يصل إليه، بينما تلقى الأموال من موكب يحيى بن خالد البرمكى مما حدا بالخليفة إلى أن ينكبهم ويقضى على أسرتهم.

ولم يلبث أن نشب الصراع بين الأمين وأخيه المأمون فى محاولة من جانب الأمين للنزول عن ولاية العهد من قبل المأمون لابن الأمين، ولم يلبث أن تطور الصراع بين الأخوين على ولاية العهد إلى صراع بين العنصر العربى والعنصر الفارسى؛ إذ وقف الفضل بن الربيع إلى جوار الأمين، بينما وقف الفضل بن سهل إلى جوار المأمون، وانتهت الفتنة بقتل الأمين وتولية المأمون.

وما لبثت الثورات أن قامت فى عهد المأمون، وأهمها ثورة الزط التى استمرت إلى أيام الخليفة المعتصم، الذى وجه عجيف بن عنبسة لحربهم سنة 219هـ/824-825م، فحاربهم تسعة أشهر حتى أرغمهم على طلب الأمان فأسرهم وحملهم فى المراكب ودخل بهم بغداد إلى خانقين ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة، وظلوا هناك إلى أن أسرهم الروم سنة 241هـ/855-856م.

وفى عهد الخليفة المعتصم أسقط العرب من ديوان العطاء، وهو ما يعنى اعتماد الخلفاء العباسيين فى قوة الدولة العسكرية على العنصر غير العربى، الأمر الذى أدى إلى ظهور عنصر الأتراك الذين تفاقم خطرهم أيام المعتصم مما حدا به إلى اختيار حاضرة جديدة بدلًا من بغداد، فأسس مدينة سامرا وجعلها حاضرة خلافته الجديدة.

وازداد خطر الأتراك فى عهد الواثق (227-232هـ/842-847م) ابن المعتصم الذى اقتدى بأبيه فى الاعتماد على الأتراك، الذين كثر عددهم وشغلوا المناصب العالية فى الدولة، فولى أشناس التركى السلطة وألبسه تاجًا مرصعًا بالجواهر.

وكان من أثر وقوف طاهر بن الحسين إلى جوار الخليفة المأمون أن ولاه خراسان فكان ذلك بداية ظهور الدولة الطاهرية، وأشرنا إلى سياسة طاهر بن الحسين فى الحكم، ثم عرضنا لخلفاء طاهر بن الحسين، ومنهم ابنه عبد الله بن طاهر الذى ولاه المأمون مصر بعد أن انتصر على نصر بن شبث العقيلى، ثم سار بعد ذلك إلى خراسان حيث استمر يليها بعد وفاة المأمون.

بعد ذلك عرضنا لعلاقة عبد الله بن طاهر والمازيار بن قارن، ثم تناولنا ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر بعد وفاة أبيه، ثم أفول نجم الطاهريين.

وفى حديثنا عن الدولة الصفارية (254-290هـ/867-903م) أشرنا إلى يعقوب بن الليث الصفار وموقفه من الخلافة العباسية إلى أن توفى وخلفه أخوه عمرو بن الليث

الصفار الذى سار على سياسة مغايرة لسياسة أخيه يعقوب؛ إذ هادن الخلافة العباسية، غير أن الخلافة لم تنس لهذه الدولة وما حدث لها من حرج على يد يعقوب بن الليث الصفار الذى انتهز ثورة الزنج فى جنوب العراق وحاول إرغام الخلافة على الإذعان لسلطانه على سجستان، ولم تنس ذلك حتى لأخيه عمرو الذى هادنها وتمكنت من القضاء عليه بواسطة إسماعيل بن أحمد السامانى.

أما عن حركة الزنج وموقف الخلافة العباسية منها، فقد تناولنا جذور هذه الحركة مشيرين إلى حالة الخلافة العباسية من أيام الخليفة المتوكل إلى أيام المعتمد بن المتوكل الذى تولى بعد مقتل الخليفة المهتدى فى حرب سنة 256هـ/ يونية 870م، وأشرنا إلى نسب صاحب الزنج وبداية ظهوره فى البصرة، وطبيعة حركة الزنج وبرنامجها فى طورها الأول (255-261هـ/868-874م)، ثم بداية حركتهم فى عهد الخليفة المهتدى بالله (255-256هـ/868-869م) وبناء صاحب الزنج مدينة المختارة، واستنجاد أهل البصرة بالخلافة، واحتلال الزنج الأبله وعبادان والهواز.

لقد حاول الزنج أن يوسعوا من تأثير حركتهم بالاتصال بالصفاريين فى سجستان، ورغم أن الصفاريين كانوا خارجين على سلطان الخلافة، فإنهم لم يستجيبوا لهم؛ لأنهم سُنَّة وصاحب الزنج شيعى المذهب.

وظهر تأثير حركة الزنج على العلاقة بين الخلافة العباسية وأحمد بن طولون والى مصر والشام، إذ طلب الموفق أخو الخليفة المعتمد وولى عهده الأموال من ابن طولون لحرب الزنج، فلم يستجب إلا بما تسمح به أطماعه فى إقامة ملك وراثى لأسرته فى مصر والشام، فقامت الحرب بين الطرفين.

ولم تلبث حركة الزنج أن ضعفت بعد بناء الموفق لمدينة الموفقية وتمكنه من إحكام الحصار حول صاحب الزنج وأتباعه، الذين لم يلبثوا أن تساقطوا واحدًا بعد الآخر بعد الإغراءات التى منحتها الخلافة لمن استسلم لها من قادة الزنج، مما أدى إلى انصراف قادة صاحب الزنج عنه ومقتله سنة 270هـ/883م.

وختمنا البحث بالحديث عن ضعف سلطة الوزراء أواخر القرن الثالث الهجرى نتيجة ازدياد نفوذ الأتراك وضعف الخلافة؛ مما أدى إلى انتشار الفوضى والرشوة والمحسوبية وبيع المناصب الحكومية.

وفى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ظهر بنو بويه (334-447هـ) نتيجة استفحال نفوذ الأتراك وضعف الخلافة العباسية، كما ظهر الحمدانيون فى منطقة الجزيرة منذ سنة 281هـ/894م واستمرت دولتهم فى الموصل حتى سنة 498هـ. وفى خراسان وما وراء النهر ظهرت الدولة السامانية، التى كان من أثر ظهورها مدُّ النفوذ العباسى إلى أواسط آسيا، غير أن تنافس أمراء السامانيين وتدخل الوزراء وقادة الجيش فى شئون الحكم أدى إلى انقراض الدولة السامانية التى استمرت قرابة مائة وخمسة وأربعين عامًا (261-395هـ/874-1005م).

وقامت على أنقاض دولة السامانيين الدولة الغزنوية فى بلاد المشرق الإسلامى، والتى مدت نفوذها إلى الولايات الشرقية منذ أيام سبكتكين إلى أن سقطت تحت ضربات السلاجقة فى موقعة داندانقان سنة 431هـ/1040م. وانتهى بذلك عصرها الذهبى فى المشرق الإسلامى حيث انسحب سلاطين الغزنويين إلى بلاد الهند واستمروا هناك إلى أن زالت دولتهم على يد شهاب الدين الغورى سنة 582هـ/1186م.

والله نسأل أن يوفقنا إلى إلقاء مزيد من الضوء على التاريخ والحضارة الإسلامية.

والله من وراء القصد.

أ.د/ بدر عبد الرحمن محمد

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

من قيام ولتهم إلى نهاية القرن الثالث الهجرى

جذور الدعوة العباسية وجهود العباسيين لنقل الخلافة إليهم:

لم يدعُ أحد من العباسيين لنفسه بالخلافة طيلة القرن الأول الهجرى، بل اقتصر الأمر على شيعة على بن أبى طالب[1]، الذين رأوا أنهم أصحاب الحق الشرعى فى الخلافة. وناهضوا الأمويين الذين اعتمدوا على القوة فى سبيل توطيد نفوذهم وجعل الخلافة وراثية فى أسرتهم[2].

أصبحت الأحوال السياسية فى بداية القرن الثانى الهجرى تنبئ بحدوث انقلاب فى الدولة العربية فكثر أنصار الخوارج[3] والشيعة[4]، وقوى حزباهما، بينما أخذ حزب بنى

---

(1) يذهب بعض المؤرخين إلى أن العباسيين الأوائل لم يكن لهم طموح سياسى فى صدر الإسلام، ويدللون على ذلك بأن العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وجَدّ العباسيين كان يرشح على بن أبى طالب للخلافة ويقدمه على نفسه، ويزيدون فى ذلك أن عبد الله بن العباس كان هو الآخر يؤيد على بن أبى طالب حتى إذا ما اغتيل أيضًا انصاع ابن عباس للأمويين وبايعهم بالخلافة واعتزل السياسة وتفرغ للعلم. (حسين عطوان: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ص481-482 بيروت، 1984م، محمد بركات البيلى: دراسات فى تاريخ الدولة العباسية، ص5، 1985-1986م).

(2) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية فى الدولة العربية، ص171، دار الفكر العربى، الطبعة الرابعة، 1393هـ/1973م.

(3) الخوارج: هم الذين خرجوا على على بن أبى طالب ورفضوا قبولهم التحكيم فى موقعة صفين، وغلبت عليهم تسمية الخوارج لأنهم خرجوا من الكوفة صوب الأقاليم الشرقية، وكان الخوارج أول الأمر حزبًا سياسيًّا لا يعدو بحثه مسألة الخلافة وما يتصل بها، وكانوا يقولون بصحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فى سنيه الأولى، وعلى إلى أن حكم الحكمين، وقد خرجوا على تقاليد الخلافة فجعلوها حقًّا لكل عربى حر، فلما انضم بعض المسلمين من غير العرب جعلوا حق الإمامة لكل مسلم يتصف بالصفات الحسنة وخالفوا بذلك نظرية الشيعة التى تحصر الخلافة فى بيت النبى ﷺ، كما خالفوا أهل السنة القائلين بأن الخلافة فى قريش. (حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ1، ص397، الطبعة التاسعة، سنة 1979م).

(4) بدأت هذه الفرقة فى الظهور منذ مقتل عثمان بن عفان وعرفوا بذلك لمشايعتهم على بن أبى طالب وقدموه على سائر الصحابة لاعتقادهم بأحقيته فى الخلافة وأن أبا بكر وعمر وعثمان أخذوا حق =

أمية فى الضعف وانقسم البيت المالك على نفسه انقسامًا عنيفًا، فقد وقعت الحرب بين الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125هـ/743م) يناصره العنصر المضرى، وبين يزيد بن الوليد بن عبد الملك يناصره العنصر اليمنى، وانتهى الأمر بقتل الوليد بن يزيد فى جمادى الآخرة سنة 126هـ/مارس – إبريل 744م، مما أدى إلى عودة العرب إلى عصبية الجاهلية الأولى وظهور الشحناء والبغضاء بينهم، ومن ثم لم يبقَ للأمويين سند قوى يساعدهم على تثبيت سلطانهم، هذا فضلًا عن تعذر اعتمادهم على غير العرب من المسلمين الذين كانوا إذ ذاك ساخطين على الحكم الأموي[1].

ولا شك أن فساد الأحوال فى الدولة الأموية شجع العباسيين على التطلع إلى نيل الحكم، مع أنه ليس لهم حق شرعى فيه كالعلويين أو قوة كالأمويين؛ إذ وجدوا فى الوقت الذى وهن فيه الأمويون وأنهك فيه العلويون أنفسهم بالثورات، أن الجو أصبح ملائمًا لنشر دعوتهم ورأوا أنه لا بد من التذرع ببعض الأسانيد الشرعية قبل أن يقدموا على العمل لنقل الخلافة إليهم، فأذاعوا بين الناس أنهم من سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبى r ، كما أذاعوا أن الخلافة تصير إلى العم إذا يكن هناك وارث ذكر. وهكذا نظروا إلى الخلافة كأنها تركة تركها النبى r وتطبق عليها أحكام الميراث[2].

على أنه مما يجدر ذكره أن العباس بن عبد المطلب لم يكن له نفوذ كبير فى الإسلام بدليل أنه بعد وفاة الرسول لم نسمع له ذكرًا مهمًّا، وتشير بعض الروايات إلى اهتمامه فقط بتولية ابن أخيه على بن أبى طالب إذ قال له: "امدد يدك لنبايعك"، وهذا يدل على أنه لم يكن له أى طموح فى الخلافة[3].

وتُوفى العباس فى سنة 32هـ/652-653م فى خلافة عثمان بن عفان وكان سنه ثمانى وثمانين سنة وقد أعقب أولادًا كثيرين نذكر منهم ابنه الثانى عبد الله بن العباس، وكان شخصية علمية فريدة معروفة لدى الأدباء والعلماء واللغويين؛ إذ كان يؤخذ عنه الحديث

= الإمامة المقدس من على، ولم تعترف الشيعة بحق بنى أمية فى الخلافة حتى بعد أن نزل الحسن بن على بن أبى طالب عن الخلافة. (أحمد أمين: فجر الإسلام، ص268، الطبعة الثالثة، 1935م).

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ4، ص264، بيروت.

(2) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية فى الدولة العربية، ص172.

(3) أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، ص18، دار النهضة العربية، بيروت.

وتفسير القرآن، ولم يكن عبد الله يطمع فى الخلافة لإيمانه القوى بحق على بن أبى طالب فيها ولهذا انضم إليه وأيده وولَّاه على بن أبى طالب البصرة وأعمالها. وبعد مقتل على ترك البصرة ورحل إلى الحجاز حيث أقام بالطائف مسالمًا للأمويين إلى أن توفى فى خلافة عبد الملك بن مروان سنة 68هـ/687-688م، ولقد أنجب عبد الله بن العباس ولدًا أسماه عليًّا لأنه ولد فى نفس الليلة التى قُتل فيها الإمام على سنة 40هـ/661م.

وكان على بن عبد الله بن العباس شخصية غامضة غير واضحة كوضوح شخصية أبيه، ونعلم أن الأمويين استدعوه إلى الشام أيام الخليفة عبد الملك بن مروان وأقطعوه قرية فى البلقاء بشرق الأردن اسمها الحميمة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة[1].

وعاش العباسيون فى الحميمة منذ سنة 95هـ، وكان زعيمهم على بن عبد الله بن العباس يتطلع للزعامة السياسية بعد أن خلا المجال السياسى من العناصر العلوية القوية[2]؛ فأصبح علىٌّ هذا رئيسًا للعباسيين من سنة 100هـ إلى سنة 117هـ/718-735م، وهو منظم الدعوة والدعاة فى العراق وخراسان[3].

كذلك استطاع العباسيون أن يكسبوا ولاء الكيسانية[4] (أنصار أبى هاشم) لهم فيقال

---

(1) ولعل اهتمام الأمويين بهذا المكان بالذات راجع إلى غرض سياسى أساسه الشك والتوجس فى نوايا هؤلاء القوم فجعلوهم تحت إشرافهم ورقابتهم بالشام. (أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، ص19).

(2) توفى زين العابدين على بن الحسن سنة 94هـ، ومات أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية سنة 98هـ. (على حبيبة: العباسيون فى التاريخ، ص30، مكتبة الشباب، 1980م).

(3) المرجع السابق، ص30، حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص15، دار الفكر العربى، بدون تاريخ.

(4) الكيسانية: من فرق الشيعة وهى إحدى عشرة فرقة، وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية، وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته، ومنهم من زعم أنه لم يمت وأنه حى فى جبل رضوى، وإنما سموا كيسانية لأن المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى خرج وطالب بدم الحسين بن على ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له "كيسان". انظر: الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ1، ص78، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص27-28. سامية توفيق عبد الله: الحياة السياسية فى خراسان فى القرنين الأول والثانى الهجريين، رسالة دكتوراه، آداب القاهرة.

إن أبا هاشم بن محمد بن على بن أبى طالب ـ وكان فصيح اللسان حاضر الذهن، بحيث خافه سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م) فدس له مَن سمه[1]، وهو فى طريقه إلى إقليم الشراة بين الشام والحجاز – لما أحس بدنو أجله عرج على الحميمة حيث كان يقيم محمد بن على بن عبد الله بن العباس وأفضى إليه بأسرار الدعوة الهاشمية وأمده بكتب يسلمها إلى داعى دعاته فى الكوفة ومن يليه من الدعاة ونزل له عن حقه فى الإمامة وأوصى[2] بأن تكون لابنه إبراهيم بن محمد الملقب بالإمام من بعده[3]، وبهذا تحول حق الإمامة من بيت على إلى بيت العباس بمقتضى وصية أبى هاشم.

ولكن ما الذى حدا بأبى هاشم أن يحول الخلافة إلى بنى عمه ويترك بنى أبيه من العلويين على كثرتهم وعلو شرفهم؟

وللإجابة عن ذلك نقول إنه ربما كان ذلك راجعًا إلى الاختلاف بين مبادئ الكيسانية شيعة أبى هاشم[4] وبين الإمامية شيعة أولاد فاطمة. على أن هناك مسألة جديرة بالملاحظة، وهى أن نزول أبى هاشم بن محمد بن الحنفية لا يمكن أن يعتبر نزولًا من العلويين جميعًا لأن فريقًا كبيرًا منهم ظل متمسكًا بعقائد الشيعة الإمامية، بدليل قيامهم فى وجه العباسيين بعد قيام دولتهم[5].

ابتدأت الدعوة العباسية على يد محمد بن عبد الله بن العباس وكان أرشد القوم رأيًا وأرجحهم عقلًا، ورأى أن نقل السلطان من البيت الأموى إلى البيت العباسى لا بد أن يسبقه إعداد أفكار الأمة لهذا الانتقال الذى يجب أن يتم بتؤدة وأناة وحزم فى ذات

---

(1) بلبن مسموم، انظر: تاريخ اليعقوبى، جـ3، ص40، ابن الأثير: الكامل، جـ4، ص195، بيروت.

(2) ابن الأثير: الكامل، جـ4، ص195، ويذكر اليعقوبى، (جـ3، ص42، طبعة النجف) أن أبا هاشم أوصى لمحمد بن على فقال له: "... واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذى أكبر منه".

(3) المسعودى: التنبيه والإشراف، جـ8، ص238، طبعة دى غويه، ابن الأثير: الكامل، جـ4، ص159.

(4) سمى بابن الحنفية لأن أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفى، كانت من عرب بنى حنيفة، وهم فرع من بكر بن وائل العدنانية، وكانت منازل بنى حنيفة فى اليمامة. أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، ص19، هامش(1).

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص21.

الوقت، فعهد إلى شيعته أن يؤلفوا منهم دعاة يدعون الناس إلى ولاية أهل البيت، وكان يقول: "لنا ثلاثة أوقات: موت يزيد بن معاوية، ورأس المائة، وفتق بإفريقية فعند ذلك يدعو لنا دعاة ثم يقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب"، فلما قتل يزيد بن أبى مسلم بإفريقية وتعصب البربر، بعث محمد الإمام رجلًا إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ولا يسمى أحدًا[1]، ورأوا أن أحسن منطقة يبثون فيها الدعوة الكوفة وخراسان. أما الكوفة فهى مهد التشيع لآل البيت من قديم[2] فيمكن أن يأووا إليها ويجعلوها نقطة مواصلاتهم، وأما خراسان فسهولة الدعوة فيها مبنية على أمرين: الأول أن فكرة التشيع يفهمها الخراسانى من المسلمين بسهولة، لأن مؤدها نقل الخلافة إلى بيت النبى r . وذلك قريب مما كان عندهم من الملك الذى يتوارثه أهل بيته ولا يجوز نقله إلى غير بيت الملك إلا إن كان عن اختلاس. الأمر الثانى: أن البلاد الفارسية كانت ذات تاريخ وملك قديمين، ولذلك فائدة كبيرة، فقد تاقت نفوس الموالى من الفرس إلى التخلص من حكم الأمويين لما ارتكبوه من وسائل العنف فى قمع ثورات العلويين ومالوا إلى نصرة بنى هاشم، فقد اعتقد هؤلاء الموالى أن اعتناقهم الإسلام لم يسوِّ بينهم وبين العرب. ولا غرو فإن المسلمين من غير العرب قد ألحقوا بعد اعتناقهم الإسلام ببعض القبائل العربية ليكونوا موالى القبائل، ونظر العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب إلى هؤلاء الموالى نظرة الاحتقار لامتهانهم طبقات العمال الذين نشأ منهم الموالى، هذا فضلًا عن أن العنصر العربى كان بينهم هو صاحب الكلمة العليا والنفوذ السائد ولا يتولى مَن ليس منهم شيئًا من الولايات العامة، فكان أهل فارس مستعدين لأن يقوموا بتغيير الدولة الحاضرة، وإخراج الخلافة إلى الدولة المستقبلة كى يكون لهم فيها حظ أحسن من حظهم فى دولة بنى أمية[3].

---

(1) البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف، جـ3 ،ص28. الذهبى: مخطوط سير أعلام النبلاء، جـ5، ص42. أما يزيد بن أبى مسلم الثقفى فإنه توفى سنة 102هـ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل للحجاج. انظر: ابن الأبار: أعتاب الكتاب، ص57، تحقيق صالح الأشقر، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م.

(2) يذكر المقدسى ما ورد فى خطبة من إحدى خطب محمد بن على العباسى قوله: "أما الكوفة وسوادها فشيعة علي". (أحسن التقاسيم، ص293-294).

(3) بدر عبد الرحمن: الدولة العباسية دراسة فى سياستها الداخلية، ص10-11.

بدأت الدعوة السرية فى أوائل القرن الثانى للهجرة[1] من الحميمة التى اتخذها العباسيون مركزًا لنشر دعوتهم، وذلك فى عهد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/171-720م)[2]، وأظهر الدعاة العباسيون حماسة شديدة لنشر دعوتهم فى الولايات الإسلامية فكانوا يجوبون بلاد خراسان لبثها وظاهر أمرهم التجارة أو الحج[3]. كما أخذوا يصورون استبداد الأمويين بأسوأ الصور، ويتهمونهم بأنهم لا يزالون يبطنون الكفر رغم ادعائهم الإسلام[4]، كما وجهوا الطعن إلى ولاة بنى أمية وأسموهم ولاة الجور، ورفعوا شعار الإصلاح[5] والدعوة إلى الحق والعدل[6].

الدعاة والنقباء:

احتل أئمة الدعوة العباسية قمة التنظيم السرى، وكان يساعدهم طائفة من الدعاة، هم وحدهم الذين يعرفون سر إمام الوقت ويحتفظون بهذا السر لأنفسهم، وكان الدعاة فى الحقيقة جميعهم من طراز واحد: قدرات عسكرية خلاقة وإخلاص للدعوة وفناء فيها، وقدرة بارعة على الدبلوماسية والدهاء ومداراة الأحوال واجتذاب الأنصار، ومنطق فى المخاطبة فيه أدب وبلاغة وفن ومراعاة مقتضى ذلك[7].

---

(1) حسب وصية أبى هاشم لمحمد بن على العباسى بأن يبدأ ببث الدعوة عند تمام المائة سنة للهجرة. (المسعودى: التنبيه والإشراف، جـ8، ص238، طبعة دى غويه، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص21).

(2) الطبرى: الأمم والملوك، جـ6، ص562، حوادث سنة 100هـ، بيروت.

(3) المرجع السابق، جـ6، ص616-617، بيروت. ابن الأثير: الكامل، جـ4، ص182، بيروت.

(4) فان فلوتن: السيادة العربية، ص94-95، القاهرة 1934م.

(5) عرف العباسيون كيف يغرون الموالى على الانضمام إليهم، فأخذوا من حق بنى هاشم الشرعى فى الخلافة أساسًا سياسيًّا ودعوا لإرجاع الحق لأهله دون الجهر باسم المدعو له ونادوا بتحسين أوضاع الموالى ومساواتهم بالعرب وإشراكهم فى الأمر متخذين من ذلك برنامجهم الاجتماعى ووعدوا بالعدل واتخاذ الكتاب والسنة دستورًا يستهدى به إمامها. عبد العزيز الدورى: مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص88. على الخربوطلى: الدولة العربية الإسلامية ص294.

(6) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص47.

(7) المرجع السابق، ص15، ويذكر أن أغلب الدعاة تعمقوا فى العلوم الإسلامية وبرعوا فى الحديث أو الفقه أو اللغة وتولوا التعليم وأخذ الناس عنهم.

لم يعمل الدعاة على الدعوة لشخص معين، فقد قال الإمام محمد بن على لكاتبه ومتولى أمر الدعوة فى الكوفة بكير بن ماهان: "لتكن دعوتكم وما تلقى به العامة أن تدعوهم إلى الرضا من آل محمد[1]، وتذكر جور بنى أمية وأن آل محمد أولى بالأمر منهم[2]». ومن هنا صاروا يذيعون بين الناس أنه لا خلاص لهم إلا إذا ولى أمرهم آل البيت[3] ومن ثم نجحت جهودهم، وقد استطاعوا أن يجذبوا إلى حقوقهم الكثير من ذوى الرأى، نخص منهم سليمان بن كثير الخزاعى، ومالك بن الهيثم، وطلحة بن رزيق، وعمر بن أعين، وأخاه عيسى، وقحطبة بن شبيب الطائى، وموسى بن كعب، وغيرهم ممن كان لانضمامهم إلى الدعوة العباسية أثر كبير فى قيام الدولة العباسية[4].

لم تكن عين ولاة بنى أمية فى خراسان غافلة عن هؤلاء الدعاة[5]، فقد وجه ميسرة العبدى اثنين من الدعاة هما أبا عكرمة وحيان العطار من العراق إلى خراسان فى عام 102هـ وجاء رجل من بنى تميم إلى سعيد خذينة والى خراسان من قبل يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) فوشى بهم عنده فاستدعاهم سعيد قائلاً لهم: جئتم دعاة؟ فنفوا ذلك وادعوا أن شغلهم التجارة، فأخلى سبيلهم بعد أن ضمنهم قوم من ربيعة[6].

---

(1) هددت الدعوة العباسية جهود العلويين وبخاصة فى خراسان والتى كان يتزعمها "غالب" وهو داعٍ علوى متطرف، فلما وصلت أخبار غالب إلى مسامع إبراهيم الإمام بعث إلى خراسان سنةً 106هـ/724م بزياد أبى محمد مولى بنى حمدان، وقامت بين الاثنين مناظرة عدائية هذا ينتصر لبيت العباس وذلك لبيت على نتج عنها أن أصبحت الدعوة بعد ذلك تنص على "الرضا من آل محمد" وبذلك وجد العباسيون كما يقول نيكلسون فى هذه اللفظة المبهمة عبارة يمكن تطبيقها على أبناء على وأبناء العباس.

Literary History of the Arabs. P. 258.

(2) عبد العزيز الدورى: ضوء جديد على الدعوة العباسية ص75، مجلة كلية الآداب ببغداد العدد الثانى 1957م.

(3) فان فلوتن: السيادة العربية ص95.

(4) الطبرى: جـ6 ص562، ابن الأثير: جـ4 ص195.

(5) يذكر اليعقوبى: تاريخه جـ3 ص52 أن "محمد بن على بن عبد الله بن العباس بعث ميسرة أبا رباح إلى العراق – الكوفة – ومحمد بن خنيس وأبا عكرة السراج إلى خراسان وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله عامل عمر بن عبد العزيز فلقوا من لقوا وانصرفوا وقد غرسوا غرسًا" انظر الطبرى جـ6 ص562 المقدسى: البدء والتاريخ جـ6 ص59، وقد تولى الجراح خراسان سنة 99هـ وخرج منها أواخر رمضان سنة 100هـ.

(6) الدينورى: الأخبار الطوال ص333 مطبعة المثنى ببغداد. الطبرى: جـ6 ص616 – 617 بيروت.

إلى جانب ذلك تعرض بعض هؤلاء الدعاة لولاة الأمويين عند اكتشاف أمرهم، ففى ولاية أسد بن عبد الله القسرى، قبض على بعض الدعاة الذين وجههم بكير بن ماهان إلى خراسان على أثر وشاية رجل من كندة إلى أسد بخبرهم. فقطع أسد أيدى من ظفر منهم وأرجلهم[1]، وأخبر مَن نجا بكير بن ماهان، فلما أبلغ بكير ذلك إلى الإمام محمد بن على أرسل إليه قائلًا: "الحمد لله الذى صدق مقالتكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل"[2].

وفى ولاية الجنيد بن عبد الرحمن سار من دعاة بنى العباس جماعة إلى خراسان عام 113هـ فأخذ الجنيد رجلًا منهم فقتله وقال: "من أصبت منهم فدمه هدر" لكن الدعاة على الرغم من ذلك لم يتراجعوا أو يتهاونوا؛ فقد كانوا يؤمنون بصحة دعوتهم ويقتنعون كل الاقتناع بأن الحق فى جانبهم[3].

استعان بعض الدعاة بالعصبية القبلية للتخلص من إيذاء ولاة بنى أمية فعندما قبض على سليمان بن كثير وفريق من الدعاة العباسيين فى ولاية أسد بن عبد الله القسرى الثانية قال سليمان بن كثير لأسد: «إنا أناس من قومك (اليمنية) وإن هؤلاء المضرية إنما رفعوا إليك هذا لأنا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم...» فأطلق أسد بن عبد الله من كان منهم من خزاعة وبكر، وعاقب من كان منهم من تميم[4].

أبو مسلم الخراسانى:

وفى سنة 125هـ/742-743م انضم إلى محمد بن على العباسى، عبد الرحمن بن مسلم المكنى بأبى مسلم الخراسانى، ولقد اختلف فى أصله فقيل إنه حر من ولد بزرجمهر (وزير كسرى آنوشيروان) وإنه ولد بأصفهان ونشأ فى الكوفة وإنه كان يسمى إبراهيم بن عثمان ويكنى أبا إسحاق، وقيل إنه عبد من قبيلة بنى عجل، وإنه كان فى شبابه سرَّاجًا (أى

(1) الطبرى: جـ7 ص40 حوادث سنة 107هـ.
(2) ابن الأثير: جـ4 ص197 بيروت.
(3) الطبرى: جـ7 ص88 بيروت.
(4) ابن الأثير: جـ4 ص221 - 222.

يعمل فى صناعة السروج)، أما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليط بن عبد الله بن العباس[1].

وقد تلقى أبى مسلم أصول الدعوة عن بكير بن ماهان[2] داعى العباسيين بالكوفة، وفى مكة وكَّل محمد بن على بن عبد الله زعيم العباسيين أمر الدعوة إلى أبى مسلم؛ لما أدركه عنده من الذكاء والشجاعة، وأوصى أصحاب أبى مسلم بمعاونته ومساندته عند الحاجة، وكان أهالى خراسان فى حاجة إلى رجل مثله كى يحققوا غرضهم، بعد ما ساد الدولة الأموية من اضطراب ووقوع الخلاف والشقاق بين عرب خراسان[3].

لما انتقلت رئاسة الدعوة بعد وفاة محمد بن على العباسى[4] إلى ابنه إبراهيم الملقب بالإمام[5] أرسل جماعة الدعاة إلى خراسان، وكاتب مشايخها ودعا فيها فأجابوه ودعوا إليه سرًّا[6]، إلا أن إبراهيم الإمام اتخذ خطوة حاسمة لكى يقبض على زمام الأمور فى خراسان قبضًا تامًّا، وذلك بأن وجه أبا مسلم إلى خراسان[7] بعد أن زوده بنصيحة قال فيها: "يا أبا عبد الرحمن، إنك رجل منَّا أهل البيت، فاحفظ وصيتى، وانظر هذا الحى من اليمن

---

(1) انظر اليعقوبى: تاريخه جت3 ص327، ابن كثير: البداية والنهاية جـ10 ص67 مكتبة المعارف بيروت 1978م. ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2 ص324 – ص330، ابن خلدون: العبر جـ3 ص113، ابن طباطبا: الفخرى: ص139 – ص140. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص15-16.

(2) كان بكير بن ماهان مع الجنيد بن عبد الرحمن أثناء ولايته للسند ترجمانًا له فلما عزل الجنيد قدم بكير بن ماهان الكوفة عام 105هـ ومعه أربع لبنات (سبائك) من فضة ولبنة (سبيكة) من ذهب، فلقى أبا عكرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وغيرهم من الدعاة فذكروا له أمر الدعوة العباسية فقبل الدخول فيها وأنفق ما معه عليهم وتقابل مع الإمام محمد بن على، ولما توفى ميسرة اختاره الإمام محمد بن على ليكون القائم على أمر الدعوة بالعراق. ابن كثير: جـ4 ص192-193 بيروت.

(3) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص175.

(4) كان ذلك سنة 118هـ الطبرى: جـ7 ص111 بيروت.

(5) ابن الأثير: جـ4 ص226، فاروق عمر: مقالة (الألقاب الإسلامية) ص397 مجلة كلية الآداب العدد الثالث عشر 1970م.

(6) الطبرى: جـ7 ص329، ابن طباطبا: الفخرى ص144.

(7) ابن الأثير: جـ4 ص395 بيروت.

فأكرمهم وحِلَّ بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى أمرهم، وانظر هذا الحى من مضر فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت فيه ومن كان فى أمره شبهة، ومن وقع فى نفسك منه شيء، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانًا عربيًّا، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ (يعنى سليمان بن كثير)»[1]. وكان من أثر هذه الوصية أن عمد بعض المؤرخين إلى اتخاذها دليلًا على اعتماد الدعوة العباسية على العنصر الفارسى وعدم تمسكها بالعنصر العربى، وهى لا تقف أمام النقد الموضوعى وأول ما يلفت النظر أن هذه الوصية غير متفق عليها من قبل المؤرخين ولذلك لا يمكن قبولها بدون تمحيص لرواياتها[2]. فمن جهة النقد الخارجى فالرواية يذكرها الطبري[3] بدون إسناد، ويذكرها ابن قتيبة[4] ولا ذكر لها عند البلاذرى ولا فى اليعقوبى وذكرها المقريزي[5] وعلق عليها متعجبًا مما جاء بصدد قتل العرب، وانفرد الدينورى[6] برواية مختلفة الوثيقة قال فيها إن أبا العباس أوصى أبا مسلم ألا يدع بخراسان عربيًّا لا يدخل فى أمره إلا ضرب عنقه، كما وردت بهذا المعنى فى كتاب العيون والحدائق[7].

أما النقد الداخلى للوصية فإن متنها مفصول فى رواية الطبرى إلى قسمين تذكر بينهما حوادث الثورة، وأنها تأتى تحت عنوان «سبب قتل مروان بن محمد لإبراهيم الإمام»، مما تدل على أن كلها أو بعضها دعاية أموية ضد العباسيين وضعت لتبرير قتل مروان لإبراهيم الإمام، ثم إن متن الرواية يظهر تناقضات كثيرة، فكيف يصح بأن يأمر إبراهيم الإمام بقتل كل العرب وهو يدرك أهميتهم ويوصيه فى بداية الرواية بتعهد اليمانيين

---

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة جـ2 ص139 – 140. البرى: جـ7 ص344 بيروت، الأزدى: تاريخ الموصل جـ2 ص65. المقريزى: النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم ص51.
(2) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص23.
(3) الأمم والملوك جـ7 ص344.
(4) الإمامة والسياسة جـ2 ص139-140.
(5) النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم ص51.
(6) الأخبار الطوال ص359.
(7) مجهول، جـ3 ص184.

والربيعيين منهم، ثم إن سياسة أبى مسلم فى خراسان لا تتفق أبدًا مع الوصية المزعومة، وذلك لأنه تقرب إلى اليمانيين والربيعيين حتى إنه قبل الكثير من المضريين الذين وثق بهم فى صفوف الأتباع[1].

إلا أننا نرى أن إبراهيم الإمام فى وصيته إلى أبى مسلم الخراسانى لم يكن غرضه القضاء على العرب أو من يتكلم العربية، بل ربما قصد من ذلك إحكام أبى مسلم قبضته على أمور الدعوة فى خراسان، ويحذره من العناصر العربية التى تعيش فى هذه البلاد وعندها ميل إلى الثورة[2]، خاصة وأنهم كانوا غير متساوين فى الحقوق مع الفرس أهل تلك البلاد.

وعلى أية حال فقد صار أبى مسلم فى عام 128هـ ممثل العباسيين فى خراسان ورئيسًا للدعوة، وبذلك أعطى العباسيون ثقتهم لأحد الموالى ليكون على رأس الهاشمية بخراسان، وجعلوا له سلطة تامة على النقباء والدعاة[3].

وكان انتشار العصبية القبلية بين عرب خراسان عاملًا من عوامل ضعفهم مما شجع الموالى على الثورة على الأمويين، فقد أثار نصر بن سيار والى خراسان حقد اليمانيين لأنه كان مضريًّا، وظل أربع سنين لا يستعمل فى خراسان إلا مضريًّا[4]، كما ساءت العلاقات بين القبائل العربية بخراسان.

وبعد أن نزل أبى مسلم خراسان أخذ فى دراسة أحوال أهلها والمباعدة بين أحزابهم، ثم جهر بالدعوة لآل البيت سنة 129هـ فنزل بقرية من ضواحى مرو يقال لها «سفيذنج»، وهناك بث دعاته بين الناس فأقبل إليه كثير من الموالى[5]، وأصابت دعوته جميع أراضى خراسان، وقد أكد ذلك الدينورى[6] بقوله: "وحان الوقت الذى واعد أبى مسلم

---

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص23-24.

(2) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص176.

(3) بدر عبد الرحمن محمد: الدولة العباسية ص16 – 17.

(4) الطبرى: جـ7 ص158، ابن الأثير: جـ4 ص239 بيروت.

(5) يذكر كارل بروكلمان: أن الموالى فى خراسان سارعوا إلى الانضواء تحت حركة أبى مسلم منذ البداية. تاريخ الشعوب الإسلامية جـ1 ص200 – 202.

(6) الأخبار الطوال ص360.

مستجيبيه فخرجوا جميعًا فى يوم واحد من كور خراسان حتى وافوه"، ويشير ابن الأثير[1] إلى أن أبا مسلم أتاه فى ليلة واحدة أهل ستين قرية لمبايعته، وكان أكثر أتباع أبى مسلم من الزراع والأعاجم من الموالى فى قرى مرو[2]، فكان أهالى خراسان من السكان الأصليين يتسابقون إلى تأييد أبى مسلم ونصرته لأنه كان منهم، ولأن غايته تتفق مع أغراضهم، وتوافق هوى فى نفوسهم، وفى هذا يقول الدينوري[3]: "وانجفل الناس على أبى مسلم من هراة ويوشنج ومرو الروز والطالقان ومرو ونسا وأبيورد وطوس ونيسابور وسرخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف، وكانوا زهاء مائة ألف رجل".

تجلى الدور الكبير الذى قام به أبو مسلم الخراسانى لنجاح الدعوة العباسية فى جهوده الصادقة التى بذلها فى خراسان، فقد حارب الوالى الأموى بمن معه من شيعته من الموالى ومن أتاه من قبائل اليمانية، ولا سيما قبيلة خزاعة[4] التى كانت أول من وافاه إذ كان معظم الدعاة منها[5]، ونزل قصر الإمارة بمرو فى أوائل عام 130هـ[6] واضطر نصر بن سيار إلى الرحيل عنها وبذلك خلا الجو لأبى مسلم فى مرو، وأمر بأخذ البيعة من الجند الهاشمية وكانت كما يلي[7] "أبايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه r ، والطاعة للرضا من آل بيت رسول الله r ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمضى إلى بيت الله، وعلى ألا تسألوا رزقًا، ولا طمعًا حتى يبدأ بكم ومنكم وإن كان عدو أحدكم تحت قدميه فلا تهيجوه إلا بأمر ولاتكم".

وتوالت مدن خراسان الكبيرة فى السقوط فى يد أبى مسلم الواحدة بعد الأخرى مثل

---

(1) الكامل جـ4 ص304.
(2) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص503.
(3) الأخبار الطوال ص361، ص362.
(4) ابن الأثير: جـ4 ص304 بيروت.
(5) الطبرى: جـ7 ص377 –378.
(6) المرجع السابق، جـ7 ص379.
Guest (BR): Action of Abu Muslim. P.55. the journal of the Royal Asiatic society. 1932.
(7) الطبرى: جـ7 ص380.

سرخس وطوس ونيسابور والرى[1]. وما لبث نصر بن سيار أن توفى بجوار الرى فى عام 131هـ[2]، فغلب على خراسان كلها بعد أن تخلص من شيوخ القبائل الذين نازعوه السيادة فى خراسان، وأتبع هذا العمل بإرسال قواده إلى بلاد فارس واستولى على كثير من مدنها[3].

ومن الجدير بالذكر أن أبا مسلم لم يذكر اسم الإمام الذى يدعو إليه حتى ذلك الوقت صراحة؛ خوفًا من أن تتصدع الجبهة الهاشمية إلى عباسى وعلوى، أو خشية أن يتعرض الإمام للقتل على يد الأمويين، ولكن ذلك لم يمنع مروان بن محمد الخليفة الأموى من متابعة الحركة والوقوف على الحقيقة، فلم يكن الأمويون طوال هذه المدة على علم بمن يدعو إليه العباسيون حتى وقع فى يد الخليفة الأموى كتاب إبراهيم الإمام الذى بعث به إلى أبى مسلم يأمره فيه بقتل كل من يتكلم العربية بخراسان[4]، فأرسل مروان بن محمد إلى واليه بدمشق يأمره بأن يطلب إلى عامل البلقاء القبض على إبراهيم حيث يقيم بالحميمة[5]، ولما علم إبراهيم بما سيؤول إليه مصيره؛ أوصى إلى أخيه أبى العباس بالإمارة وأمر أهله بالرحيل إلى الكوفة[6]، وأن يكونوا فى طاعته، وانتهت حياة إبراهيم وتوفى فى سجن بنى أمية بحران[7].

أبو سلمة الخلَّال:

لما قتل مروان بن محمد إبراهيم الإمام خاف بنو العباس، فساروا يريدون الكوفة تنفيذًا

---

(1) ابن الأثير: جـ4 ص309 – 310 بيروت.

(2) المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص285، ابن الأثير: جـ4 ص317 بيروت.

(3) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص507.

(4) الطبرى: جـ7 ص329.

Noldeka: Sketches from Eastern History.p.111.

(5) الكبرى: جـ7 ص422 – ص423، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر جـ1 ص221، ابن الوردى: تاريخه ص275.

(6) ابن الأثير: جـ4 ص232، الفخرى: ص146.

(7) المسعودى: التنبيه والإشراف ص292، ابن الساعى: مختصر أخبار الخلفاء ص4.

Browne: Aliterary History of Persia Vol, 1, p.292

لوصيته[1]، وهناك التقوا بأبى سلمة الخلال[2] أحد دعاة العباسيين وكان أيضًا من الموالى، وكان إبراهيم الإمام قد اتخذه داعيًا فى العراق بعد موت بكير بن ماهان[3]، ويُعد من أهم دعاة آل العباس؛ إذ كان من مياسير أهل الكوفة[4]، وكان صهرًا لبكير بن ماهان، وأنفق من ماله على الدعوة لآل البيت[5] حتى استحق التلقيب بوزير آل محمد[6]، وكان كثير التنقل بين الحميمة والكوفة وخراسان، وبفضل نشاطه سقطت الكوفة أهم مدن العراق فى أيدى العباسيين.

أنزل أبو سلمة الخلال بنى العباس فى إحدى دور الكوفة، ثم ما لبث أن أهمل شأنهم حتى إنه أبى أن يدفع أجرة الحمالين الذين تولوا نقلهم ونقل أمتعتهم وأخفى أمرهم[7]

---

(1) أودع إبراهيم الإمام وصيته هذه قبل مقتله عند سابق الخوارزمى مولاه. المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص267، حسن فاضل زعين العانى: سياسة المنصور أبى جعفر ص68.

(2) هو أبو سلمة حفص بن سليمان مولى بنى حارث بن كعب ويعرف بأبى سلمة الخلال وقيل فى نسبته بالخلال ثلاثة أوجه: أحدها: أن منزله بالكوفة كان قريبًا من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب إليهم. وثانيها: أنه كان له حوانيت يعمل فيها الخل فنسب على ذلك. وثالثها: نسبة إلى خلل السيوف وهى أغمادها. انظر الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص83 – ص84، ابن طباطبا: الفخرى ص153 – ص154.

(3) لما حضرت بكير بن ماهان الوفاة كتب إلى إبراهيم الإمام يخبره أنه استخلف حفص بن سليمان فكتب إلى أبى سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان أنه قد أسند أمرهم إليه ومضى أبو سلمة إلى خراسان فقبلوا أمره ودفعوا إليه خمس أموالهم ونفقات الشيعة. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص84، الروحى: بلغة الظرفاء ص26.

(4) عبد المنعم ماجد: العصر العباسى الأول جـ1 ص37.

(5) الزركلى: الأعلام جـ2 ص291.

(6) المسعودى: التنبيه والإشراف ص293.

(7) لم يأذن أبو سلمة لبنى العباس بدخول الكوفة أول الأمر، وأمر بأن يقيموا بقصر مقاتل – وهو على بعد مرحلتين من الكوفة – ثم سمح لهم بدخول الكوفة وحبسهم فى دار الوليد بن مسعود مولى بنى هاشم فى بنى أود فكان إذا بعث أبو العباس يسأله عن خبرهم عنده يقول: لم يأت ظهوركم بعد، وخبأهم أربعين ليلة ولم يصرح لأحد من النقباء بمكانهم. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص85، البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص134، الطبرى: جـ7 ص423 – ص424، ص430 – ص431.

وأمر بمراقبتهم، وأخذ يعمل سرًّا على تحويل الخلافة إلى أحد العلويين[1].

ويدفعنا ذلك إلى أن نتساءل عن الدوافع التى دفعت بالخلال للقيام بهذا العمل، وقد اختلف المؤرخون فى تفسيرها، فمنهم من يقول بأنه أراد أن يجعل الأمر شورى بين بنى هاشم من عباسيين وعلويين، ومنهم من يرى أنه خاف انتقاض الأمر وفساده بعد وفاة إبراهيم الإمام وتخوفه على مصير الدعوة وفشلها؛ إلا أننا نعتقد بأن الخلال لم يكن واثقًا من أبى العباس؛ حيث إن علاقته به لم تكن وثيقة كعلاقته بإبراهيم، وقد أدرك الخلال أن تسلم أبى العباس للسلطة ربما سيحد من نفوذه الذى أخذ يتعاظم، خاصة بعد نجاح الثورة وسيطرة الخراسانية على الكوفة، ولذلك حاول الخلال أن يجد شخصية أخرى هاشمية غير عباسية ينصبها خليفة، ويحتفظ هو بنفوذه السياسى الكبير؛ ذلك لأنه سيكون صاحب الفضل على الخليفة الجديد، وسيلعب دور صانع الملوك فى الدولة الجديدة[2].

استأثر أبو سلمة بالسلطة وعين القواد دون الرجوع إلى أبى العباس[3]، فعين أبا الجهم على ديوان الجند، وأبا غانم عبد الحميد بن ربعى على الشرط، وعبد الله بن بسام على الحرس، وعمرويه الزيات على حجابته، والمغيرة بن زيان على الخراج[4]، وفرق عماله على السهل والجبل، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وإليه[5].

غير أن زعماء العباسيين لم يلبثوا أن أحبطوا مؤامرة الخلال[6]، فذهبوا إلى الكوفة

---

(1) الجهشيارى: ص84-87 ويشير المسعودى إلى أن أبا سلمة حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبى طالب. مروج الذهب جـ3 ص268.

(2) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص34.

(3) خليفة بن خياط: تاريخه جـ2 ص424، الدينورى: الأخبار الطوال ص251. البلاذرى: أنساب الأشراف (مخطوط) جـ3 ص134.

(4) مجهول: نبذة من كتاب التاريخ ص101.

(5) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص85 – ص86.

(6) باءت محاولة الخلال بالفشل لشك العلويين وحذرهم منهم:

أولًا: لتردد الشخصيات العلوية (التى أرسل إليها يدعوها بالخلافة وهم الإمام جعفر الصادق وعبد الله بن الحسن المحسن الحسنى وعمر بن على بن الحسن) بالمغامرة التى تتطلبها السياسة.

ثانيًا: لقوة الدعاة العباسيين فى الكوفة. =

وقابلوا أبا العباس عبد الله وبايعوه بالخلافة، واضطر أبو سلمة أن يسلم هو أيضًا إلى أبى العباس بالخلافة[1]، ويشير الجهشياري[2] إلى ذلك بقوله: "إن أبا سلمة قبل يد أبى العباس وقدميه وبدأ فى الاعتذار، فقال له أبو العباس: "عذرناك أبا سلمة غير معتد، وحقك معظَّم وسابقتك فى دولتنا مشكورة وزلتك مغفورة، انصرف إلى معسكرك لا يدخله خلل..." [3].

وفى يوم الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة للهجرة خرج أبو العباس على أثر بيعته إلى مسجد الكوفة؛ حيث خطب خطبة أشار فيها إلى أن الخلافة حق شرعى لأسرته[4]، فقال: "الحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة، وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوَّام به والذابين عنه والمناصرين له... وخصنا برحم من الإسلام رسول الله وقرابته، وأنشأنا من آبائه وأنبتنا من شجرته... ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابًا فقال: $JR) ˝ª !$ ª9 =ďı Zª 6 N 198_ § @d& 7B$ Mł ªr ĝ ./? g #[Æ[5]،

= ثالثًا: اكتشاف الدعاة مكان أبى العباس وإعلانهم بيعته. فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص33 – 35.

(1) اتخذ نقباء الدعوة إجراءات أمن مشددة ضد أبى سلمة فأوصى أبو الجهم أبا حميد – محمد بن إبراهيم الحميرى – قائلًا: "إن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحده فإن دخل وبايع فسبيله ذلك وإلا فاضربوا عنقه، فلما قدم أبو سلمة أدخلوه وحده فبايع لأبى العباس" فقال له أبو حميد: "على رغم أنفك يا ابن الخلال" فقال له أبو العباس: "مه" وجعل أبو سلمة يقول: "إنما أردت إظهار أمر أمير المؤمنين بعد أن أحكم له الأمور". البلاذرى: أنساب الأشراف "مخطوط" جـ3 ص24. الطبرى: جـ7 ص424، ص430 – 431، وانظر: مجهول: نبذة من كتاب التاريخ ص117، العانى: سياسة المنصور أبى جعفر ص70-71.

(2) الوزراء والكتاب ص87.

(3) الوزراء والكتاب ص87، الأزدى: تاريخ الموصل جـ2 ص132.

(4) الطبرى: جـ ص424 – ص426، ابن الأثير جـ 5 ص66.

ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ1 ص183، مكتبة القدس – القاهرة 1350هـ.

Nicholson: Aliterary History of the Arabs. P.253.

فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص35-36.

(5) سورة الأحزاب: الآية 33.

وقال: Æ 41)B$ ∫ 0ºqJB$ w) #•_ & ŸmI=ª /3ß« & Nv @ß[1] فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفىء والغنيمة نصيبًا تكرمة لنا وفضلًا علينا والله ذو الفضل العظيم، وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة فشاهت وجوههم... وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصَّرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق ودحض بنا الباطل وأصلح بنا ما كان فاسدًا... فتمم الله ذلك منة ومنحة لمحمد r ، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها، ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حينًا حتى أسفوه فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا وتولى نصرنا ليمُنَّ بنا على الذين استضعفوا فى الأرض... وإنى لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا لذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير".

ثم خطب بعده عمه داود بن على فقال: "الحمد لله... الذى أهلك عدونا... إنا والله ما خرجنا فى طلب هذا الأمر لنكثر لجينًا ولا عقيانًا ولا نحفر نهرًا، ولا نبنى قصرًا... وإنما أخرجتنا الأنفة عن ابتزازهم (أى الأمويين) حقنا والغضب لبنى عمنا، وما كرهنا من أموركم... ولقد كانت أموركم ترمضنا... ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم وخرقهم بكم واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم، لكم ذمة رسول الله وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل بينكم بكتاب الله ونسير فى العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله r ... يا أهل الكوفة، إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأصابهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا، وأراكم والله ما كنتم تنتظرون... وأدلكم على أهل الشام ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام[2].

---

(1) سورة الشورى: الآية 23.

(2) الطبرى: جـ7 ص426 – 428 بيروت.

ومن هاتين الخطبتين يتبين لنا الاتجاهات الجديدة للعهد، ومنها:

1- أن الثورة العباسية قامت من أجل الإسلام الذى فشل الأمويون فى تطبيق مبادئه.

2- أن للعباسيين الحق فى الخلافة لأنهم أقرباء الرسول r من جهة عمه العباس بن عبد المطلب الذى توفى بعد الرسول r .

3- أن الثورة العباسية تعنى العدالة للمظلومين والمستضعفين من الناس.

4- وتعنى الثورة كذلك انتصار العراق على الشام بعد الكفاح المرير الذى خاضته العراق خلال العصر الأموى، وقد أشار الخليفة إلى ثورات أهل البيت، مثل الحسين بن على والمختار الثقفى وابن الحنفية وعبد الله بن معاوية وزيد بن على بن الحسن.

5- وعد الخليفة بزيادة العطاء إلى مائة درهم وذكرهم السفاح المبيح.

6- بيَّن موضع العباسيين من الإسلام وأهله وأنهم بنو هاشم وأهل البيت.

7- فنَّد الخليفة العباسى رأى السبئية (ويعنى هنا شيعة العلويين) فى قولهم بأن الخلافة من حق آل على وبين أثر العباسيين فى إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

8- ندَّد أبو العباس بسياسة الأمويين وظلمهم للناس وكيف أن العباسيين هم الذين وضعوا نهايتهم[1].

ثم رأى أبو العباس بعد أن تمت له البيعة فى الكوفة أن يتخلص من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، فوجه إليه عمه عبد الله بن على الذى أوقع به الهزيمة على نهر الزاب[2] – أحد روافد دجلة - وأخذ يتعقبه فى بلاد الشام حتى اضطر مروان إلى الاتجاه إلى مصر فدخل الفسطاط ثم رحل منها إلى بوصير[3] – من أعمال الفيوم – حيث قتله صالح بن على العباسى فى أواخر سنة 132هـ، وبذلك انتهى حكم البيت الأموى وانتقل مركز العالم الإسلامى من الشام إلى العراق.

---

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص36 – 37.

(2) الطبرى: جـ7 ص432، ص437 – 441 بيروت.

(3) الأصفهانى: الأغانى جـ4 ص92. ابن الأثير: جـ4 ص327، 330 بيروت.

نشط العباسيون منذ أن انتقلت إليهم الخلافة فى القضاء على الأمويين واستئصال شأفة الأحياء منهم، وإزاء تلك السياسة عمد الأمويون إلى الاختفاء والهرب، غير أن كثيرًا منهم تعرضوا لأذى العباسيين فتتبع عبد الله بن على – عم الخليفة – مَن كان بالشام من أولاد الخلفاء وغيرهم ونكَّل بهم[1]، كما استدعى الخليفة نفسه عددًا كبيرًا منهم، وأكرمهم ثم غدر بهم، وقتل داود بن على بمكة والمدينة عددًا وافرًا من الأمويين، كذلك قضى سليمان بن علىٍّ على من كان منهم بالبصرة، ولم يفلت منهم إلا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، الذى فر إلى المغرب ومنها إلى إسبانيا وأسس الدولة الأموية بالأندلس، ولم يقنع العباسيون بما فعلوا بالأحياء فعمدوا إلى قبور بنى أمية فنبشوها حتى محو آثارها[2].

(1) اليعقوبى: تاريخه جـ2 ص92 – 93.
(2) الطبرى: جـ7 ص459، ابن الأثير: جـ4 ص333 بيروت.

خلفاء العصر العباسى الأول

(132 - 232هـ / 750 - 850م)

أبو العباس السَّفَّـاح (132 - 136هـ/ 750 - 754م)

ولد أبو العباس فى مستهل رجب سنة 104هـ بالحميمة، وأمه ريطة بنت عبد الله بن عبد الله بن عبد الدار الحارثى[1]، ولم يكن أبو العباس سفاحًا[2] بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة بل يغلب على الظن أن اسمه[3] اقترن بتلك الصفة منذ أن قال فى خطبته أنا السفاح المبيح والثائر المبير، ومعناها الرجل الكريم الذى يكثر الذبح لضيوفه، كما كان دمث الأخلاق[4] جميل التكوين يحب الشعر والأدب، أما من ناحية حكمه فلم يكن مطلق السلطة، فكان يشترك معه فى إدارة الدولة العباسية أبو مسلم الخراسانى بالمشرق، وأبو جعفر المنصور بالجزيرة، وعبد الله بن على بالشام، وكان ما يجرى فى دولته من خير وشر يقع على أيديهم[5].

---

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ5 ص133، ابن الأثير جـ4 ص188، ابن كثير: البداية والنهاية جـ10 ص58 مكتبة المعارف، بيروت 1978م.

(2) أطلق هذا الاسم على بعض شيوخ القبائل فى الجاهلية، ويقال إن سمة بن خالد الذى قاد بنى تغلب فى موقعة الكلاب الأولى سمى السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبيل المعركة.

Nicholson: Aliterary Hist of the Aralis. P. 253.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2، ص22.

وعن اقتران لقب السفاح بأبى العباسى وعمه عبد الله بن على راجع البحث القيم الذى أورده الدكتور/ أحمد مختار العبادى فى كتابه: فى التاريخ العباسى والفاطمى ص41-44 مشيرًا إلى مقالة للدكتور/ عبد الحميد العبادى بعنوان: صور وبحوث فى التاريخ الإسلامى جـ2 ص70، الإسكندرية 1948م.

(3) يقال لأبى العباس: المرتضى والقاسم، ابن كثير: البداية والنهاية جـ10 ص85.

(4) انظر المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص192-194. ابن طباطبا: الفخرى ص128، جمال سرور: الحياة السياسية ص179،

(5) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص179-180.

وكان أبو العباس غاضبًا على[1] بنى أمية كما كان أهله غاضبين عليهم معه، وإن لم يذهب به غضبه بعيدًا ليفعل بهم ما كان يفعل بهم أعمامه وأقاربه[2]، فلقد قتل قائد العباسيين يحيى بن محمد بن عبد الله بن العباسى[3] ، ثمانية عشر ألفا من أهل الموصل فى مسجدها العام، ولما تساءلت زوجة الخليفة عن أسباب هذه المذبحة العامة رد عليهم بأنه لا يعرف عنها شيئًا، ولقد أكل عمه عبد الله بن على على جثث ضيوفه الأمويين وهم يئنون تحته، وأخل أخوه المنصور بكل عهوده مع أنصار بنى أمية ولم يوف لهم بشيء ألزم به نفسه[4] أمام الناس.

مقتل أبى سلمة الخلال:

لم تكن سياسة العنف والتنكيل التى اتخذها العباسيون سلاحًا للقضاء على خصومهم موجهة فقط إلى الأمويين، بل اتبعوها أيضًا مع أنصارهم الذين شَكُّوا فى إخلاصهم، فاتُّهِمَ أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الذى كان يقال له وزير آل محمد[5]لما تم الأمر

---

(1) عرف من عنف خصومته للأمويين أنه قابل رأس الخليفة مروان بن محمد بالسجود لله شكرًا، وقال: إن دماءهم من الغيظ لا ترويه، وكان يخرج عن اتزانه وحكمته لو حرضه بعض الناس على قتل الأمويين ولو كانوا ضيوفه، وعرف من ذلك أنه أمر بأن يجر أحدهم – وهو سليمان بن هشام – من رجله ليلقى مصرعه فى بيته، وكان سليمان ضيفه وأحد المعارضين للنظام الأموى قبله. على حبيبة: العباسيون فى التاريخ ص72 حاشية (2) مكتبة الشباب 1980م.

(2) عرف الكثير عن مأساة بنى أمية أمام بنى العباس عند ظهور دولتهم حتى لقد نبشت قبورهم وصلبت أجسادهم وحرق رفاتهم وطورد الأحياء منهم فى كل مكان وقيل إن بنتًا من بنات الخليفة مروان بن محمد استعطفت أحد قادة العباسيين ليبقى على أقاربه الأمويين بعد الانتصار عليهم فقال: إنه سوف لا يبقى منهم أحدًا أبدًا. على حبيبة: نفسه ص72 حاشية (3).

(3) الأزدى: تاريخ الموصل ص145-155.

(4) قيل إن المنصور لم يكن يلتزم بعهوده كُلِّها، ومنها تعهده بالإبقاء على حياة قائد الأمويين – ابن هبيرة – بالعراق وتعهد بضمان السلامة لعمه الخارج عليه – عبد الله بن على – حتى كان خصومه يفضلون الموت أمامه فى ساحات الحرب على أن يرضوا بعهود موثقة لا يرعى حرمتها، وكانوا يعبرونه بهذا الضعف فى سلوكه. على حبيبة: نفسه ص73 حاشية (1).

(5) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ5 ص113 ويذكر أنه أول من لقب بالوزارة، ويذكر ابن الأثير جـ4 ص336 أنه كان يقال له أيضًا وزير آل محمد.

لبنى العباس اتُّهِمَ بأنه كان يعمل على تحويل الخلافة إلى العلويين[1]، وقد قيل إن أبا العباس استوزر أبا سلمة على كره منه؛ لما كان يتمتع به من مكانة سامية ونفوذ كبير فى نفوس الخراسانيين، وخشى إذا قتله أن يقوم أهل خراسان فى وجهه ويثأروا له، فبدأ أبو العباس يخطط للتخلص من الخلال[2]، فبدأ فى إقصاء أتباعه والولاة الموالين له، ثم اتصل بأبى مسلم الخرساني[3] واتفقا على التخلص من أبى سلمة الخلال[4] ويروى أن أبا مسلم هو الذى اقترح قتله[5] للتخلص منه وأرسل من قتله[6] فى خراسان سنة 132هـ، وقبل مقتل الخلال أعلن بأن الخليفة رضى عن الخلال وأضفى عليه الهدايا والإكرام[7]، وبعد اغتياله أذيع بين الناس بأن الخوارج هم الذين قتلوا الخلال[8].

---

(1) ابن الأثير: جـ4 ص336.

(2) اتفق البلاط العباس على التخلص من أبى سلمة الخلال، وكان الخليفة يرى التريث فى قتل أبى سلمة، أما رأى المنصور وعمه داود بن على فكان الإسراع بتنفيذ الأمر، إلا أنهما لم يلبثا أن ركنا إلى رأى أبى العباس ورأوا أن يكتب إلى أبى مسلم الخرسانى ليوجه من يقتله. ابن الأثير: جـ4 ص336 بيروت، العانى: سياسة المنصور ص71، ص73.

(3) أرسل أبو العباس رسالة مع أبى جعفر المنصور إلى أبى مسلم الخراسانى يقول فيها المنصور على لسان أبى العباس متهمًا أبا سلمة بأنه قد شمخ بأنفه على أمير المؤمنين حتى إنه ما يعد الخلافة بشىء وإنه يعترض علينا اعتراضًا يجل عن الوصف وما يمنع أمير المؤمنين من الإساءة والوقوف عليه إلا غضبك؛ لأنك أنت الذى جعلته مشيرًا ووزيرًا. ابن أعثم الكوفى: مخطوط الفتوح جـ2، البلعمى: تاريخ طبرى ص740، بالفارسية مطبعة نول كشور الهند 1291هـ.

(4) أرسل أبو مسلم إلى مرار بن أنس الضبى وقال: انطلق إلى حفص بن سليمان بالكوفة فاقتله حيث لقيته. البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص36 أ، الطبرى جـ7 ص447.

(5) كان أبو الجهم عطية عينا لأبى مسلم، فلما اتفق البلاط العباسى على قتل أبى سلمة الخلال أرسل إليه بالأخبار فقال: «إن حفصًا كان غاشًا لله والرسول والأئمة فالعنوه» فكتب أبو مسلم لأبى العباس كتابًا يشير عليه بقتل أبى سلمة الخلال وقال: "قد أحل الله لك دمه؛ لأنه نكث وغير وبدل". البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص36 أ، اليعقوبى: جـ3 ص93، المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص284.

(6) كمن له مرار بن أنس بعد خروجه من سمر عند الخليفة وقتله، البلاذرى: نفسه، اليعقوبى: نفسه، الأزدى: تاريخ الموصل جـ2 ص145.

(7) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص90.

(8) البلاذرى: نفسه، الأزدى: نفسه، الجهشيارى: نفسه.

قَتْلُ أبى مسلم الخراسانى سليمان بن كثير:

ومن الشخصيات التى تم التخلص منها نتيجة الشك فى إخلاصها سليمان بن كثير، وهو لا يقل أثرًا عن أبى سلمة[1] فهو نقيب النقباء للدعوة العباسية وكان يتمتع بنفوذ قبلى واسع، ويبدو أنه اتصل بأبى جعفر أخى الخليفة حين زار خراسان واتفقا على ضرورة التخلص من أبى مسلم، على أن هناك روايات أخرى تظهر أنه اتصل بعبيد الله بن الحسين (العلوى) الذى كان مرافقًا لأبى جعفر واتفق معه على الثورة وسلب السلطة من العباسيين[2].

على أيَّة حال فقد قتل أبو مسلم سليمان بن كثير معتذرًا بأوامر أو وصية سابقة من إبراهيم الإمام حين قال له فى حينه "ومن شككت به فاقتله" فأعلن أنه شك فى نوايا سليمان وتآمره ضد السلطان (الخليفة) ولذلك قتله، ولكن الواقع يؤكد بأن أبا مسلم قتل سليمان بن كثير؛ لأنه كان ينافسه فى الزعامة على خراسان لقدمه فى الدعوة وسلطته على القبائل اليمانية والربيعية خاصة، وقد قتل أبو مسلم سليمان دون أخذ موافقة الأمير أبى جعفر الذى كان حاضرًا فى خراسان مما سَبَّبَ غضبه ولكنه كتم غضبه ولم يتجاسر أن ينكر ذلك على أبى مسلم[3].

عهد أبو العباس قبل وفاته ولاية العهد إلى أخيه أبى جعفر، ثم لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد على العباسى بالتعاقب، فسار بذلك على سياسية الأمويين فى توليه العهد لأكثر من واحد، فكان ذلك من عوامل ظهور الخلاف والنزاع بين أفراد البيت العباسي[4].

ظل أبو العباس فى الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر، ومات بالجدرى فى مدينة الأنبار التى اتخذها قاعدة لخلافته يوم الثانى عشر من شهر ذى الحجة سنة 136هـ[5].

---

(1) انظر الطبرى: جـ7 ص450 بيروت.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) الطبرى: نفسه، فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص41-42.

(4) الطبرى: جـ7 ص470 حوادث سنة 136هـ.

(5) ابن الأثير: جـ4 ص346 بيروت.

أبو جعفر المنصور[1] (136 – 158هـ / 754 – 775م):

لما توفى أبو العباس[2] بالأنبار سنة 136هـ خلفه أبو جعفر[3] الذى لقب بالمنصور[4] والذى يعد المؤسس الحقيقى للدولة العباسية[5]، والذى يعزى إليه تمكين الأسرة العباسية من الحكم عدة قرون، وحرصه على إعلاء شأن الخلافة مما ساعد على تدعيم سلطانهم[6].

وفى أيام المنصور حدثت أحداث خطيرة منها خروج عمه عبد الله بن على[7] والى بلاد الشام على طاعته، وادعى أن أبا العباس جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان بن

---

(1) ولد أبو جعفر فى أوائل ذى الحجة سنة خمس وتسعين وكان أسمر رقيق السمرة موفور اللمة خفيف اللحية، رحب الجبهة، أعين. انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ5 ص114، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة جـ3 ص139، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ10 ص54 مطبعة السعادة 1931م.

(2) رزق أبو العباس من الولد اثنين محمد ومات صغيرًا وابنة سماها ريطة. ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ5 صـ113.

(3) كان أبو جعفر يلقب فى صغره بمدرك التراب. الديار بكرى: تاريخ الخميس جـ2 ص362 ومدرك كثير الإدراك، انظر ابن منظور: لسان العرب جـ12 ص302 – ص306. ولقب قبل أن يلى الخلافة بالطويل وبعبد الله الطويل ابن الأبار: الحلة السيراء جـ1 ص33.

(4) لقب أبى جفر "المنصور بالله" يذكر العينى أنه أول من لقب بالمنصور. انظر العينى: عقد الجمان (مخطوط) جـ7 ص161.

(5) مدحه حماد عجرد قائلًا:

أتوك بعد أبى العباس إذ بانا	**يا أكـــرم الناس أعراقًا وعيدانا**
لو عج عود على قوم عصارتـه	**يعج عودك فينـا الشهـد والبانا**

ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ1 ص316 دار الكتاب العربى 7 أجزاء.

(6) جمال سرور: الحياة السياسية ص180، يروى ابن تغرى برى: النجوم الزاهرة جـ3 ص33 حوادث سنة 158هـ عن الربيع بن يونس الحاجب أنه (الخليفة) قال: الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، والملوك أربعة معاوية وعبد الملك وهشام وأنا.

(7) كان أبو جعفر المنصور يخاف شر عمه عبد الله بن على وقد أفضى بذلك على أبى مسلم حينما جاءه مهنئًا بالخلافة قائلًا: أتخوف من عمى عبد الله بن على فقال له: لا تخفه وأنا أكفيكه. ابن الأثير: جـ4 ص348 حوادث سن 137هـ.

محمد فبعث إليه المنصور بأبى مسلم الخراساني[1] الذى تمكن من هزيمته بالقرب من نصيبين فى جمادى الآخرة سنة 137هـ، وفر مع نفر من خواصه على أخيه سليمان بن على أمير البصرة فأواه عنده[2]، ولما علم أبو جعفر بذلك أرسل إلى سليمان يأمره بإنفاذ عبد الله بن على إليه، وأعطاه من الأمان ما رضى به، فخرج سليمان على المنصور سنة 139هـ، ولكن المنصور لم يف بأمانه لعبد الله بن على، بل أمر بحبسه بعد قدومه إليه[3]، ثم قتله سنة 147هـ[4].

لم يكن عبد الله بن على محقًّا فى ثورته على الخليفة أبى جعفر لعدة أسباب؛ منها أن المنصور عينه واليًا على بلاد الشام وهو منصب له وزنه فى الدولة، إذ يعتبر من الرجال المعدودين والشخصيات البارزة فى بلاط المنصور، ثانيًا: احتجاج عبد الله بن على بأن أبا العباس السفاح جعل الخلافة لمن انتدب لقتل مروان بن محمد لا يعد وثيقة لها سندها الشرعى، إذ كان من المعروف أن ولى عهد أبى العباس حسب وصية إبراهيم الإمام كانت أن يلى الخلافة أبو العباس عبد الله، ثم أخوه أبو جعفر ثم ابن أخيه عيسى بن موسى[5]، ولم يحدث أن تغير الأمر بعد ولاية أبى العباس الخلافة ومن ثم يكون ادعائه بأن أبى العباس جعل الخلافة لمن انتدب لقتل مروان بن محمد لا يعدو إلا أن يكون على سبيل التحفيز والتحميس.

على أيَّة حال فقد كان لثورة عبد الله بن على ثلاث معان، أولها: أنها ثورة زعيم من زعماء الدولة العباسية عمل لإنجاحها بالقضاء على آخر خلفاء الدولة الأموية.

ثانيها: أنها تعنى انشقاق فى صفوف البيت العباسى حول مشكلة ولاية العهد.

وثالثها: أنها تعنى ثورة أهل الشام على العباسيين، ولذلك دلالته، لأن أهل الشام فى

---

(1) ابن الأثير: نفسه.
(2) الطبرى: جـ7 ص474 وما بعدها حوادث سنة 137هـ.
(3) المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص230.
(4) الطبرى: جـ8 ص7-8 ويذكر ابن الأثير جـ5 ص24 سنة 147هـ أن أبا جعفر المنصور عهد إلى عيسى بن موسى بقتل عبد الله بن على لكى يثير عمومته عليه، إلا أنه لم يقتله، فتخلص المنصور من عبد الله بحبسه فى بيت أساسه ملح وأجرى الماء فى أساسه فسقط عليه فمات.
(5) الطبرى: جـ7 ص470 حوادث سنة 136هـ.

الحقيقة استغلوا عبد الله بن على العباس لعبروا عن سخطهم على الدولة الجديدة[1].

عصيان أبى مسلم الخراسانى وموقف الخلافة منه:

لم يلبث أبو مسلم الخراسانى أن أصبح الزعيم الذى لا منافس له فى خراسان سنة 129هـ/747م[2]، حين أمره إبراهيم بإظهار الدعوة وإعلان الثورة فى خراسان فتمكن بكل ما أوتيه من ذكاء ومقدره عسكرية من السيطرة على الوضع هناك، فاستطاع أن يوحد الصفوف تحت قيادته فى وقت قصير، رغم تطاحن القوى وتصارعها سياسيًّا وقبليًّا، وبذلك قلب موازين القوى فى المنطقة بتحويله الموقف لصالح الثورة العباسية[3]، وبدأ نفوذه يتسع خارج خراسان وفى أقاليم فارس، وتخلص من كل العناصر التى كانت تنازعه السيادة[4]، وكان يرفض أن يكون أحدًا وصيًّا على تصرفاته، فتجاهل تمامًا شيوخ ونقباء الدعوة معه فى خراسان، والأغرب من ذلك أنه رفض الإذعان لأمر الخليفة العباسى حين وجه عمه عيسى بن على سنة 132هـ/750م واليًا على فارس، وكان عليها محمد بن الأشعث فأراد محمد قتله فقيل له: إن هذا لا يسوغ لك فقال: بلى أمرنى أبو مسلم أن لا يقدم أحد على يدعى الولاية من غيره إلا ضربت عنقه، ثم خلى سبيله[5]، فرجع عيسى إلى الخليفة فأخبره ذلك فكظم غيظه، وأمر عمه بالمقام عنده فأقام[6]، فكانت قرارات أبى مسلم تتصادم مع قرارات الخليفة، ولذلك لم يعد الخليفة أبو العباس أو أبو جعفر يتحملان سلطته الواسعة[7].

ويبدو أن أبا العباس كان أعجز من أن يتخذ ضد أبى مسلم أىَّ إجراء صارم، أما المنصور فكان على عكس ذلك؛ لأنه كان يرغب فى أن تكون سلطة الدولة ظاهرة فى جميع المناطق التى تسيطر عليها، ويجب على الجميع بما فيهم الولاة احترام وتنفيذ القرارات الصادرة عنها، وكل من يشذ عن هذه القاعدة يجب اتخاذ القرار المناسب تجاهه بغض

---

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص49.
(2) الطبرى: جـ7 ص355، الذهبى: سير أعلام النبلاء جـ5 ص35، العانى: سياسة المنصور ص162.
(3) العانى: سياسة المنصور ص162.
(4) فان فلوتن: السيادة العربية ص129.
(5) ابن الأثير: جـ4 ص339 بيروت.
(6) الدينورى الأخبار الطوال ص357.
(7) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص51.

النظر عما قدم من خدمات[1].

وزادت سياسة اللين أبا مسلم من غروره الذى دفعه إلى تعيين أبى الجهم عطية جاسوسًا له فى بلاط العباس، وكان الخليفة يعلم هذه الحقيقة، لكنه تجاهلها خوفًا من إغضاب أبى مسلم الذى كان يرى فى غضبه خطرًا على كيان الدولة الجديدة[2].

كان المنصور على النقيض من سياسة أخيه الخليفة ولم يوافقه فى نظرته هذه، فضلًا عن أنه لم يكن مرتاحًا لوجود أبى الجهم فى البلاط بهذا الشكل، واعتبر وجوده إهانة للبلاط بأسره، وكان من حصيلة اختلاف وجهات النظر هذه بين الخليفة وأبى جعفر من جهة وأبى جعفر وأبى مسلم من جهة أن برزت المنافسة بين المنصور وأبى مسلم من أجل الزعامة والتصدى للأمور، فكانت جميع تصرفات أبى مسلم لولى العهد مُنْصَبَّة على هذه الناحية، ناسيًا أو متناسيًا ما للمنصور من مكانة سياسية مرموقة عند الخليفة، وربما أثرت هذه المكانة على مستقبله السياسى، ولكن يبدو أن أبا مسلم كان يسعى لإزاحة المنصور عن طريقه؛ لذا لم يعبأ لوجوده أو لمكانته، يؤيد ذلك ما قاله وهو فى طريقه إلى العراق "إنى لأرجو أن يموت أبو العباس، فأكون أقوى مما بعده، ثم أغلب على الأمر ويكون لى شأن من الشأن، فلا تبقى بلدًا إلى وطيته برجلى هاتين[3].

لم تلبث هذه المنافسة أن ظهرت بصورة واضحة سنة 132هـ/750م حين أرسل الخليفة أخاه المنصور بصحبة الحجاج بن أرطاه الفقيه وإسحق بن الفضل الهاشمى وغيرهم إلى خراسان لاستشارة أبى مسلم وأخذ رأيه فى انحراف أبى سلمة الخلال فلم يحتفل به..." [4].

ومما زاد الأمر سوءًا إقدام أبى مسلم على قتل سليمان بن كثير الخزاعى ـ شيخ النقباء العباسيين ـ حين وشى به أنه قال: "حفرنا نهرًا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء (يعنى أبا مسلم) فبلغ أبا مسلم قوله فاستوحش منه وشهد عليه بقوله: "اللهم سود وجه أبى

---

(1) العانى: سياسة المنصور ص163-164.
(2) ابن الأثير: جـ4 ص338.
(3) انظر الدينورى: الأخبار الطوال ص356.
(4) البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص39 أ، العينى: الخطوط عقد الجمان جـ7 ص15 وهذا يفسر لنا وضعه قوات فى الرى بلغ قوامها ثمانية آلاف مقاتل لتكون على أهبة الاستعداد عند استدعائها وأقبل فى ألف مقاتل. البلاذرى: نفسه، الطبرى: جت ص448.

مسلم كما سودت هذا العنقود"[1].

وجرت هذه الحادثة أثناء وجود المنصور هناك فتجاهل أبو مسلم وجوده ولم يستشره فى هذا الأمر الخطير، ونفذ الأمر فى سليمان بدون الرجوع إلى رأيه، واكتفى بأن كتب إلى الخليفة يعلمه بقتله لسليمن فلم يجيه على كتابه[2] ويظهر أن قتل سليمان كان سببه التنازع على السلطة التى أراد أن ينفرد بها أبو مسلم دون منافس[3].

وهذه الحادثة وسابقتها أثارت فى نفس المنصور حقدًا شديدًا على أبى مسلم، وشعور بالمرارة جعلته يقول لأخيه عند رجوعه من خراسان "لست بخليفة ولا أمرك بشىء إن لم تقتل أبا مسلم فقال أبو العباس: وكيف ذلك؟ فقال: لا والله ما يعبأ بنا، ولا صنع إلا ما يريد فقال له أبو العباس: اسكت واكتمها"[4].

لم يتخل المنصور عن سياسته تجاه أبى مسلم، ولم يشأ أن يتركه يستمر فى غطرسته وجبروته، وأخذ يلح على أخيه بضرورة التخلص منه، وتحت وطأة هذا الإلحاح اقتنع الخليفة أخيرًا بوجهة نظر أخيه ودبر لاغتيال أبى مسلم سنة 135هـ/752م حين دَسَّ له سباع بن النعمان الأزدى، فلما اتجه أبو مسلم للقضاء على تمرد زياد أخبره هذا بتفاصيل المؤامرة فقبض أبو مسلم على سباع الأزدى وقتله[5].

أما المحاولة الأخيرة لاغتيال أبى مسلم، فقد جرت أحداثها فى الأنبار سنة

---

(1) اليعقوبى: تاريخه جـ3 ص91، مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص35ب، 39، الأخبار الطوال ص356، بيرس الجوادار: زبدة الفكرة جـ4 ص136.

(2) البلاذرى: أنساب الأشراف جـ3 ص37 أ (مخطوط)، عقد الجمان: جـ7 ص30 أ، العانـى: سياسة المنصـور ص165.

(3) انظر: مجهول (من القرن 11م) تاريخ الخلفاء ص520.

(4) أنساب الأشراف جـ3 ص37 أ.

(5) الطبرى: جـ 7 ص450، بيرس الدوادار: مخطوط زبدة الفكرة جـ4 ص126 وفى رواية أنه قال لأبى العباس: لست بخليفة ما دام أبو مسلم حيًا، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك، فلقد رأيته وكان لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن عذره ونكثه فقال أبو العباس: وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبه واتباع أمره وإيثار طاعته فقال له: فذاك والله أحرى أن لا تأمنه فاحتل له فقال أبو العباس: يا أخى اضرب عن هذا ولا يعلمن رأيك فى ذلك أحد". الدينورى: الأخبار الطوال ص356، ابن كثير: البداية والنهاية جـ10 ص98.

136هـ/753م حين كتب أبو مسلم إلى أبى العباس يستأذن فى الحج، فكتب إليه أن الجهاد أفضل من الحج، فكتب إليه أنه لا بد لى من الحج، فإنى حججت وأنا تابع بغير مالى وعلى غير طهرى وفى نفسى من ذلك شىء، فكتب إليه يأمره بالمسير إليه فى ألف ويقول له: إنما تسير فى سلطان أهلك وطريق مكة لا تحتمل العسكر، فأما المال فلا تستكثر منه وعول علينا به، فأقبل فى الرجال ومعه الأموال حتى نزل الرى، فخلف فيه ثمانية آلاف فارس وخلف الأموال وأتى الأنبار فى ألف[1]، واستخلف على خراسان خالد بن إبراهيم الذهلى[2] أما الجهشيارى[3] فذكر أن "أبا الجهم بن عطية كان ينوب عن أبى مسلم بحضرة أبى العباس ويخلفه، فلما ثقلت وطأة أبو مسلم على أبى العباس، وكثر خلافه إياه ورده لأمره قال لأبى الجهم: اكتب إليه وأشر عليه بالاستئذان فى القدوم فكتب إليه أبو الجهم بذلك... فكتب مستأذنًا فمنعه أبو العباس وقال له: خراسان لا تحتمل مفارقتك لها وخروجك عنها وتركه شهرًا ثم قال لأبى الجهم أعد له الكتاب بمثل ذلك... وفى الثالثة أذن له".

وفى نفس الوقت كان الخليفة قد كتب لأخيه المنصور وهو يومئذ بالجزيرة يقول له، "إن أبا مسلم قد استأذن فى الحج وهو مغلس، فأقدم حاجًّا[4] فأسرع المنصور وقدم الأنبار فوصلها قبل وصول أبى مسلم إليها".

وقد رأى المنصور أن هذه الفرصة مناسبة جدًّا لاغتيال أبى مسلم فى الأنبار بعيدًا عن مركز قوته فى خراسان، وزاد من تدهور الموقف وتصعيد روح الحقد والكراهية فى نفس المنصور أن أبا مسلم لما دخل على أبى العباس وسلم عليه، تجاهل وجود أبى جعفر ولم يسلم عليه فنبهه الخليفة قائلًا: هذا أبو جعفر أخى. فأجاب أبو مسلم: إن مجلس أمير المؤمنين لا تقضى فيه الحقوق"[5].

---

(1) أنساب الأشراف جـ3 ص39 أ، الأخبار الطوال ص357، الطبرى: جـ7 ص469، ابن الأثير: جـ4 ص345.
(2) الذهبى: مخطوط سير أعلام النبلاء جـ5 ص36 أ.
(3) الوزراء والكتاب ص93-94.
(4) عقد الجمان (مخطوط) جـ7 ص157، العانى: سياسة المنصور ص168.
(5) أنساب الأشراف جـ3 ص37 أ، اليعقوبى: تاريخه جـ2 ص91، ابن قتيبة:عيون الأخبار جـ1ص17.

ولا شك أنه كان لهذه الحادثة ردود فعل عنيفة فى نفس المنصور، ظهرت بوادرها واضحة على سلوكه وتصرفاته، فأشار على أخيه بضرورة التخلص من أبى مسلم فقال له: يا أمير المؤمنين أطعنى واقتل أبا مسلم، فوالله إن فى رأسه لغدرة فأجابه الخليفة: يا أخى قد عرفت بلاءه، وما كان منه فقال أبو جعفر: يا أمير المؤمنين إنما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنورًا لقام مقامه وبلغ ما بلغ فى هذه الدولة، فقال له أبو العباس: فكيف نقتله؟ فقال له: إن دخل عليك وحادثته وأقبل عليك فدخلت فغفلته فضربته من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه، فقال له أبو العباس: فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم؟ قال: يؤول ذلك كلُّه إلى ما تريد، ولو علموا أنه قد قتل تفرقوا وذلوا، قال: عزمت عليك إلا كففت عن هذا قال: أخاف والله إن لم تتغده اليوم يتعشاك غدًا، قال: فدونكه أنت أعلم..." [1].

على أيَّة حال فقد استمر أبو مسلم يتردد على مجلس الخليفة، فلما قرب موسم الحجِّ استأذنه فى أن يكون أمير الموسم، فقال أبو العباس: لولا أن أخى على الحج عامه هذا لوليتك الموسم فإنك رجل منَّا أهل البيت، فامتعض أبو مسلم من ذلك وقال: أما وجد أبو جعفر سنة يحج فيها إلا هذه السنة التى حججت فيها وأضغنها أبو جعفر عليه[2].

لم يتوانَ أبو العباس عن محاولة اغتيال أبى مسلم عدة مرات، كان آخرها يوم أن مر أبو مسلم بمدينة الهاشمية يريد الحجَّ سنة 136هـ، إلا أن الخليفة عدل عن رأيه فى اللحظة الأخيرة رغم إلحاح أخيه أبى جعفر على قتله.

وفى طريق الحجِّ كان موكب أبى مسلم يضاهى موكب أبى جعفر فى أبهته وعظمته وإسرافه[3] وفى طريق الرجوع حدث أن توفى الخليفة أبو العباس موصيًا لأبى جعفر

---

(1) الطبرى: جـ7 ص468، المقدس: البدء والتاريخ جـ6 ص75، ابن الأثير: جـ4 ص346.
(2) أنساب الأشراف (مخطوط) جـ3 ص39 أ، الطبرى: جـ7 ص470، ص479.
(3) كان أبو مسلم يتقدم أمام أبى جعفر غاديًا وراجعًا خوفًا على نفسه، وقام على تسهيل الطرق وحفر الآبار وكسوة الأعراب فى كل مكان، فكان الصيت والذكر له دون الخليفة. ابن الأثير: جـ4 ص350، وأمر منادى الطريق: برئت الذمة من رجل أوقد نارًا فى معسكر الأمير، فلم يزل يغدِّيهم ويعشيهم حتى بلغ مكة وأوقف فى المسعى خمسمائة وصيف يسقون من سعى من الحجاج بين الصفا والمروة. ابن جابر الله مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث سنة 136هـ.

بالخلافة، ولكنَّ أبا مسلم لم يهتم بالخليفة الجديد[1]، وقد راودت أبا جعفر فكرة قتل أبى مسلم قبل الوصول إلى العراق، وبلغ من شدة غضبه أن استدعى عطية بن عبد الرحمن التغلبى وأعطاه كتابًا إلى أبى مسلم[2] يرد فيه على كتابه وأوصاه باغتيال أبى مسلم أثناء قراءته الكتاب، فقال له إسحاق بن مسلم: يا أمير المؤمنين، إنه لا يؤمن أن ينبو سيفه فيقتل باطلًا ويكر العلج علينا، وقال يزيد بن أسيد قول القطاعى:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ثم أشار عليه قائلًا: إنى أكره أن تجامعه فى الطريق والناس جنده وهم له أطوع، وله أهيب، وليس معك أحد، وقال له أبو أيوب كاتبه: أخِّر الأمر حتى نقدم إلى شيعتك وأهل بيتك، فاقتنع المنصور بوجهة نظرهم وأجل الموضوع إلى وقت أكثر ملائمة وأنفذ الكتاب مع شخص آخر[3].

عدل أبو جعفر عن فكرة قتل أبى مسلم، بعد أن استشار صحابته فى ذلك، لأنه كان إزاء خطر عمه عبد الله بن على فى الشام؛ حيث كان أبو جعفر يتوقع أن يثور هذا العباسى الطموح، وكذلك محمد ذو النفس الزكية فى الحجاز[4].

ورغم كثرة الروايات وتناقضها، فيبدو أن أبا مسلم تأخر فى إعطاء البيعة لأبى جعفر[5]، إلا أنه بعد أن بايعه أبدى استعداده للمساعدة تجاه الأخطار المحتمل حدوثها[6]

---

(1) علم أبو مسلم بخبر وفاة أبى العباس أولًا لتقدمه فى المسير فكتب إلى أبى جعفر: عافاك الله وأعظم أجرك، أتانى خبر وفاة أمير المؤمنين رحمه الله، فبلغ منى أعظم مبلغ وزادنى وجعًا وألمًا. فلما قرأ المنصور استشاط غضبًا؛ لأن أبا مسلم بدأ الكتاب بنفسه أولًا، ولم يهنئه بالخلافة ثانيًا. مخطوط أنساب الأشراف: نفسه.

(2) جاء فيه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الرحمن وصل كتابك فرأيتك غير موفق المرشد ولا مسدد الصواب، ولكنى ذكرت ما تقدم من طاعتك فعطفت عليك وقد وليتك مقدمتى، فسر على اسم الله وبركته حتى توافى الأنبار، ومن أنكرت من أمره شيئًا من عمالنا فاصرفه واستبدل به. أنساب الأشراف: نفسه.

(3) البلاذرى: نفسه.

(4) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص51.

(5) أرسل له البيعة بعد يومين، وكان قصد أبى مسلم من ذلك إرهاب أبى جعفر بتأخيرها. أنساب الأشراف: نفسه.

(6) لما علم أبو مسلم باستخلاف المنصور كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم أصلحك الله يا أمير

وقد أمره الخليفة أبو جعفر بالإسراع إلى الكوفة والسيطرة عليها قبل حدوث الشغب[1].

ويظهر أبو مسلم فى الكوفة لأول مرة نواياه الخطرة تجاه المنصور فيعرض على ولى العهد عيسى بن موسى أن يتعاونا معًا لتنحية الخليفة وتنصيب عيسى خليفة للمسلمين، وقد أنكر عيسى ذلك وحذره من مغبة هذه الخطة[2] وفشل المشروع.

ولا شك أن الظروف التى واجهت (أبا جعفر كانت حرجة، ولم يكن هناك مجال للقضاء على أبى مسلم، فقد ثار عبد الله بن على[3] فى الشام وتمكن من السيطرة على حلب وقنسرين وديار ربيعة ومضر وسائر الشام[4] وقضى أبو مسلم على حركته، وكان إرسال أبى جعفر أبا مسلم لمواجهة عبد الله حركة بارعة، ذلك لأن الخليفة سينتفع إذا قتل أيًا منهما، ثم إن إرسال أبى مسلم إلى الشام حال دون رجوعه إلى خراسان مركز نفوذه وقوته، كما أن الخليفة لم يعط أبا مسلم القيادة الكاملة لكل القوات العباسية فى الشام، بل أرسل كتائب أخرى بقيادة الحسن الطائى وصالح بن على العباسى، وكان هذان القائدان غير مرتبطين بأبى مسلم، كما كانت لديهما الأوامر بمراقبة تحركات ونوايا أبى مسلم[5].

المؤمنين صلاحًا ناميًا باقيًا، بلغنى هذا الأمر الذى أفظعنى وأتانى به كتاب عيسى بن موسى مع محمد بن الحصين إلا أنه سرى عنى الغم ولوعة المصيبة ما صار إليك من الأمر، فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك فيما ولاك وأن يبارك لك فيما قلدته، اعلم أنه ليس لك يا أمير المؤمنين أشد تعظيمًا لحقك وحرصًا على سيرتك منى، والله أسأل لك السلامة فى الدين والدنيا. البلاذرى: أنساب الأشراف جـ3 ص39 أ، الطبرى: جـ7 ص472.

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص51.

(2) وقال له: الأمر لعمى ولو قدمنى أبو العباس لقدمته على نفس. أنساب الأشراف: نفسه، ابن أعثم الكوفى: مخطوط الفتوح جـ2، العانى ص173.

(3) يذكر بعض المؤرخين عن عبد الله أنه قال حين صمَّم على الثورة "وإنَّ أبا العباس حين أراد أن يوجه الجنود على مروان بن محمد دعا بنى أبيه فأغراهم على المسير إليه فقال: من انتدب فيكم فسار إليه فهو ولى عهدى، فلم ينتدب أحد غيرى، فعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت". اليعقوبى: تريخه جـ3 ص104، أنساب الأشراف جـ3 ص30 أ، الطبرى: جـ7 ص474، ابن أعثم: نفسه، الأزدرى: تاريخ الموصل جـ2 ص162.

(4) ابن العديم: زبدة الحلب جـ1 ص57، وانظر ياسين العرى (مخطوط) غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد ص125.

(5) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص51-52، العانى: سياسية المنصور ص172-173.

وبعد القضاء على ثورة عبد الله بن على وهروبه إلى البصرة[1] عول أبو مسلم على الرحيل على خراسان، لكن الخليفة عاجله بإرسال يقطين بن موسى يحصى غناءه وأمواله[2] التى حصل عليها من عبد الله، وقد أثار هذا العمل أبا مسلم واعتبرها إهانة موجهة له فقال: "أمين على الدماء خائن فى الأموال"[3]، ورفض هو وقواده تسليم الأموال على اعتبارها غنائم توزع على المقاتلة[4]، لكن الخليفة تصرف بحذر وذكاء فكتب إلى أبى مسلم الخراسانى أنه لم يكن فى نيته أخذ الغنائم، بل إنه تنازل عن حصة بيت المال، وأنه سيرسل جوائز سنية إلى القواد بمناسبة الانتصار وطلب الخليفة من أبى مسلم مقابلته لأمر هامٍّ[5] غير أن أبا مسلم كانت من الفطنة والدهاء، بحيث لم يؤخذ تلك الحيلة، فعزم على الرحيل وكتب إلى الخليفة: "إنه لم يبق لأمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ أحد إلا ومكنه الله منه، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان بأن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء، فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريون بالسمع والطاعة، وغير أنها من بعيد تقارنها السلامة فإن أرضاك ذلك فإنا كأحسن عبيدك، فإن أبيت إلا أن تعطى نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي"[6] فأجابه الخليفة: قد فهمت كتابك، وليس صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فإنما راحتهم فى انتشار نظام

(1) أنساب الأشراف مخطوط جـ3 ص31 أ، ابن أعثم الكوفى: مخطوط الفتوح جـ2، العينى: عقد الجمان جـ7 ص362.

(2) ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ1 ص6، البسوى: المعرة والتاريخ جـ1 ص58، مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص41 أ.

(3) البسوى: جـ1 ص119، أنساب الأشراف جـ3 ص41 أ، اليعقوبي: تاريخه جـ3 ص106.

(4) لما رأى يقطين ثورة أبى مسلم وغضبه أراد أن يهدئ من نفسه فقال له "إن أمير المؤمنين ما وجهنى إليك إلا مهنئًا بالفتح"، وقد عجلت أيها الأمير، إنما أمرنى أن أحصى ما وجدت بعكسر عبد الله ثم أسلمه إليك لتعمل فيه برأيك وتصنع ما أردت" ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ2 ص26، البلاذرى: نفسه، اليعقوبى: نفسه، المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص302.

(5) كتب الخليفة إلى أبى مسلم: "أردت مذاكرتك فى أشياء لم يحتملها الكتاب فأقبل فإن مقامك قلبي"، الدينورى: الأخبار الطوال ص259، المسعودى: نفسه.

(6) الطبرى: جـ7 ص483، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص11، الأزدى: تاريخ الموصل جـ2 ص165، مخطوط زبدة الفكرة جـ4 سنة 137هـ.

الجماعة، فلم سويت نفسك بهم وأنت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به وليس من الشريطة التى أوجبت منك سمع ولا طاعة، وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن غليها أن أصغيت إليها وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك[1] فإنه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عند – وأقرب من طبه (سحره) من الباب الذى فتحه عليك"[2] وأرسل أبو جعفر الرسالة مع كبار رجال البلاط وبعض الهاشميين الذين طلبوا منه أن يقدم على الخليفة حيث ولاه الشام ومصر، فأجاب أبو مسلم: "هو يولينى الشام وخراسان"[3] ولم يكن مقتنعًا بنوايا المنصور، ولذلك استمر فى سفرته إلى خراسان[4]،

إن هذه اللحظة الحاسمة من العلاقات بين الخليفة وأبى مسلم شهدت سلسلة جديدة من المناورات السياسية التى تضمنتها الرسائل المتبادلة بين أبى مسلم والخليفة، على أن ما يلفت النظر فى هذه الرسائل هى تلك التى أرسلها أبو مسلم لغرابتها فى الألفاظ والنص ورغم قوة إسنادها، فإن طبيعة متنها يجعلنا نشك فى صحتها؛ ذلك لأن أبا مسلم يهاجم فى هذه الرسالة إبراهيم الإمام ويصفه بالتطرف، وأنه حرَّف القرآن طمعًا فى الدنيا ومكاسبها، وأنه أباح له القتل بالشك من أجل إنجاح الدعوة والتخلص من الخصوم وتثبيت سلطان العباسيين ومس حق العلويين[5] ونص هذه الرسالة "بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الرحمن بن مسلم إلى عبد الله بن محمد: أما بعد فإنى اتخذت أخاك إمامًا – يقصد إبراهيم الإمام – وكان فى قرابته برسول الله ﷺ ومحله من العلم على ما كان ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعًا فى قليل من الدنيا، قد نعاه الله لأهله، ومثلت له ضلالته على صورة العذاب. فأمرنى أن أجرد السيف، وآخذ بالظنة، ولا أقبل معذرة، وأن أسقم البرىء وأبرئ السقيم، وآثر أهل الدين فى دينهم، وأوصانى فى غوركم من أهل بيتكم الغشوة بالإفك والعدوان، ثم إنَّ الله بحمده ونعمته استنقذنى بالثورة وكره لى الجور، فإن

---

(1) الطبرى: جـ7 ص482-484، المقدسى: البدء والتاريخ جـ6 ص78.

(2) مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص41 أ، الطبرى: جـ7 ص482-484.

(3) كتب الخليفة إلى أبى مسلم: إنى قد وليتك الشام ومصر فهما أفضل من خراسان، فوجه على مصر من أحببت وأقدم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتيته قريبًا. البلاذرى: أنساب الأشراف جـ3 ص41، الطبرى: جـ7 ص483، ابن الأثير: جـ4 ص350 – 351.

(4) الطبرى: جـ7 ص483-484، ابن الأثير: جـ4 ص351-352.

(5) الطبرى: نفسه، فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص52-53.

يعف فقديًا عرف ذلك منه، وأن يعاقب فبذنوبى، وما الله بظلام للعبيد"[1].

أنه لمن الصعب تصور أبى مسلم وهو يكتب مثل هذه الرسالة، ثم يسمح لنفسه بعدها بمقابلة الخليفة، ولكن إذا كانت هذه الرسالة صحيحة فهى تظهر أبى مسلم فى حالة نفسية وعصبية لا يحسد عليها، حيث شعر بأن كرمته قد جرحت بعدم تقييم الخليفة فموقفه أثناء الثورة وقضائه على أعداء الدولة وآخرهم عبد الله ابن على، خاصة وأن أبا مسلم كان معتزًّا بنفسه وبأعماله فى سبيل الدعوة، لذلك اندفع على كتابة هذه الرسالة، وهو فى حالة شديدة من الشغب، ولكن الخليفة ظل رابط الجأش مسيطر على أعصابه حذرًا فى اتخاذ الموقف لئلا يجعل أبا مسلم يفلت من قبضته[2].

وأرسل المنصور إلى أبى مسلم كتابًا مع أبى حميد المروزى وأوصاه قائلًا: كَلِّم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحد ومنه، وأعلمه أنى رافعه وصانع ما لم يصنعه أحد، إن هو صلح وراجع ما أحب، فإن أبى أن يرجع فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: لست للعباس وأنا برىء من محمد، أن مضيت مشاقًّا ولم تأتنى، أن كلت أمرك إلى أحد سواى، وإن لم آل طلبك وقتالك بنفسى، ولو خضت البحر لخضته، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها، حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك؛ ولا تقولوا له هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه ولا تطمع منه فى خير"[3].

وعلى أثر وصوله أبى حميد والوفد المرافق له تغير الموقف لصالح الخليفة، فحين دخل عليه، وهو لا يزال بحلوان، دفع إليه كتاب المنصور وقال له: أن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله، وخلاف ما عليه برأيه فيك حسدًا وبغيًا، يريدون إزالة النعمة وتغييرها، فلا تفسد ما كان منك، وإنك لم تزل أمين آل محمد يعرفك الناس، وما ذخر الخليفة لك من الأجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرك، ولا يستهوينك الشيطان، فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلمنى بهذا الكلام؟ قال: أنت دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبى r ، أمرتنا بقتال من خالف ذلك، فدعوتنا من أرضين

---

(1) مخطوط: أنساب الأشراف جـ3 ص141، الطبرى: جـ7 ص483-484، ابن أعثم: مخطوط الفتوح جـ2، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ10 ص208.
(2) البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص141.
(3) الطبرى: نفسه، ابن الأثير: نفسه.

متفرقة، وأسباب مختلفة، فجمعنا الله على طاعتهم، وألف بين قلوبنا بمحبتهم وأعزنا بنصرنا لهم، ولم نلق منهم رجلًا إلى بما قذف الله فى قلوبنا، حتى أتيناهم فى بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة، أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا، وقد قلت لنا: من خالفكم فاقتلوه، وأن خالفتكم فاقتلونى، فالتفت أبو مسلم على أبى نصر مالك بن الهيثم الخزاعى، فقال له: يا مالك أما تسمع ما يقول هذا، ما هذا بكلامه يا مالك؟ فقال مالك لا تسمع كلامه، ولا يهولنك هذا منه، فلعمرى لقد صدقت ما هذا كلامه، ولما بعد هذا أشد منه فامض لأمرك ولا ترجع فوالله لئن أتيته ليقتلنك، وقد وقع فى نفسه منك شيء لا يأمنك أبدًا فقال: أبو مسلم: قوموا فنهضوا وأرسل إلى نيزك وقال له: يا نيزك إنى والله ما رأيت طويلًا أعقل منك، فما ترى، فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا؟ قال: لا أرى أن تأتيه، وأرى أن تأتى الرى تقيم بها، فيصير ما بين خراسان والرى لك وهم جندك وما يخالفك أحد فإن استقام لك استقمت له، وإن أبى كنت فى جندك، وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك. فدعا أبا حميد فقال: ارجع إلى صاحبك فليس من رأيى أن أتيه قال: قد عزمت على خلافه: قال: نعم، قال: لا تفعل. قال: ما أريد أن ألقاه فلما أيسه من الرجوع قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلًا ثم قال: قم، فكسره ذلك القول ورعبه[1]

.وقد استطاع أبو جعفر المنصور فى نهاية المطاف باستغلاله بعض أصحاب أبى مسلم أمثال عيسى بن موسى، وجرير بن يزيد البجلى أن يقنع أبا مسلم بضرورة مقابلة الخليفة، وقد تمكن جرير البجلى. وكان أوحد زمانه فى المكر والخداع والدهاء أن يخدعه بكلامه وسحره[2]، حين قال له: أيها الأمير، ضربت الناس عن عرض لأهل هذا البيت، ثم تنصرف على هذه الحالة، ما أمن أن يعيبك من هنالك ومن ههنا، وأن يقال طلب بثأر قوم ثم نقض بيعتهم، فيخالفك من تأمن مخالفته إياك، وأن الأمر لم يبلغ عن خليفتك ما تكره، ولا أرى أن تتصرف على هذه الحال، وساعده عيسى بن موسى، حتى إنه ضمن له الوفاء

---

(1) الطبرى: جـ7 ص484 – 485، ابن الأثير: جـ4 ص351-352.

(2) المقدسى: البدء والتاريخ جـ6 ص79.

من المنصور[1].

ولم يجد أبو مسلم طريقًا آخر إلا الطريق الذى يوصله إلى الخليفة خاصة بعد أن سد أبو جعفر فى وجهه طريق خراسان بتعينه واليًا جديدًا لها هو أبو داود خالد بن إبراهيم الذهل[2] الذى أرسل رسالة[3] إلى أبى مسلم يعلمه فيها بأن الطاعة خير من المعصية، ويحذره من العودة إلى خراسان دون موافقة الخليفة، فاستدعى أبو مسلم أبا إسحاق المروزى، وكان من يثق بهم فشاوره فى الأمر وقال له: "... وهذه سيوف أبى جعفر من خلفنا، وقد أنكرت من كنت أثق من أمر أمرائى فقال أبو إسحاق: أيها الأمير هذا رجل يضطغن عليك أمورًا متقدمة، فلو كنت إذ ذاك هداك رأيك ووليت رجلًا من آل على بن أبى طالب كان أقرب، ولو أنك قبلت توليته إياك.. الشام والصائفة مدت بك الأيام وكنت فى فسحة من أمرك فوجهت إلى المدينة، فاختلست علويا فنصبته إمامًا، فاستلمت به أهل خراسان وأهل العراق ورميت أبا جعفر بنظيره، فكنت على طريق تدبير، أتطمع أن تحاسب أبا جعفر وأنت بحلوان وعساكره بحلوان، وعساكره بالمدائن وهو خليفة مجمع عليه... لكن بقى لك أن تكتب إلى قوادك... قال: هذا رأى إن وافقنا عليه قوادنا، قال: فما دعاك إلى خلع أبى جعفر وأنت على غير ثقة من قوادك... أرى أن توجه بى إليه حتى أسأله لك الأمان، فإما صفح وإما قتل على عز، قبل أن ترى المذلة من عسكرك، أما قتلوك وأما سلموك[4].

رأى أبو مسلم أن يبعث بأبى إسحاق إلى مقر الخليفة ليطلع على شعور المنصور والقواد نحوه[5]، فلما علم الخليفة بإرسال أبى إسحاق إليه أمر أفراد البيت الهاشمى بتلقيه وإكرامه واستقبله بالحفاوة والتعظيم، وتمكن من استمالته إلى جانبه ووعده بولاية خراسان قائلًا له: اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان[6]، فرجع أبو إسحاق إلى أبى

---

(1) البلاذرى: (مخطوط) أنساب الأشراف جـ3 ص141.

(2) صديق أبى مسلم ونائبه على خراسان.

(3) يقول فيها "إنا لم نخرج لمعصية الله وأهل بيت نبيه r". الطبرى: جـ7 ص486، الذهبى: سير أعلام النبلاء (المخطوط) جـ5 ص39، العانى: ص181 – 182.

(4) الذهبى: (مخطوط) سير أعلام النبلاء جـ5 ص39.

(5) الطبرى: جـ7 ص486.

(6) الطبرى: نفسه، الذهبى: جـ5 ص39.

مسلم وقال له: ما أنكرت شيئًا رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لأنفسهم وأشار عليه أن يرجع للخليفة فيعتذر إليه عما كان منه، وهكذا كان لابد لأبى مسلم أن يقابل الخليفة، فقد نجح المنصور نجاحًا باهرًا فى كسب واستمالة أصحاب أبى مسلم المقربين إلى صفه، فاقتنع هؤلاء أبا مسلم أما بطريق التهديد، أو الترغيب مقابلة الخليفة، فاستجاب أبو مسلم أخيرًا وقرر السفر إلى المدائن لمقابلة المنصور، رغم تحذير مستشاره نيزك بعدم الذهاب، فلما أعياه ذلك قال: له: أما إذا اعتزمت على هذا فخار الله لك، واحفظ واحدة، إذا دخلت على المنصور فاقتله، ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك[1].

وكتب أبو مسلم إلى الخليفة يخبره بأنه منصرف إليه واستدعى أبا نصر مالك بن الهيثم فاستخلفه على عسكره وأمواله، وأمره بالمكوث فى حلوان، وقال له: أقم حتى يأتيك كتابى، فإن أتاك مختومًا بنصف خاتم فأنا الذى كتبته، وإن أتاك بالخاتم كله، فلم أكتبه ولم أختمه، وصحب معه نحو ثلاثة آلاف فارس بأسلحتهم وتوجه إلى المدائن[2].

ولما وصل كتاب أبى مسلم إلى المنصور استعد هو الآخر للمواجهة الشاقة، والمحرجة، فرتب أموره، وأخذ يستطلع آراء المقربين له، ليتعرف على رأيهم فى قتل أبى مسلم، فدعا أبا إسحاق بن مسلم العقيلى، وشاوره فى قتل أبى مسلم، فأشار عليه بأن يفعل ذلك[3]، واستشار يزيد بن أسيد الذى أكد ضرورة التخلص منه حفاظًا على سلامة الدولة[4]، وشاور مسلم بن قتيب فى الموضوع فقال له: ما ترى فى قتل أبى مسلم؟ فقال مسلم: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا: "فقال المنصور: حسبك يا أبا أمية، لقد أودعتها أذنًا واعية"[5].

---

(1) الطبرى: جـ7 ص486.

(2) المرجع السابق: ص489، ابن الأثير: جـ4 ص353. ويذكر الطبرى فى نفس الصفحة أنه لما دنا أبو مسلم من المدائن تلقاه رجل من قواده، فسلم عليه وقال له: أطعنى وارجع فإنه إن عاينك (يقصد المنصور) قتلك فقال له أبو مسلم: قد قربت من القوم فأكره أن أرجع.

(3) انظر الجاحظ: البيان والتبيين جـ3 ص367-368، العانى ص183.

(4) انظر الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات ص139.

(5) انظر ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ1 ص36، ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ1 ص80، المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص103.

وإزاء القوات التى كان أبو مسلم يصطحبها معه فكان لا بد للمنصور من إجراءات أمن مشددة، وفى نفس الوقت أراد أن يبعث الأمن والطمأنينة فى قلب أبى مسلم، فقبل الاقتراح الذى تقدم به وزيره أبو أيوب الموريانى لتحقيق هذه الفرصة، فأخبره بأنه اتفق مع مسلمة بن سعيد بن جابر، ووعده بولاية كسكر وأطمعه فى إحسان كبير على أن يأتى أبو مسلم ويعرفه أن أبا جعفر قد عزم أن يوليه ما وراء بابه، ويستريح ويريح نفسه وأن يسأل أبا مسلم ان يوليه تلك البلد، كما أن الخليفة قابل سلمة قبل سفره لهذه المهمة فقال له: أفتحب أن تلقى أبا مسلم؟ قال: نعم فقال المنصور له: قد أذنت فأقرئه السلام، وأعلمه بشوقنا إليه، فخرج سلمة فلقيه فقال: أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأيًا فطابت نفسه، واعتقد أن ذلك هو الحق، فقصر فى التحرز والتأهب واسترسل[1]، وقد رأى المنصور استكمالًا لنجاح خطته أن يأمر الناس بالترحيب به، فكان لا يمر بمكان إلا واستقبلوه بالبر والإحسان والإكرام[2]، فلما دنا من المدائن، بعث لاستقباله ولى عهده عيسى بن موسى، زيادة فى الحفاوة به، ولإدخال الطمأنينة فى قلبه، خاصة وأن عيسى كان شديد التعظيم لأبى مسلم، وهذا كان يقدره ويحبه[3]، لذلك قال له عيسى حين قابله: "لو خير المنصور بين موت ابنه وموتك لاختار موت ابنه، فإنه لا يجد خير منك خلقًا"[4]، وذهب لأكثر من هذا حين ضمن له الوفاء من المنصور[5]، وهو لا يعلم بالخطة التى بيتها المنصور.

لقد كانت المقابلة الأولى[6] بين الخليفة وأبى مسلم ودية؛ إذ استقبل أبا مسلم بالحفاوة

---

(1) الطبرى: جـ7 ص487، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص112، العينى: عقد الجمان جـ7 ص162، وكسكر: كورة واسعة قصبتها واسط.

(2) ابن أعثم الطوفى: مخطوط الفتوح جـ2.

(3) البلاذرى: (مخطوط) أنساب الأشراف جـ3 ص141، الطبرى: ج7 ص489.

(4) المقدسى: البدء والتاريخ جـ7 ص162، العينى: عقد الجمان، جـ7 ص164.

(5) المقدسى: البدء والتاريخ جـ7 ص162، العينى: عقد الجمان، جـ7 ص164.

(6) أشار أبو أيوب المورياني على الخليفة بألا يتعجل فى مقتل أبى مسلم يوم وصوله معللًا ذلك بقوله: أنشدك الله، إنه يدخل معه الناس وقد علموا ما صنع، فإنه دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاد، ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف فإذا غدا عليك رأيك رأيك، الطبرى: جـ7 ص487، العينى: عقد الجمان، جـ7 ص164.

والتعظيم حين دخل عليه فى مجلسه فبادره أبو مسلم وقبل يده وقام قائمًا بين يديه[1]، فقال له الخليفة: كدت أن تمضى قبل أن أفضى إليك ما أريد، قال: لقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمرك[2]، فأمره بالانصراف وراحة نفسه من عناء ومشقة السفر، فخرج وخرج الناس.

وفى المقابلة الثانية كان الخليفة قد هيأ رئيس الحرس عثمان بن نهيك مع جماعة[3] من الحرس لقتل أبى مسلم بعد أن يأمرهم[4] بذلك وزيادة فى احتياطات الأمن، أمر المنصور حاجبه أن يأخذ سيف أبى مسلم إذا دخل عليه ليأمن شره[5].

ولا شك أن أبا مسلم خالجه إحساس أن وراء استدعاء المنصور أمرًا فأفضى بمخاوفه إلى عيسى بن موسى قائلًا: اركب معى إلى أمير المؤمنين، فقد أحسست بالشر، ولما كان عيسى يجهل نية المنصور فإنه قال له: أنت فى ذمتى فتقدم فإنى لاحقك، فلا تعجل بالدخول حتى أدخل معك[6]، فأقبل أبو مسلم واستأذن بالدخول إلى الخليفة، فأخبروه بأنه يتوضأ، وطلبوا منه أن يجلس برهة حتى ينتهى المنصور من وضوئه، وأبطأ عليه عيسى ابن موسى، وجاء الإذن من المنصور بالسماح له بالدخول. فلما قام ليدخل أدخله سلام الحاجب فى دهليز وحده دون جماعته[7]، ثم طلب منه أن ينزع سيفه، ونزع سيفه متغربًا بعد أن ألح عليه سلام الحاجب، فقال أبو مسلم: الآن عرف الدامى موضع سهمه"[8].

---

(1) أنساب الأشراف (مخطوط) جـ3 ص141، ابن الأثير: جـ4 ص354 بيروت، الفخرى ص135.

(2) اليعقوبى: تاريخه جـ3 ص107، المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص203.

(3) فيهم شبيب بن واج المرزوى، وابن بنته على بن أحمد بن بسطام، وأبو حنيفة حرب بن قيس، ابن الأثير: جـ4 ص354.

(4) البلاذرى: أنساب الأشراف (مخطوط) جـ1 ص141: جـ3 ص107، الطبرى: جـ7 ص488، المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص203، وكانت الإشارة المتفق عليها أثناء معاتبته لأبى مسلم أن يصفق المنصور فيخرجوا من وراء ستر خلف أبى مسلم فيقتلوه. المصادر السابقة – والخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ10 ص209، العانى: ص186.

(5) الدينورى: الأخبار الطوال ص360، تاريخ الموصل: جـ2 ص165.

(6) أنساب الأشراف: جـ3 ص41 ب، الطبرى: جـ7 ص489، المسعودى: مروج الذهب جـ3 ص203 وانظر الجاحظ: التاج فى أخلاق الملوك ص83 مطبعة السعادة 1906م.

(7) اليعقوبى: تاريخه جـ3 ص107، العانى: ص186.

(8) أنساب الأشراف (مخطوط) جـ3 ص141، الطبرى: جـ7 ص491، عقد الجمان جـ8 ص164، والمثل يقال لمن أمكن عدوه من نفسه.

أما ما حدث فى المقابلة الأخيرة، فيختلف فيه المؤرخون، ونود أن نشير إلى أن المصادر تزخر بالروايات الموضوعة؛ وذلك لأن المؤرخين حاروا فى تفسير سبب مقتبل أبى مسلم، ووضعوا تفسيرات متنوعة من نسج خيالهم، ثم إن حب الرواة العرب لعنصر الإثارة جعلهم يضعون كثيرًا من الزركشة على الحوادث، وكانت بعض الوقائع التى أشار إليها المؤرخون حول المقابلة تستند مثلًا إلى أحداث وقعت فى السابق وسببت غضب الخليفة على أبى مسلم، ولكن لا نستطيع الجزم أنها كانت سببًا مباشرًا قتله كما يزعم هؤلاء[1].

إن العداوة بين أبى جعفر وأبى مسلم ترجع إلى أيام أبى العباس، فقد أشار أبو جعفر على الخليفة بقتل أبى مسلم عدة مرات، والواقع أن خليفة مثل المنصور لم يكن يحتمل واليًا قويًّا مثل أبى مسلم[2].

1- لقد عاتب الخليفة أبا مسلم لعدم تحيته وسلامه عليه حينما زار الأخير البلاط فى عهد أبى العباس[3].

2- ذَكَّرَ الخليفة أبا مسلم بتحريض عيسى بن موسى على التمرد ضده فى الكوفة[4].

3- عاتبه على تقدمه إياه فى الحج[5].

4- وبَّخه لأنه قدم اسمه فى بعض المراسلات[6].

5- أنَّبه لأنه ناداه باسمه لا بكنيته فى بعض المناسبات[7].

6- تهجم عليه لأنه ادعى النسب العباسى من نسل سليط بن عبد الله العباس[1].

---

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص54.

(2) العانى سياسة المنصور ص188.

(3) ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ1 ص17، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ3 ص137، اليعقوبى: جـ3 ص71، العقد الفريد: جـ1 ص17.

(4) البلاذرى: أنساب الأشراف جـ3 ص129، ابن أعثم: مخطوط الفتوح جـ2 ابن الأثير: جـ4 ص350.

(5) أنساب الأشراف جـ2 ص29 ورد عليه أبو مسلم: كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك الناس، ابن الأثير: جـ4 ص354.

(6) أنساب الأشراف جـ3 ص39 أ. ابن الأثير: جـ4 ص354.

(7) رد عليه أبو مسلم قائلًا: إن وجدت الله يقول: محمد رسول الله r فى حق نبيه وقال فى حق عدوه: تبت يدا أبى لهب، فسمى نبيه وكنى عدوه، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ2 ص354ب.

7- وبخه لأنه خطب امرأة عباسية[2].

8- عاتبه لأنه تأخر عليه فى البيعة بعد سماعه بوفاة أبى العباس[3].

9- ذكَّره بالغنائم التى حصل عليها بعد قضائه على عبد الله بن على بن العباس فى الشام وخاصة مخلفات عبد الله العباس نفسه[4].

10- قتله سليمان بن كثير الخزاعى رئيس النقباء فى خراسان، وهو من الشخصيات ذات المكانة المرموقة من الدعوة العباسية دون الرجوع على الخليفة أو على ولى العهد الموجود آنذاك فى خراسان، والذى اعتبره المنصور تحديًا للدولة بأسرها، وإهانة لهيبة الخلافة وله كولى للعهد[5]. وقتله كذلك أفلح ابن مالك الفزارى أحد الشيوخ الموالين للدولة العباسية. وأجاب أبو مسلم بأنه شك فى سليمان بن كثير وقتله استنادًا على السلطة المخولة إليه من إبراهيم الإمام.

11- وأخيرًا واجهه الخليفة بالسؤال المحرج. لماذا قررت المسير إلى خراسان بدون استئذان بذلك.

ولم يكن لأبى مسلم من جواب إلا أن يذكر المنصور بخدماته فى سبيل الدعوة فأجابه الخليفة بأن العباسيين بما لهم من مكانة وكفاءة هم الذين أوصلوا الدعوة إلى النجاح، وليس لأبى مسلم شىء فإنهم لو أرسلوا مكانه أمة إلى خراسان لقامت بمثل ما قام به أبو مسلم[6].

لقد ذكر المؤرخين كل هذه التهم، لكن يبدو أن القليل منها كان موضع مناقشة فى المقابلة الأخيرة، ولو أن معظمها كان صحيحًا من الناحية التاريخية، وربما كان من العوامل المساعدة التى ألبت الخلفية على أبى مسلم، ولكن قتل أبى مسلم جاء بسبب تعاظم نفوذه بعد نجاح الثورة فى خراسان والأقاليم الشرقية وحتى فى البلاط العباسى؛

---

(1) الطبرى: جـ7 ص491، ابن الأثير: جـ4 ص354 بيروت.

(2) قائلًا: "وخطبتك أمينة بنت علي" الطبرى: جـ7 ص491، ابن الأثير جـ4 ص354.

(3) البلاذرى: مخطوط أنساب الأشراف جـ3 ص39 أ.

(4) العينى: مخطوط عقد الجمان جـ7 ص164.

(5) الطبرى: جـ7 ص491، ابن الأثير: جـ4 ص354، ابن كثير: البداية والنهاية جـ1 ص70.

(6) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص55.

حيث كان له جواسيس مثل أبى الجهم بن عطية الباهلى، ولذلك قال الخليفة له قبل قتله: ولقد ارتقيت مرتقًا صعبًا[1]، ووصفه قائلًا.

لقد اكتنفتك خلال ثلاث جلبن عليك محذور الحمام

خلافك وامتنانك ترتميني وقودك الجماهير العظـام

وقتل أبو مسلم فى نهاية المقابلة وقال للخليفة قبل قتله: "استبقنى لعدوك" فقال له الخليفة: وأى عدو أعدى لى منك؟! ألست الذى بايعتنا على أن من خرج علينا قتلته؟! وأنت خرجت علينا فحكمنا عليك حكمك فى غيرك"[2].

ومن الجدير بالذكر أنه بعد قتل أبى مسلم اتهم بأنه كان ذا ميول علوية، أو أنه ينادى بآراء متطرفة بعيدة عن الإسلام، وانه كان زنديقا، وهى اتهامات ليس لها أساس من الصحة، فقد بقى أبو مسلم مواليا للعباسيين حتى خلافة مع أبى جعفر، وإذا كانت هذه التهم صحيحة فإنها يجب أن توجه أولًا إلى العباسيين قبل أن توجه إلى أبى مسلم الوالى المخلص للقضية العباسية[3].

ومما ينبغى الإشارة إليه أن الصراع بين أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسانى كان له جانبه السياسى والدبلوماسى، فعلى الصعيد السياسى اعتقد كلٌّ من المنصور وأبى مسلم أن لكل منهما مكانته التى يجب أن يرعاها الجانب الآخر، وكان موقف المنصور الشرعى كولى للعهد فى عهد أبى العباس، ثم خليفة لأخيه وأميرًا للمؤمنين يحتم على أبى مسلم الطاعة والولاء، إلا أن الأخير ظن أن سابقته فى مناصرة الدعوة وقيام الدولة العباسية توجب على المنصور إغضاء الطرف عن كثير من تصرفات أبى مسلم غير أن المنصور كان على علو من الخطر والهمة مما يجعله لا يركن إلى تلك الادعاءات؛ لذا كان لا بد من حدوث الصدام منذ ولاية عهده حتى حادثة خروج عمه عبد الله بن على بالشام. أما على الجانب الدبلوماسى فقد أيقن كلا الطرفين أبو جعفر المنصور وأبو مسلم أنهم لن يلتقيا على خير؛ إذ أضمر كل منهما الشر لأخيه، وكان على المنصور ألا يجعل

---

(1) البلاذرى: (مخطوط) أنساب الأشراف جـ1 ص41ب، العانى: سياسة المنصور ص521.

(2) العينى (مخطوط) عقد الجمان جـ7 ص164.

(3) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص55 – 56.

صيده يفلت من يده، فأخذ يحيك الشباك حول أبى مسلم، ويسد كل ثغرة يمكن أن ينفذ منها، واستعان بأصدقائه ومَنَّاهم حتى دفعوه إلى لقائه دفعًا، وكانت الورقة التى فى يد أبى مسلم هى جيش الشرق أو جيش خراسان والتى كان يخشاها أبو جعفر والتى لم يستطيع استغلالها فى وجه أبى جعفر، مما جعل الأخير يحطم كل سلاح فى يد أبى مسلم، فلم يجد أبو مسلم بدًا من التسليم ليلقى نهايته.

على أيَّة حال فقد كان أبو جعفر المنصور يرى أن خلافته مهددة بالزوال طالما بقى أبو مسلم على قيد الحياة؛ وبتخلصه منه سنة 137هـ أصبح المنصور الحاكم الفعلى للدولة الإسلامية[1].

مشكلة ولاية العهد أيام أبى جعفر المنصور:

أسند أبو العباس قبل وفاته ولاية العهد إلى أخيه أبى جعفر المنصور[2] ثم لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على العباس بالتعاقب، فسار بذلك على سياسة الأمويين فى توليه العهد لأكثر من واحد. فكان ذلك من عوامل ظهور الخلاف والنزاع بين أفراد البيت العباسى[3].

لما توفى أبو العباس بالأنبار سنة 136هـ خلفه أبو جعفر المنصور الذى يعد المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، والذى يعزى إليه تمكين الأسرة العباسية من الحكم عدة قرون، وحرصه على إعلاء شأن الخلافة مما ساعد الخلفاء العباسيين على تدعيم سلطانهم[4].

(أ) التمهيد لخلع عيسى بن موسى:

(1) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص182.
(2) ونصه "هذا ما عهد أمير المؤمنين على عبد الله بن محمد، فإن حدث بعبد الله حدث الموت فإلى عيسى بن موسى". أبو بكار: الأخبار الموفقيات ص196، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ10، العانى: سياسة المنصور ص373.
(3) جمال سرور: الحياة السياسية ص180.
(4) العانى: سياسة المنصور ص162، بدر عبد الرحمن: ولاية العهد من بداية الدولة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجرى. مكتبة الأنجلو المصرية ص6 سنة 1986م.

تشير الدلائل على أن أبا جعفر التزم بكون عيسى بن موسى وليًّا للعهد من بعده لبضع سنوات من حكمه، وكان هذا الالتزام ظاهريًّا لعدم اقتناعه به. وقد كشفت الحوادث صحة ذلك؛ حيث كان سكوته طيلة السنوات المحصورة بين سنة 136-147هـ/753-764م ضرورة سياسية أملتها الظروف الحرجة التى مرت بها الدولة آنذاك. فلما تمكن من تصفية العناصر المناهضة له، وبدأت الأحوال تميل إلى الاستقرار والهدوء، عَزَّ عليه بعد هذا الجهد الكبير الذى بذله أن يرث هذا الملك الواسع أحد من غير أبنائه لشعوره أن مآثر الأبناء تكملة وامتداد لحياة الآباء[1].

ومن هذا المنطلق بدأ المنصور بالفعل فى نقض العهد السابق بكل وسيلة؛ ليهيئ المناخ الطبيعى لتولى ابنه المهدى بالذات الخلافة من بعده، رغم أنه لم يكن ولده الوحيد[2]، ولكنه كان مشغوفًا به، شديد الحب له[3].

وبدا المنصور بإعداد ابنه المهدى لمهام الخلافة، وأشركه فى الأحداث السياسية. فأرسله إلى خراسان وهو ابن خمسة عشر سنة، على رأس حملة عسكرية لقمع ثورة عبد الجبار الأزدي[4] وضم غليه القائد خازم بن خزيمة وأمره بنزول الري، وبعد القضاء على

---

(1) العانى: سياسية المنصور أبى جعفر ص373.

(2) أولاد المنصور ثمانية أولاد وبنت واحدة. أكبرهم كان جعفر الأكبر ويليه المهدى. انظر اليعقوبى جـ3 ص127، الطبرى: جـ8 ص102 ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص12.

(3) ابن طباطبا: الفخرى ص126 – ص127.

(4) اختار المنصور لولاية خراسان صاحب شرطته عبد الجبار الأزدى، وهو أحد الدعاة العباسيين السبعين – بعد وفاة واليها أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلى "فسار سيرة حسنة فى أهلها ونظر فى الخراج وقوى الدعوى، ويبدو أو الوشاية التى قام بها المسيب بن زهير الضبى الذى أصبح رئيسًا لشرطة المنصور بعد عزل عمر بن عبد الرحمن الأزدى عنه كانت السبب الرئيسى فى دفع عبد الجبار للثورة، فتشير بعض الروايات على أن المسيب أفسد حال عبد الجبار عند الخليفة وأوحشه منه وأغراه به فكتب إليه أن المنصور قال ذات يوم من ولى خراسان فأصلح ثغورها وأحسن السيرة فى أهلها ورزق جنودها وكان بيت ماله بعد ذلك عشرة آلاف ألف فهو الكامل، فكتب إلى المنصور يعلمه أنه عنده بعد سد الثغور وإعطاء المقاتلة عشرة آلاف ألف فكتب إليه المنصور فى حملها، ولم تكن عنده، وإنما كذبه: وألح المنصور فيها فكتب عبد الجبار يسأله الإذن له فى إشخاص عياله إليه فلم يأذن له فى ذلك، فخلع وقال: إن أبا جعفر دعانى إلى عبادته وأسرف فى القول، وربما كان السبب الرئيسى فى غضب الخليفة على عبد الجبار يعود على قتله العناصر المعروفة بولائها للعباسيين، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ4 ص1 ب، اليعقوبى: جـ3 ص110، الطبرى: جـ7 ص503، العانى: ص202-205.

الثورة[1]، أمره بغزو طبرستان، فتم له ذلك، واستمر فى الإقامة بالرى، ولما قرر المجىء إلى العراق سنة 144هـ/761م احتفل بمقدمه، وأمر كبار البيت الهاشمى والقواد بتلقيه والترحاب به وزوجه بريطة بنت أبى العباس[2].

لم تلبث هذه الأحداث أن أكسبت المهدى خبرة وتجربة فى مجال السياسة، والحرب، فحظى باحترام البيت العباسى، وصار أبوه يجلسه عن يساره فى مجلسه العام تقديرًا وإكرامًا، رغم أنه لم يجاوز الخامسة عشر من عمره[3].

على أنه ذلك لا يخفى ما لعيسى بن موسى من خدمات جميلة أسداها للدولة العباسية، فقد قلده أبو العباس الكوفة تكريمًا له، وقام بدور بارز فى أخذ البيعة للمنصور وهو بمكة، كما أنه لم يتجاوب مع أبى مسلم حين دعاه إلى خلع أبى جعفر وتنصيبه بدلًا منه ونهره قائلًا: "ويحك يا أبا مسلم، إنما نحن بنى عمٍّ فأينا صار إليه الأمر فهو محل.. أو يجوز أن أتقدم على عمى وهو شيخ كبير. والله لو قدمنى عليه أمير المؤمنين الماضى لكرهت ذلك[4].

وعلى الرغم من اعتراف المنصور بجهود عيسى بن موسى الكبيرة، فإن رغبته فى خلعه من ولاية العهد طغت على هذه الجهود. وبدأت بوادر هذه الرغبة منذ إرسال عيسى لقمع ثورة النفس الزكية[5] بالمدينة سنة 145هـ/762م يدل عليها قوله: "لا أبالى أيهما قتل صاحبه"[6].

وبعد أن قضى عيسى على النفس الزكية زجه المنصور فى قمع ثورة أخيه إبراهيم التى أعلنها فى البصرة، وتمكن عيسى من القضاء على هذه الثورة أيضًا، غير أن تلك الانتصارات التى حققها عيسى بن موسى وأشاد بها المنصور فى خطبه فى الكوفة

---

(1) أن تمكن الجنيد بن خالد من أسر عبد الجبار وحمله إلى المنصور الذى أمر بضرب عنقه، البلاذرى: أنساب الأشراف جـ4 ص1 ب، الطبرى جـ7 ص509، ابن الأثير: جـ5 ص506.

(2) مخطوط أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب، العانى ص374.

(3) مخطوط أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب، العانى: ص374.

(4) ابن الأثير: جـ5 ص419.

(5) محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب.

(6) الطبرى: جـ7 ص577، الكامل: جـ5 ص544، العانى: ص375 وهى نفس خطته مع أبى مسلم وعبد الله بن على.

وبغداد[1]، لم تكن حائلًا دون تنفيذ المنصور رغبته فى خلعه من ولاية العهد، وبدا بالشروع فى وضع خطته سنة 147هـ/764م[2]. وسار فيها بين الترغيب والتهديد.

دور الترغيب:

بدأ أبو جعفر بجس نبض عيسى بن موسى للتعرف على مدى تجاوبه وتقبله التنازل عن حقه فى ولاية العهد، فاستدعاه وفاتحه فى الأمر وكلمه بألين الكلام وأرفقه، فرد عليه عيسى بن موسى: "أمير المؤمنين، كيف بالإيمان، والعهود والمواثيق، ولئن فعلت هذا لتكون حجة لمن ترك الوفاء وخان العهود"[3]، ورفض إجابة المنصور إلى طلبه وقال له: "ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين"[4]، وأصر على موقفه، ولم تجد محاولات المنصور نفعًا فى غير موقف ابن موسى للعدول عن رأيه. وفى ذات الوقت استعان المنصور بالخطباء والشعراء[5] لمدح ابنه وتبيان فضائله، ولتهيئة الناس لقبول ما يمكن أن يقوم به المنصور تجاه ولى العهد الرسمى عيسى بن موسى.

دور الترهيب:

أما دور الترهيب فقد بدأ حينما غير المنصور موقفه الودى السابق فى تقدير واحترام

(1) قال فيها: "إن عيسى بن موسى لم يزل مصيبًا فى رأيه سديدًا فى أمره، ماضيًا فى عزمه، كافيًا فيما أسند إليه ميمون النقبية فيما استكفيته مؤيدًا بالنصر، مستعملًا للأناة والصبر، وقد كفى الغائب، وناب عن الحاضر، فاحمدوا الله على ما وهب من رأى أمير المؤمنين وأهل بيت نبيكم". الأزدى: تاريخ الموصل جـ2 ص194، العانى ص375 – 376.

(2) ابن خياط: تاريخه جـ2 ص452، اليعقوبى: تاريخه جـ2 ص119، الطبرى: جـ8 ص9، الأزدى: تاريخ الموصل جـ2 ص194.

(3) البلاذرى: أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب، الطبرى: جـ8 ص10، العينى: عقد الجمان (مخطوط) جـ7 ص195، العانى: ص276.

(4) الطبرى: نفسه، الأزدى: تاريخ الموصل جـ2 ص200، الكامل جـ5 ص373 (طبعة أزهرية).

(5) منهم الشاعر أبو نخيلة بن جوز، ومضيع بن إياس الذى أسرف فى المدح والثناء حتى أنه وضع حديثًا ونسبه إلى النبى r قال فيه: "المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملأها عدلًا كما ملئت جورًا". الأصفهانى: الأغانى جـ12 ص81، ص16، جـ18 ص129 ـ 152، ويذكر جـ18 ص139، أن عيسى بن موسى قتل الشاعر أبا نخيلة بن جوز فى طريق خراسان انتقامًا لتعريضه به. العانى ص376 – ص377.

عيسى بن موسى، إزاء إصراره وتعنته فى عدم تنازله عن حقه فى ولاية العهد للمهدى، فلجأ إلى التقليل من مكانة عيسى بن موسى السياسية، فبعدما كان يجلسه عن يمينه فى مجلسه العام ويستشيره فى الأمور الهامة، أخذ يجلس ابنه المهدى مكانه، ثم أخذ يأذن لأعيان البيت الهاشمى فى الدخول عليه قبل عيسى بن موسى، فكان يأذن لعلى بن عيسى، ثم لعبد الصمد بن على، واتبع لك بعض المضايقات لعلها تأتى بنتيجة، فكان يأمر بنثر التراب عليه من سقف مجلسه[1].

ولما انتشر خبر محاولات المنصور لمضايقة عيسى بن موسى بين الجند، طمع هؤلاء بعيسى كى يرضوا الخليفة، فكان إذا ركب عرضوا له بما يكره وسمع الكلام[2]، فشكا ذلك إلى المنصور، فى رسالة بعثها إليه يشكو ما قاله الجند الخراسانيين من إهانة وتهديد بالقتل[3]. فرد عليه المنصور[4] ردًّا هدأ به خاطره، واعدًا إياه بأنه سيكف أيدى أولئك المعتدين من الجند[5].

ولكى يظهر المنصور أنه غير راضٍ عن تصرف هؤلاء الجند، استدعى قائد شرطته المسيب بن زهير الضبى وقال له: "تقدم على القود والجند فى أن يمسكوا لعن

---

(1) الطبرى: جـ8 ص10، العينى: عقد الجمان (مخطوط) جـ7 ص195، العانى ص377.

(2) البلاذرى: أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب. وفى رواية أخرى أن المنصور حرض الجند على النيل من عيسى وشتمه. الطبرى: جـ8 ص14، الفخرى: ص138.

(3) قال فيها: "لو سامنى غيرك ما سامنى لاستنصرتك عليه ولاستشفعتك به إليك حتى تقر الحرم مقرها وتترك للوفاء منزلته، ونحن أول من يستن بعلمنا فيها، وينظر إلى ما أخذناه منها، وقد استعنت بك على قوم لا يعرفون الحق معرفتك، ولا يلحظون العواقب لحظتك، فكن لى عليهم مغيرا ومنهم مجيرًا يجزك خير جزائك عن صلة الرحم قطع الظلم إنشاء الله والصولى: كتاب الأوراق جـ2 ص316، العانى: ص377-378.

(4) "لولا أنك تسأم النزول عن حق لك، واجب فى يديك لزال الضرع إليك والتحمل عليك، لولا أننى أخاف أن تسبق أيدى هذه العصبة من أهل الدولة إليك، لما كلفتك شاقًّا، ولا حملتك مكروهًا، ولكنى عندك بالنصح لك، والإشفاق عليك فى جنبة من لا يرضى منك إلا بإرادته، ولا يستمهل أيامك لسرعته وما الذى أسمو بك إليه بدون الذى يستنزلون عنه والله يوفقك ويحسن الاختيار لك". المصدر السابق.

(5) الصولى: الأوراق جـ2 ص316، العانى: ص378.

ابـن أخـى، ولا يؤذوه فإنه ثمرة قلبى، وجـلدة ما بـين عينى، من العقل والفضل والسخاء"[1].

ويبدو أن موقف المنصور هذا لم يكن سوى لعبة سياسية ذكية بدليل أنه لم يكف عن محاولته إجبار عيسى على التنازل، فعاد إليها واستهلها بأن أرسل إلى عيسى كتابًا طويلًا[2] ذكر فيه "ما قذفه الله فى قلوب أنصار الدعوة وأهل المشايعة على الحق وشربها من محبة المهدى ومودته وفضله، حتى صاروا له صاغين ولأعناقهم مادين، لا يذكرون إلا فضله، ولا يعرفون إلا حقه، ولا يفوهون إلا باسمه، وأنه لما رأى ذلك، علم أنه أمر تولاه الله له ليس للعباد فيه صنع وأنه لابد من استصلاحهم ومتابعتهم، ويعلمه الله أنه يرى له إذا اجتمع الناس على ابن عمه أن يكون أول ما يبدر إلى البيعة له، وأن يعرف له ما عرفوه ويؤمل فيه ما أملوه"[3]. فلما وصل الكتاب إلى عيسى بن موسى كتب إليه كتابًا شديد اللهجة جوابًا على ذلك[4]. يذكره الوفاء، ويعلمه أن كثيرًا من الناس قد نازعتهم أهواؤهم ودعتهم أنفسهم إلى مثل الذى هم به ولده، فأثروا الله وحقه وكرهوا الغدر وعاره وسوء عواقبه فى الدنيا والآخرة، فأمسكوا عن ذلك وكرهوه"[5].

وحين وصل كتاب عيسى إلى المنصور، وقرأه غضب غضبًا شديدًا "فقرأه على الناس، فعاد القواد والجند لأشد ما كانوا عليه، وكان أشد الناس فى ذلك قولًا أسد بن المرزبان، ونصر بن حرب، وعقبة بن مسلم، فكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من أن يدخل عليه أحد، ويسيرون إذا ركب ويقولون: أنت البقرة التى قال الله (فذبحوها وما كادوا يفعلون)[6] فشكاهم إلى المنصور الذى قال له: إن هؤلاء القوم قد غلب عليهم حب هذا الفتى، واجتمعت عليه آراؤهم، وأنا والله يا ابن أخى وحبيب قلبى، أخاف عليك وعلى

---

(1) أنساب الأشراف: جـ4 ص4 ب (مخطوط).

(2) انظر الطبرى: جـ8 ص14 – ص17، الصولى: الأوراق جـ2 ص20 وما بعدها: وقد أورد بعض فقراته البلاذرى: أنساب الأشراف، جـ4 ص4 ب، واليعقوبى: تاريخه جـ3 ص119.

(3) أنساب الأشراف: جـ4 ص4 بن اليعقوبى: جـ3 ص119.

(4) الطبرى: جـ8 ص17 – 19 الصولى: الأوراق جـ2 ص313 وما بعدها، وهناك كتب أخرى أوردها الصولى جـ2 ص 319.

(5) أنساب الأشراف: جـ4 ص4 ب، اليعقوبى: جـ3 ص119.

(6) سورة البقرة، الآية 71

نفسى، فلو قدمته بين يديك، حتى يكون بينى وبينك كفوًا وأنا لك ناصح وأنت أعلم"[1].

واختلف المؤرخون فى وصف الطريقة التى لجأ إليها المنصور لإجبار عيسى ابن موسى على البيعة للمهدى، وذكروا فى ذلك روايات عدة منها رواية تقول: "إن المنصور أمر بخنق موسى بن عيسى بحضرة أبيه، فخاف عيسى على ابنه وخلع"[2].

وقد روى الطبرى تلك الرواية لكنه شكك فى صحتها فقال: "وهذه القصة فيما قيل منسوبة إلى آل عيسى أنهم يقولونها"[3]، أما البلاذرى فرواها بصورة مختلفة فقال: "وقال قوم من ولد موسى بن عيسى، أمر المنصور بموسى فخنق بحمايل سيفه وضمن له المنصور رضاه فوفى له"[4].

وهذا التضارب الوارد فى أحداث الرواية وأشخاصها يجعلنا نشك فى صحتها خاصة إذا علمنا أن من أبرز سمات المنصور الوصول إلى هدفه دون أن يعطى الآخرين الفرص لتوجيه إصبع الاتهام إليه.

أما الرواية التى تذكر "أنه ذهب إلى عيسى بن موسى ثلاثون رجلًا فسألوه أن ينزل عن الخلافة فأبى..." [5] فقد رواها كل من الطبري[1]، والأزدي[2] عن أبى الأسوارى،

---

(1) أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب، وانظر الطبرى: جـ8 ص19، ابن الأثير جـ5 ص275 (ط أزهرية)، ابن طباطبا: الفخرى ص138 وتشير بعض الروايات إلى أن الخليفة استعان بعمه عيسى بن على لإقناع عيسى بن موسى بالنزول والبيعة للمهدى، فقام هذا بدس شربة سم لعيسى بن موسى فأفلت منها بعد أن شارف على الموت، انظر الطبرى: جـ8 ص14.

(2) فقد قيل للمنصور: إن عيسى إنما يحب الخلافة لولده موسى، فلو أوهمته قتله لنزل عن الخلافة، فأخذ ولده بحضرته، وقال للربيع: اخنقه. فلف حمايل سيفه على عنقه، يوهمه أنه يخنقه، فلما رأى عيسى الجد قال: أشهدك أن نسائى طوالق ومماليكى أحرارًا، وكل ما أملك فى سبيل الله، وهذه يدى بالبيعة للمهدى، ابن الجوزى: المنتظم جـ8 ص147.

(3) الطبرى: جـ8 ص11-14.

(4) أنساب الأشراف جـ4 ص 4ب.

(5) يذكر ابن الجوزى: أنه ذهب إلى عيسى بن موسى ثلاثون نفسًا فسألوه أن ينزل عن الخلافة، فلم يفعل، فخرجوا، فأخبروا المنصور أنه قد نزل وشهدوا عليه بذلك، فكتب بذلك الأخبار، فلما أنكر شهدوا عليه، المنتظم جـ8 حوادث سنة 147هـ.

فمصدر الرواية عند كليهما واحد، أما رواية ابن طباطبا[3]، والعيني[4]، فهما متأخران، ومع هذا فإن هذه الرواية تعارضها رواية البلاذري[5]، والطبري[6] اللذين ذكرا "أن مسلم (سالم) بن قتيبة دخل على عيسى فقال له: "أيها الرجل بايع هذا الأمير وقدمه، فإنك لن تخرج من الأمر وارض عمك، فقبل قوله وبايع"[7].

وأساس التعارض فى الروايتين هو كيف أن عيسى بن موسى لم يستجب لطلب خالد بن برمك ومن معه من كبار رجال الشيعة رغم إلحاحهم عليه واستجاب لقول مسلم بن قتيبة فضلًا عن أن ابن الأثير ضعف هذه الرواية حين قال: وقيل إن أبا جعفر بعث إلى خالد بن برمك وأرسله إلى عيسى ليسأله النزول عن حقه.

أما الرواية التى يمكن قبولها والقول بأنها العامل المؤثر فى تنازل عيسى بن موسى هى التى ذكرت بأن "الجند كانوا يؤذون عيسى إذا ركب.. فبايع" لأن الدلائل تشير إلى أن المنصور استعمل مع عيسى الأذى فى بادئ الأمر، لرفضه الاستجابة لطلب التنازل، حتى وصلت إحداها إلى دس السم بغرض التخلص منه[8]، فلما باءت المحاولة بالفشل، واضطر الخليفة لاستعمال أسلوب العنف المقرون "بالتهديد والوعيد"[9]، فسلط عليه بعض الجنود الخراسانيين الذين أهانوه وشتموه وهددوه بالقتل[10]، فى محاولة لإجباره على التنازل، فشكاهم إليه، ولكن الخليفة لم يتخذ إجراء صارم تجاههم لردهم وإيقافهم عند حدهم، وكتب إلى عيسى كتابًا يطلب منه النزول عن ولاية العهد لابنه، معللًا طلبه

---

(1) الأمم والملوك جـ8 ص19 وما بعدها.
(2) تاريخ الموصل جـ2 ص200 - 201.
(3) الفخرى: ص138.
(4) مخطوط عقد الجمان: جـ7 ص195.
(5) مخطوط أنساب الأشراف: جـ4 ص4 ب.
(6) الأمم والملوك: جـ8 ص24.
(7) ذكر ابن الجوزى: المنتظم حوادث سنة 148هـ أن مسلم بن قتيبة أشار عليه بذلك فقبل منه.
(8) البلاذرى: أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب وانظر الطبرى: جـ8 ص19.
(9) ابن كثير: البداية والنهاية جـ10 ص104.
(10) أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب، وانظر اليعقوبى جـ3 ص118، الطبرى: جـ8 ص14، ابن طباطبا: الفخرى ص138.

هذا بأنه يخاف عليه أن يقوم الجند ضده أن استمر فى رفضه[1].

وإزاء هذه التهديدات التى واجهها من الجند الخرسانيين، وتيقنه من عدم حماية المنصور له، الأمر الذى أدى به أن يخش على نفسه من تنفيذهم تهديداتهم، وسلم بالأمر الواقع وبايع للمهدى، يؤيد ذلك قول اليعقوبى "وقدم عيسى بن موسى بغداد، فوثب به الجند يومًا بعد يوم وصاروا إلى بابه حتى خاف على نفسه، فلما رأى ذلك رضى وسلم فبايع المنصور بولاية العهد لابنه المهدى سنة 147هـ[2].

وبعد أن خلع عيسى بن موسى أغدق عليه الخليفة وعلى ولده الأموال والعطايا الجزيلة[3]، فكسب ودهم وأزال ما علق فى قلوبهم من كراهية وغيظ من جراء الإكراه فى التنازل للمهدى، وهى من الناحية الأخرى تظهر للناس أن عيسى تنازل عن حقه وباع نصيبه بالمال[4].

على أيَّة حال فقد اطمئن المنصور بذلك على مصير الخلافة من بعده، فضمن استمرارها فى ذريته، وهو الهدف الذى سعى إلى تحقيقه، وأكد هذا المفهوم فى سنة 151هت/768م حين جدد البيعة لنفسه ولابنه المهدى ولعيسى بن موسى من بعد المهدى على أهل بيته بمحضر منه فى مجلسه، فكان من بايعه يقبل يده ويد المهدى، ثم يمسح على يد عيسى ابن موسى ولا يقبل يده"[5].

---

(1) أنساب الأشراف جـ4 ص4 ب، اليعقوبى: نفسه، الطبرى: جـ8 ص119، الصولى: كتاب الأوراق جـ2 ص316.

(2) اليعقوبى: جـ3 ص119.

(3) أعطاه على حد قول بعض الروايات أحد عشر ألف ألف درهم، الطبرى: جـ8 ص35، ابن الجوزى: المنتظم جـ8 حوادث سنة 147هـ، ابن الأثير: جـ9 ص275 (طبعة أزهرية)، الفخرى: ص138.

(4) فقد ألزم عيسى بن موسى على أن يعلن بنفسه على الناس أنه سلم ولاية العهد للمهدى وقدمه على نفسه، وأنه باع نصيبه عن تقدمه فى ولاية عمه أمير المؤنين لابنه محمد المهدى بعده بعشرة آلاف ألف درهم وبطيب نفس منه ورغبة منه فى تصييرها إليه لأنه أولى منه بالتقدم فيها وأحق وأقوم بها وأقوى على القيام بها منه. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص127، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص117.

(5) البسوى: المعرفة والتاريخ جـ1 ص138، الطبرى: جـ8 ص39. الأزدى: تاريخ الموصل جـ7 ص214، العانى: ص386.

المهدى[1] (158 – 169هـ / 775 – 785م):

توفى أبو جعفر المنصور سنة 158هـ/775م بعد أن عهد لابنه المهدى بالخلافة ومن بعده عيسى بن موسى، وقضى المهدى فى الخلافة زهاء عشر سنين تعتبر فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع الذى ساد عهد من سبقه من الخلفاء العباسيين، وعهد الاعتدال واللين الذى امتازت به أيامه، وقد ذكر المؤرخون أنه رد الأموال التى صادرها أبوه على أهلها العلويين الذين حبسهم أبوه وعفا عنهم وأدر عليهم الأرزاق[2].

وفى عهد المهدى خرج عبد الله بن مروان بن محمد الأموى ببلاد الشام سنة 161هـ فتمكن المهدى من هزيمته وحبسه ثم عفا عنه[3]، كذلك خرج عليه سنة 162هـ عبد السلام بن هشام اليشكرى فى الجزيرة (بالعراق) واشتدت شوكته وعاث فى الأرض، ولكنه هزم وقتل فى قنسرين[4]، كما خرج بالموصل رجل من بنى تميم يدعى ياسين واستولى على أكثر ديار ربيعة ومضر، فحلت به الهزيمة، وثار أهل الحوف فى مصر (بالقرب من بلبيس) وقتلوا عامل المهدى الذى ندب لقتالهم الفضل ابن صالح العباس، ولكنه وصل إلى مصر بعد وفاة المهدى وتمكن من هزيمتهم[5].

الهادى[6] (169 – 170هـ / 785-786م):

لم تطل خلافة الهادى فقد توفى ببغداد فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة 170هـ بعد أن ظل فى الخلافة سنة وشهرًا واثنين وعشرين يومًا – وقد اشتهر عنه حبه للإسراف فى

---

(1) ولد محمد بن عبد الله النصور بالحميمة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة 126هـ وأمه أروى بنت منصور بن عبد الله الحميرى وعنى أبوه بتثقيفه وعهد به إلى المفضل الضبى فعلمه تعليمًا عربيًّا فنشأ فصيحًا يقول الشعر ويجيده، ويحفظ كثيرًا من أمثال العرب، ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ5 ص115، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ5 ص391، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص40.

(2) الطبرى: جـ8 ص81، ابن الأثير: جـ5 ص48.

(3) الطبرى: جـ8 ص135-136، ابن الأثير: جـ5 ص60 بيروت.

(4) الطبرى: جـ8 ص142، ابن الأثير: جـ5 ص60، ابن كثير: البداية والنهاية جـ10 ص135.

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص42.

(6) هو موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، الطبرى: جـ8 ص187.

العطاء، كما أنه عدل عن البيعة لابنه جعفر بدلًا من أخيه الأكبر هارون الرشيد، نظرًا لصغر سنه وسمعًا لنصيحة يحيى البرمكي[1]، كذلك تمكن من استخلاص الخلافة وتنحيه أمه الخيزران التى كانت متسلطة فى عهد أبيه المهدى، وأرادت أن تمتد سطوتها إلى ابنه، وجعلت الناس يتوافدون عليها لاستشارتها فمنع الناس من ذلك[2].

هارون الرشيد (170-193هـ / 786-809م):

يعتبر هارون الرشيد أشهر خلفاء بنى العباس، فقد بلغت بغداد فى عهده درجة لم تصل إليها من قبل، فأصبحت مركز التجارة وكعبة رجال العلم والأدب واشتهر اسم الرشيد فى بلاد الغرب (أوربا) لما كان بينه وبين شارلمان – ملك الفرنجة – من العلاقات السياسية وأواصر الود والصفاء، كذلك عرفته الإمبراطورية البيزنطية بطلًا محاربًا منذ أن ولاه أبوه الصائفة فى سنتى 163-165هـ لأرغم الإمبراطورة إيرينى[3] "أوجسطه"[4]، وكانت وصية على ابنها قسطنطين السادس[1] –

---

(1) الطبرى: جـ8 ص207-213، ابن الأثير جـ5 ص77-79، الفخرى فى الآداب السلطانية ص172.

(2) ذكر ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السطانية ص172، أن الهادى كان شديد الغيرة على النساء وكره أن يتوافد الناس على دار أمه لقضاء حاجاتهم، ويزيد المسعودى: مرج الذهب جـ2 ص261 هذه المسألة بيانًا فيقول أن الهادى كان كثير الطاعة لأمه وكان يجيبها إلى ما تسأله من قضاء الحاجات فسألته يومًا قضاء مسألة رجل لم يجد لقضائها سبيلًا، فألحت فى الطلب وقامت مغضبة فقال لها مهددًا متوعدًا: "لئن بلغنى أنه وفد ببابك أحدٌ من قوادي، أو من خاصتى وخدمى =

= لأضربن عنقه ولأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التى تغدو وتروك إلى بابك كل يوم، أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك: إياك أن تفتحى فاك فى حاجة لمسلم أو ذمي". انظر أيضًا الطبرى: جـ8 ص206 بيروت.

(3) إيرينى: زوجة الإمبراطور ليو الرابع "الخزري" (775 – 780م) يونانية من أثينا، وكان ليو الرابع من مناوئى عبادة الأيقونات، غلا أنه تحت تأثير زوجته إيرين أظهر بعض التاسمح بالنسبة لعبادة الأيقونات، إلا أنه قبيل موته اتبع سياسة تبعد عن التسامح مع الأيقونيين، وبدأ حركة اضطهاد شديد ضدهم. عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية ص120.

(4) كانت إيرينى إمبراطورة الدولة البيزنطية فى هذه الفترة تواجه مصاعب داخلية كبيرة بعد أن قضت على مقاومة ابنها قسطنطين، وانشغلت الإمبراطورية بالصراع بين أفرادها على السلطة، فأهملوا الدفاع عن حدود الدولة، ولم يعيروا أية أهمية إلى تقوية الإمبراطورية وازدهارها، بالإضافة إلى النزاع العقائدى حيث سارت الإمبراطورة على سياسة معاكسة لسياسة زوجها، هذا فضلًا عن الانقسام

على طلب الصلح الذى انتهى بعقد هدنة بين العباسيين والبيزنطيين مدتها ثلاث سنوات[2].

الفتن والثورات فى عهد الرشيد:

خرج الوليد بن طريف الشارى الشيبانى على هارون الرشيد سنة 178هـ وانتصر على جيشه أكثر من مرة فقتل والى نصيبين، ثم مضى إلى أرمينية، وآذربيجان، وعاث فيها فسادًا، ثم عاد إلى الجزيرة سنة 179هـ وعبر نهر دجلة حتى وصل حلوان (آخر بلاد العراق) واشتدت شوكته وكثر أتباعه، فبعث الرشيد بيزيد بن مزيد الشيباني[3]، وسرعان ما حلت الهزيمة بجند الوليد بن طريف وقتل[4].

بين صفوف قادة الجيش وزعمائه الذى أدى إلى انحياز بعضهم إلى صفوف قادة الجيش وزعمائه الذى أدى على انحياز بعضهم إلى صفوف المسلمين، فقد انحاز تانزيت إلى هارون الرشيد بسبب كرهه للرجال المحيطين بالإمبراطورة، وكان هذا القائد خير عون لهارون من الناحية العسكرية. فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص222.

(1) كانت إيرينى وصية على ابنها قسطنطين السادس، فلما بلغ ابنها سن الرشد طالب أمه بحقه فى الحكم، غير أن الإمبراطورة إيرين التى ذاقت طعم السلطة عملت على إثارة العقبات ضد ابنها بإثارة الكراهية ضده بين الأيقونيين من رعاياه – كما دبرت ضده فضيحة أخلاقية فساعدته فى أن يطلق زوجته ليتزوج من عشيقته الأمر الذى أثار رجال الدين ضده فأمر بالقبض على رهبان دير سكاديون مما أثار الرأى العام ضد ابنها ومن ثم قامت بتدبير مؤامرة للقبض على ابنها وسجنه وأمرت بسمل عيناه. عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية ص122 - 125.

(2) حسن إبراهيم حسن: جـ2 ص51 وكان من شروط الصلح:

أ- أن تدفع إيرينى إتاوة سنوية تقدر بين 70 ألف إلى 90 ألف دينار على دفعتين.

ب- أن ترسل إيرينى رسولًا يمثلها شخصيًّا على الخليفة المهدى فى بغداد ومعه هدايا الذهب والفضة وغيرها من العروض كالملابس الحريرية.

جـ- أن تقدم إيرينى الأدلاء والغذاء إلى المقاتلة المسلمين فى طريق عودتهم إلى بلادهم عبر الأناضول، وأن تسهل طريق العودة بكل الوسائل الممكنة. فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص223.

(3) ابن أخى معن بن زائد الشيبانى بطل موقعة يوم الراوندية، الطبرى: جـ8 ص256، ابن الأثير: جـ5 ص97.

(4) الطبرى: جـ8 ص261.

وفى إفريقية استمرت قبائل البربر تنازع العباسيين بين سنتى 178-181هـ كما أخذت فى التقلص عن الحكم الإسلامى، وغدت كفة النصر ترجح فى جانبهم حينًا وفى جانب العباسيين حينًا آخر، حتى بعث إليهم الرشيد هرثمة بن أعين على رأس جيش كثيف استطاع أن يقضى عليهم ويطفئ جذوة ثورتهم[1]، ثم قامت دولة الأغالبة على يد إبراهيم بن الأغلب الذى ولى هذه البلاد من قبل الرشيد لتأديب البربر والوقوف فى وجه الأدارسة إذا أرادوا الإغارة على أراضى الدولة العباسية، غير أن الأغالبة ما لبثوا أن استقلوا بدولتهم عن الخلافة العباسية، وأصبحت تبعيتهم للخلافة تبعية اسمية، واتخذوا مدينة القيروان[2] حاضرة لهم، واستمرت دولتهم حتى استولى الفاطميون عليها سنة 296هـ[3].

وفى سنة 176هـ تحولت المنازعات القديمة بين اليمانيين والعدنانيين فى بلاد الشام إلى حرب مستعرة، وبقيت دمشق زهاء سنتين مسرحًا للانقسامات والحروب الداخلية، إلا أن الرشيد ولى موسى بن يحيى بن خالد البرمكى بلاد الشام فأصلح بين أهلها وسكنت الفتنة[4].

كانت بلاد خراسان التى وليها على بن عيسى بن ماهان[5] مصدرًا للفتن والقلاقل فى عهد هارون الرشيد، نظرًا لسياسة الظلم والعسف واغتصاب الأموال التى سار عليها هذا الوالى، والذى استطاع أن يكسف ثقة الرشيد بالهدايا والطرف التى بهرته، فلما اشتكى أهل خراسان وكتبوا إلى الرشيد يستغيثون، فسار الرشيد[6] على الرى ومعه ابناه عبد الله والقاسم، فلما صار بقرماسين استدعى جماعة من القضاة وغيرهم وأشهدهم بأن جميع ما

---

(1) الطبرى: جـ8 ص256، 266.

(2) إلى الجنوب الغربى من مدينة تونس الحالية.

(3) الطبرى: جـ8 ص272، ابن الأثير: جـ5 ص109، جـ6 ص124 وما بعدها.

(4) الطبرى: جت8 ص251-252.

(5) يذكر الطبرى: جـ8 ص314 حوادث سنة 189هـ "أن الرشيد كان استشار يحيى بن خالد فى تولية خراسان على بن عيسى بن ماهان – فأشار عليه بألا يفعل فخالفه الرشيد فى أمره فولاه إياها.

(6) دعا الرشيد يحيى بن خالد فشاوره فى أمر على بن عيسى وفى صرفه وطلب منه أن يشير عليه برجل يرضاه لخراسان يصلح ما أفسده على بن عيسى فأشار عليه بيزيد بن مزيد فلم يقبل مشورته، الطبرى: جـ8 ص35.

له فى عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وما سوى ذلك لعبد الله المأمون وجدد البيعة له على ما كان معه، ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد، فأعاد أخذ البيعة إلى محمد بن هارون وإلى من بحضرته لعبد الله القاسم(1).

لما بلغ على بن عيسى ذلك قابل الرشيد بالرى، وقدم فروض الولاء والطاعة، كما قدم ألوانًا من الهدايا والطرف للرشيد وكبار رجال الدولة الذين صحبوه، فرضى عنه الرشيد وعاد إلى بغداد، وأعاد على بن عيسى على خراسان(2)، إلا أن هذا الوالى عاد إلى سيرته الأولى فى استبداده، فأرسل إليه الرشيد القائد المعروف هرثمة بن أعين وكتب عهدًا بتوليه خراسان عام 191هـ فلما وصل هرثمة إلى مرو عاصمة خراسان قبض على على بن عيسى وصادر أمواله وأرسله مكبلًا إلى الخليفة ببغداد، فأمر الرشيد بحبسه وحبس ولده وقبض أمواله، ولم يزل محبوسًا حتى وفاة الرشيد(3).

ترتب على سوء سيرة على بن عيسى فى خراسان قيام رافع بن الليث بن نصر بن سيار بالثورة عام 190هـ فى سمرقند؛ وذلك أن رافع بن الليث تمكن من إخراج امرأة من ذوى اليسار غاب عنها زوجها من الإسلام إلى الكفر وتزوج بها(4)، فبلغ ذلك الرشيد، فأمر على بن عيسى بأن يفرق بين رافع وزوجته وأن يعاقبه على فعلته، فتمكن كل من والى خراسان وعامل سمرقند من تنفيذ أوامر الخليفة وحبس رافع الذى تمكن من الفرار من سجنه(5) واستغاث بولد على بن عيسى. فتوسط له عند أبيه فأمنه ورده إلى بلده، فثأر

---

(1) الطبرى: جـ8 ص314 – 315، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص277، ابن الأثير: جـ5 ص121-122.

(2) الطبرى: جـ8 ص315 – ص316 حوادث سنة 189هـ، ابن الأثير: جـ5 ص120 – 121.

(3) الطبرى: جـ8 ص324 –337، ص340، أرمينيوس فاميرى: تاريخ بخارى ص91.

(4) كانت هذه السيدة زوجة ليحيى بن الأضعث بن يحيى الطائى وهى ابنة عمه أبى النعمان وكانت ذات يسار، أقام بمدينة السلام وتركها بسمرقند، فلما طال مقامه بها، وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد، التمست سببًا للتخلص منه، فعى عليها، وبلغ رافعًا خبرها فطمع فيها وفى مالها فدس إليها من قال لها: أنه لا سبيل إلى التخلص من صاحبها إلا أن تشرك بالله وتحضر لذلك قومًا عدولًا وتكشف شعرها بين أيديهم ثم تتوب فتحل للأزواج، ففعلت ذلك وتزوجها رافع. انظر الطبرى: جـ8 ص319، ابن الأثير: جـ5 ص122، أرمينيوس فاميرى: تاريخ بخارى ص90 –91.

(5) الطبرى: جـ8 ص219، ابن الأثير: جـ5 ص122، فاميرى: تاريخ بخارى ص90-91.

لنفسه ومن عامل المدينة سليمان ابن محمد وقتله، واتبعه كثير من أهالى سمرقند والشاش (طشقند) وفرغانه وأشروسنة وغيرها من بلاد ما وراء النهر[1].

ندب الخليفة هارون الرشيد هرثمة بن أعين لقتال رافع بن الليث فتمكن هرثمة من قتل الكثير من أصحاب رافع، ونجح فى فتح بخارى وأسر أخًا لرافع، إلا أن ثورة رافع استمرت حتى خرج الرشيد بنفسه لحربه، غير أن المنية عاجلته وهو فى طريقه إليه، واستمر حال رافع حتى أيام المأمون[2].

البرامكة:

كان برمك جد الأسرة البرمكية سادن (المشرف على خدمة) بيت النار ببلخ[3] فى خراسان، وكان برمك[4] وأسرته يدينون بالمجوسية ولما ظهر الإسلام أسلم بعضهم، وظهر منهم أوائل الدولة العباسية خالد بن برمك الذى تقلد الوزارة فى عهد السفاح[5] والمنصور واتخذ هارون الرشيد يحيى بن خالد قبل أن يلى الخلافة كاتبًا له، ولما ولى الخلافة استوزر يحيى؛ فعلا شأنه وبعد صيته وأصبح هو وأولاده كعبة الآمال وغدت تشد إليهم الرحال[6].

---

(1) الطبرى: نفس المرجع والصفحة، ابن الأثير: نفسه.

(2) الطبرى نفسه ص341 –342، فاميرى: ص91.

(3) كان يعرف بمعبد النوبهار وكان الفرس يسمون من يشرف على شئون هذا المعبد برمكا. انظر الجهشيارى: الوزراء والكتاب حاشية رقم (1) ، جمال سرور: الحياة السياسية ص210.

(4) عاصر برمك الخليفة هشام بن عبد الملك (105 – 125هـ / 724 – 243م) ويروى أنه اعتنق الإسلام فى أواخر أيامه، جمال سرور: نفس المرجع والصفحة.

(5) قرب السفاح خالد بن برمك إليه وأولاه ثقته وأحله من نفسه محل التعظيم والتكريم، ولكنه لم يغتر بذلك وأبى إلا أن يظهر بمظهر المتواضع وتجنب أن يسمى وزيرًا، رغم أنه كان يعمل عمل الوزراء خشية أن يحل به ما حل بأبى سلمة الخلال، ثم أسند إليه المنصور ولاية الموصل سنة 158هـ فساس أهلها أحسن وقهر المفسدين من الأكراد، وكان المنصور يرجع فى رأيه إليه حتى أنه لما أراد أن يهدم إيوان كسرى ليستخدمه فى بناء قصر له عدل عن ذلك بعد أن بين له خالد أن نفقة هدمه أكثر من عائد نفعه. الطبرى جـ8 ص54، 56. ابن طباطبا: الفخرى ص134، جمال سرور: ص210.

(6) الفخرى: ص173، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص54.

وكان يحيى بن خالد البرمكى أشهر رجال عصره علمًا وأدبًا وفضلًا وجودًا ونبلًا وكان فى الثانية عشرة من عمره حين قامت الدولة العباسية فتربى فى كنفها وشمله المنصور بعطفه فولاه آذربيجان سنة 158هـ[1] واختاره المهدى كاتبًا له ونائبًا لابنه هارون، فخرج معه فى الصائفة (المعارك الصيفية) لغزو البيزنطيين، ولما تولى هارون بلاد المغرب سنة 163هـ[2] ساعده يحيى على النهوض بأعبائها وأخلص له كل الإخلاص، ولما أراد الهادى أن يخلع هارون من ولاية العهد نصح له بالعدوان عن هذا الرأى نظرًا لصغر ابن الهادى، غير أن الهادى[3] سرعان ما وقع تحت تأثير بعض قواده اجتمعوا به وطالبوه بأن يخلع هارون ويبايع ابنه جعفر تقربًا إليه ورغبة فيما يصل إليهم من العطايا، فبعث فى طلب يحيى وتحدث معه فى مسألة نقل ولاية العهد إلى ابنه جعفر، فأخذ يحيى يهدئ من ثائرة غضبه ويحاول جهده أن يثنيه عن عزمه، على أن انحياز يحيى إلى هارون جعل الهادى يحقد عليه فقال له: لقد أفسدت على أخى وأمر بحبسه، فقضى فى سجنه ليلة، ثم توفى الهادى، فأطلقت أمه الخيزران سراحه فذهب يحيى من فوره إلى هارون وهنأه بالخلافة[4].

لم يلبث هارون الرشيد أن قلد كاتبه الوفى المخلص يحيى بن خالد البرمكى الوزارة بعد اعتلائه عرش الخلافة، وفوض إليه أمر دولته، واستعان بأولاده الأربعة جعفر والفضل ومحمد وموسى، ونهض يحيى بأعباء الدولة أتم نهوض، فكان يحيى وابناه الفضل وجعفر يجلسون للناس جلوسًا عامًّا فى كل يوم على انتصاف النهار، وينظرون فى أمورهم وحوائجهم، وقد أسندت إدارة الدواوين إلى يحيى بن خالد مع الوزارة سوى ديوان الخاتم الذى تقلده أبو العباس الطوسى، وديوان النفقات الذى عهد به يحيى إلى الفضل بن الربيع[5].

وكان الفضل أكبر أبناء يحيى من كرام أهل عصره، وكان عضد أبيه، ينوب عنه فى مهام أعماله، ولما ولد الأمين عهد الرشيد على الفضل بتربيته وفى سنة 176هـ ندب الفضل

---

(1) كان أبو جعفر المنصور معجبًا بيحيى بن خالد وكان يقول: ولد الناس ابنًا وولد خالد أبًا. الطبرى: جـ8 ص56.

(2) الطبرى: جـ8 ص146-147، جمال سرور: ص211.

(3) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص170، ابن طباطبا: الفخرى 174.

(4) كان ذلك سنة 170هـ، الطبرى: جـ8 ص207-213.

(5) الطبرى: جـ8 ص233 حوادث سنة 170هـ، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص177، ص178، ص179.

لحرب يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الذى ثار فى بلاد الديلم، فاستطاع بحسن سياسته ودهائه أن يستميله على الصلح ويحصل له على أمان بخط الخليفة[1].

وفى سنة 178هـ ولاه هارون بلاد خراسان، فقضى على الفتنة التى قامت بهان وأحسن معاملة أهلها وبنى بها المساجد والأربطة، وأمر بهدم بيت النوبهار (بيت النار) وبنى موضعه مسجدًا، وزاد من عدد الجند والقواد وحذا حذو أبيه فى الكرم وإجزال العطاء على الوافدين إليه وعلى الكتاب ثم عاد بعد سنة إلى بغداد[2].

أما جعفر بن يحيى فقد اشتهر بالفصاحة والفطنة والحلم والكرم، وكان يحيى بن خالد يميل إلى ابنه الفضل، أما هارون فكان يأنس بجعفر لحسن أخلاقه ويؤثره على الفضل، وكثيرًا ما يقول ليحيى: أنت للفضل وأنا لجعفر، وبلغ من حرصه على صداقته أن أنزله قصر الخلد على مقربة من قصره[3]، ونظرًا لأنس هارون بجعفر، فقد عمل على التخلص من الفضل لشراسة أخلاقه حتى قيل إن الرشيد قال يومًا ليحيى: يا أبى ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفرًا بذلك فقال يحيى: لأن الفضل يخلفنى. قال: فضم إلى جعفر أعمالًا كأعمال الفضل، فقال يحيى: إن خدمتك ومنادمتك يشغلانه عن ذلك، فجعل إليه أمر دار الرشيد، فسمى بالوزير الصغير أيضًا[4].

لم يلبث الرشيد أن نقل ديوان الخاتم من الفضل إلى جعفر لعلو منزلته عنده ومحبته إياه، وولاه مصر فى سنة 176هـ وأرسله سنة 180هـ إلى بلاد الشام حين ثار أهلها، فأزال أسباب التذمر، واطمأنت خواطر أهل الشام، فَعَلَتْ منزلته عند الرشيد، فأسند إليه فى هذه السنة ولاية خراسان ثم ولاه حراسة الجيش[5].

أما موسى فكان أشد أبناء يحيى البرمكى بأسًا وقائدًا ومحكنًا، ولاه الرشيد بلاد الشام سنة 176هـ، فأصلح أمورها، غير أن على بن عيسى والى خراسان أوقع بموسى عند

---

(1) الطبرى: جـ8 ص242 – 243، الجهشيارى: ص189 –193.
(2) الطبرى: جـ2 ص257، ص261، الوزراء والكتاب ص183 - 193.
(3) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص189 –192، محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية ص212.
(4) ابن طباطبا: الفخرى ص185 –186، حسن إبراهيم حس: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص57.
(5) الطبرى: جـ8 ص252، 262 بيروت.

الرشيد ورماه بتهمة إثارة الاضطرابات فيها والخروج على طاعة الخلافة، واتفق أن اختفى موسى بسبب دين عليه، فاعتقد الرشيد صحة هذه الوشاية، وأمر به فَحُبِسَ فى الكوفة، ولم يطلق سراحه إلا بوساطة أمه وضمان أبيه له، ثم عفا عنه وخلع عليه، أما محمد بن يحيى فكان سريًّا بعيد الهمة، ولم يكن له من الشهرة ما كان لأخوته[1].

وأصبحت إدارة الدولة العباسية فى السنوات الأولى من عهد الرشيد فى يد البرامكة، ولم تكن إدارتهم مختلة، بل اشتهروا جميعًا بحسن استعدادهم الإدارى، فقد أوصى أولاده بقوله: "لا بد لكم من كتاب وعمال وأعوان فاستعينوا بالأشراف، وإياكم وسفلة الناس، فإن النعمة على الأشراف أبقى وهى بهم أحسن والمعروف عندهم أشهر والشكر منهم أكثر"[2].

من ذلك نستطيع أن نقف على مبلغ خطر الأسرة البرمكية فى أيام هارون الرشيد الذى وثق بهم، وفوض إليهم أمور دولته، ولا نعجب إذا انصرف إليهم الناس، ونظموا القصائد الرائعة فى مدحهم والتغنى بكرمهم وجودهم الذى كان مضرب الأمثال، وقد أشاد ابن طباطبا بذكرهم فقال[3]: "كان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة والبحور زاخرة، والغيوث ماطرة، أسواق الأدب عندهم نافقة، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية، والدنيا فى أيامهم عامرة، وأبهة الملك ظاهرة".

وقد بلغ من جود يحيى وكرمه أنه كان إذا ركب أعد صررًا (جمع صرة) فى كل منها مائتا درهم يدفعها على الذين يقفون فى طريقه، يلتمسون معونته، لهذا لا نعجب إذا تلمس الوشاة وعمال السوء أسباب الإيقاع بالبرامكة[4].

نكبة البرامكة:

لم يلبث هارون الرشيد أن تغير على البرامكة، فقد أمر بعد عودته من حجه سنة 187هـ

---

(1) الطبرى: جـ8 ص251، 293.

(2) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص179، جمال سرور ص212-213.

(3) الفخرى فى الآداب السلطانية ص173.

(4) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص60.

وكتابة عهدى ولديه الأمين والمأمون، بقتل جعفر وصلبه وحرقه وحبس يحيى بن خالد وأبنائه، ومصادرة كل ما يملكون من عقار وأموال ورقيق[1].

أسباب نكبة البرامكة:

اختلفت كلمة المؤرخين وأصحاب السير فى السبب الذى دفع هارون الرشيد إلى نكبة البرامكة، مع أنه شب فى حجر يحيى بن خالد حتى كان يدعوه: يا أبت، ونسب البعض ذلك على مجرد الغيرة والملل، فقد سئل سعيد بن سالم عن خيانة البرامكة الموجبة لغضب الرشيد عليهم فقال: "والله ما كان ما يوجب عمل الرشيد بهم، ولكن طالت أيامهم، وكل طويل مملول، ورأى الرشيد مع ذلك أنس النعمة بهم وكثرة حمد الناس لهم، فتعنت عليهم وتجنى، ولاذ بالخليفة أعداؤهم، كالفضل بن الربيع، وغيره، الذين نجحوا فى الإيقاع لهم لدى الرشيد بذكر العيوب وستر المحاسن، أضف إلى ذلك ما أظهره البرامكة من الدلالة على الرشيد مما لا تتجمله نفوس الملوك، فضلًا عن سعاية أعداء البرامكة عند الرشيد، ومما يدل على تأثير هذه السعايات فى نفس الرشيد ما رواه ابن طباطبا[2] عن بختيشوع الطبيب قال: "دخلت يومًا على الرشيد وهو جالس فى قصر الخلد، وكان البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر، وبينهم وبينه عرض دجلة، فنظر الرشيد، فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال: جزى الله يحيى خيرًا للأمور وأراحنى من الكد ووفر أوقاتى على اللذة، ثم دخلت عليه بعد أوقات وقد شرع يتغير عليهم، فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال: استبد يحيى بالأمور دونى، فالخلافة على الحقيقة له، وليس لى منها إلا اسمها فقلت إنه سينكبهم فنكبهم عقيب ذلك.

ومما يرويه الطبرى[3] عن تغير الرشيد على البرامكة أن يحيى بن خالد طلع على الرشيد، وكان فيما مضى يدخل بلا إذن، فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد رد عليه الرشيد ردًّا ضعيفًا، ثم أقبل على جبريل وكان من الحاضرين مجلسه وسأله: ما بالنا يدخل علينا بلا إذن، فقام يحيى فقال: يا أمير المؤمنين قدمنى الله قبلك، والله ما ابتدأت ذلك

---

(1) الطبرى: جـ8 ص294 وما بعدها.

(2) الفخرى ص190.

(3) الأمم والملوك جـ8 ص288، ابن الأثير: جـ5 ص115.

الساعة وما هو إلا شىء كان قد خص به أمير المؤمنين ورفع به ذكرى حتى إنى كنت لأدخل وهو فى فراشه مجردًا أحيانًا وحينًا فى بعض إزاره، وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يجب، وإذا علمت، فإنى أكون عنده فى الطبقة الثانية من أهل الإذن أو الثالثة إن أمرنى سيدى بذلك. قال: فاستحى وكان من أرق الخلفاء وجهًا وعيناه فى الأرض أن يرفع إليه طرفه ثم قال: ما أردت ما تكره ولكن الناس يقولون، قال: فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه فقال بهذا القول. ثم أمسك عنه وخرج يحيى.

كذلك يروى الطبري[1] عن مبلغ حقد الرشيد على البرامكة وعمله على الغض من شأنهم، فأمر غلمانه بالإعراض عنهم والاستهتار بهم إذا دخلوا قصره، فكانوا لا يقومون لهم ولا يلبون رغباتهم، أضف إلى ذلك أن أعداء البرامكة من بطانة الرشيد دسوا للمغنين شعرًا يثير عامل المنافسة والحقد فى نفسه[2] ومنه هذين البيتين:

ليت هندًا أنجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة   فإن العاجز من لا يستبد

فلما سمع الرشيد هذين البيتين قال: أى والله إنى لعاجز وسلط عليهم سيف انتقامه[3]، ولم يكن الرشيد غافلًا عن حقيقة الحال فى دولته، وعن أن السلطة الفعلية وإدارة الدولة أصبحت فى يد البرامكة وعن تغلغل النفوذ الفارسى فى بلاطه ودواوينه، وعن تذمر العرب واستيائهم لخروج السلطة من يدهم إلى الفرس، وكانت البيئة التى نشأ فيها الرشيد كما رأينا، قد اضطرته إلى اتخاذ الفرس عدة لدولته، فلم يحاول فى بداية عهده أن يباعد بين هؤلاء البرامكة الذين رفعوه إلى عرش الخلافة وبين مناصب الدولة، ورأى أن ينهج طريقًا وسطًا، حتى تحين له الفرصة للقضاء على استئثار هذه الأسرة بالنفوذ فى البلاد، فعول فى بداية عهده على استجلاب محبة شعبه وإعلاء شأنه بين المسلمين، وسلك فى سبيل الاحتفاظ بمكانته بين رعاياه عدة طرق، منها الاتصال بجمهور المسلمين عن طريق حجه المستمر، فكان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته إلا سنين قليلة، وإذا ما خرج

---

(1) الأمم والملوك جـ8 ص288، ابن الأثير: جـ5 ص115.
(2) ابن خلدون: المقدمة ص15.
(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص168.

للحج صحبه كبار العلماء ورجال الدولة[1]، فيسير الخليفة فى موكب عظيم مجتازًا المسافة بين بغداد ومكة، وكان الرشيد فى أثناء الطريق يفرق الهدايا على الأهالى فى البلاد التى يمر بها، وإذا ما وصل إلى مكة وزع الهبات والأموال على فقرائها، وكذلك الحال إذا ما قدم على المدينة، وكان يتصدق كل يوم بألف درهم على فقراء بغداد[2].

ويعزو بعض المؤرخين نكبة هذه الأسرة على حوادث ليست فجائية كالتى تقدمت، وإنما هى أمور جاءت متتابعة، منها أن الرشيد كان يميل كثيرًا إلى تولية الفضل بن الربيع بعض أمور الدولة، فكانت الخيزران أم الرشيد تحول دون ذلك، وكان الفضل يظن أن الذى حملها على ذلك إنما هو جعفر البرمكى فلما مات الخيزران ولى الرشيد الفضل ديوان الخاتم وغيره مما كان فى يد جعفر[3].

وأعقب ذلك حادث إطلاق يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوى، الذى خرج على الرشيد فى بلاد الديلم، فبعث إليه الفضل بن يحيى البرمكى فى خمسين ألف مقاتل، فما زال به حتى مال إلى الصلح، وطلب أمانًا بخط الرشيد، فكتب إليه الأمان بخطه، وشهد فيه القضاة والفقهاء وكبار بنى هاشم، ولما قدم يحيى تلقاه الرشيد بالحفاوة والإكرام، ولكنه لم يلبث أن حبسه إذ علم أنه يعمل لخلعه، واستفتى الفقهاء فى نقض الأمان الذى أعطاه يحيى ثم سلمه لجعفر بن يحيى البرمكى فأطلقه، فكان ذلك من أهم أسباب نكبة البرامكة، وفى ذلك يقول الطبرى[4]: وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه، ثم دعا به ليلة من الليالى فسأله عن شىء من أمره فأجابه إلى أن قال: "اتق الله فى أمرى، ولا تتعرض أن يكون خصمك غدًا محمد r ، فوالله ما أحدثت حدثًا ولا أويت محدثًا فرد عليه وقال: اذهب حيث شئت من بلاد الله فقال: وكيف أذهب ولا آمن أن أوخذ بعد قليل فأرد إليك أو إلى غيرك؟! فوجه معه من أداه إلى مأمنه، وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له عليه من خاص خدمه، فعلا الأمر فوجده حقًّا، وانكشف عنده، فدخل على الرشيد وأخبره، فأراه أنه لا يعبأ بخبره وقال: وما أنت وهذا لا أم لك، فلعل ذلك عن

---

(1) ابن طباطبا: الفخرى ص169.

(2) ابن الأثير جـ5 ص114 هامش (1) بيروت.

(3) الطبرى: جـ8 ص238 وكان ذلك سنة 173هـ.

(4) الأمم والملوك جـ8 ص242 – 251، ص288 – 289، ابن الأثير: جـ5 ص114 بيروت.

أمرى؟! فانكسر الفضل، وجاءه جعفر فدعا الرشيد بالغداء فأكلا وجعل يلقمه ويحادثه إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال: ما فعل يحيى بن عبد الله؟ قال: بحاله يا أمير المؤمنين فى الحبس الضيق والأكبال قال: بحياتى. فأحجم جعفر وكان من أدق الناس ذهنًا وأصحهم فكرًا. فهجس فى نفسه أنه قد علم بشىء من أمره، وقال: لا وحياتك يا سيدى، ولكن أطلقته وعلمت أنه لا خيانة ولا مكروه عنده، قال: نعم ما فعلت وما عدوت ما كان فى نفسى، فلما خرج أتبعه ببصره حتى كاد يتوارى عن وجهه، ثم قال: قتلنى الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك، فكان من أمره ما كان[1].

لذلك لا نعجب إذا ساءت العلاقة بين البرامكة وبين الرشيد وساعد على إشعال هذه النار سعاية الفضل بن الربيع وغيرة وكراهية زبيدة أم الأمين للبرامكة، إذ كانت تظن أن الرشيد قد عهد إلى ابنه المأمون دون الأمين بتأثير يحيى بن خالد البرمكى، أضف إلى ذلك ما اتصل بعلم الرشيد من أن عبد الملك بن صالح العباسى كان يدعو إلى نفسه وأن البرامكة كانوا يساعدونه فغضب عليهم الرشيد وحبس عبد الملك معهم[2].

ولم يكن جعفر البرمكى وحده هو الذى اتهم بالتقرب إلى العلويين بل شاركه فى ذلك أخوه موسى ين يحيى، فقد رماه أعداؤه بأنه ينشر الدعوة إلى العلويين، ويعمل على تحويل الخلافة إليهم بين أهالى خراسان[3].

أما قصة العباسة مع جعفر بن يحيى البرمكى، وتتلخص فى أن هارون الرشيد، لكلفه بمكانة جعفر وأخته العباسة وحرصه على حضورهما مجلسه أذن لهما فى عقد الزواج دون الخلوة، وأن الرشيد غضب على جعفر لعدم تنفيذ هذا الشرط[4]، فأمر نستبعده كل البعد

---

(1) وفى هذا نرى أن الرشيد محق فى غضبه على جعفر بن يحيى الذى أخطأ بتصرفه هذا وكان عليه أن يرجع إلى الخليفة فى طلب الإفراج عن هذا العلوى، أما أن يتصرف هكذا فقد أعطى جعفر نفسه سلطة تفوق مكانته كقائد عسكرى عليه أن يسمع ويطيع أوامر القائد الأعلى هارون الرشيد.

(2) الطبرى: جـ8 ص305 –306 بيروت، ابن الأثير: جـ5 ص116 –118 بيروت.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص170.

(4) يذكر الطبرى: جـ8 ص294 عن أحمد بن زهير أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدى، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب، وذلك بعد أن أعلم جعفرًا قلة صبره عنه وعنها وقال لجعفر: أزوجكم ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسى، تقدم إليه ألا يمسها ولا يكون منه شىء مما يكون للرجل وزوجته فزوجها منه على ذلك إلا أن

مع ما نعرفه من نسب العباسة وحسبها ودينها، فهى بنت الخليفة المهدى بن المنصور وهى كما يقول ابن خلدون[1]: "قريبة العهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين، البعيدة عن عوائد الترف ومواقع الفحش، فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقدا من بيتها؟ وكيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربى بمولى من موالى العجم؟.. وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالى الأعاجم على بعد همته وعظم إبائه؟ ولو نظر المتأمل فى ذلك نظرة المنصف وقاس العباسة بابنة ملك من ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها، وفى سلطان قومها واستنكره وبالغ فى تكذيبه، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس؟".

ومما يؤيد بطلان هذا الرأى ما نعلمه من أنفة العباسيين عن مصاهرة الموالى وليست حكاية أبى مسلم الخراسانى مع زوجة عبد الله بن على العباسى، التى زادت من حنق المنصور عليه، وساعدت على الفتك به بعيدة عن أذهاننا[2].

ونحن نميل إلى القول بأن الرشيد نكب البرامكة لما كان من استبدادهم بالأمور دونه، وفى ذلك يقول ابن خلدون[3]: "وإنما نكب بالبرامكة لما كان من استبدادهم على الدولة، واحتجابهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، وشاركوه فى سلطانه ولم يكن له معهم تصرف فى أمور ملكه، فعظمت آثارهم، وبعد صيتهم، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء، من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عمن سواهم، من وزارة، وكتابة، وقيادة، وحجابة، وسيف، وقلم، فتوجه الإيثار من السلطان إليهم، وعظمت الدولة منهم، وانبسط الجاه عندهم، وانصرفت نحوهم الوجوه، وخضعت لهم الرقاب، وقصرت عليهم الآمال، ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم، وأسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات، واستولوا على القرى والضياع من الضواحى والأمصار فى سائر الممالك، حتى آسفوا البطانة، وأحقدوا الخاصة، وأقصوا أهل الولاية، فكشف لهم وجوه المنافسة والحقد، ودبت إلى مهادهم الوثيرة عقارب

جعفرًا لم يلتزم بذلك فحملت العباسة منه وولدت غلامًا فلما علم الرشيد قتل الصبى وتغير على جعفر، انظر أيضًا ابن الأثير جـ5 ص114.

(1) المقدمة: ص14.

(2) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص171.

(3) المقدمة: ص14.

السعاية".

عاش البرامكة عيشة قوامها البذخ والإسراف وحب الظهور، وأغدقوا الأموال على الشعراء والعلماء، ولم يردوا قاصدًا. قيل إن جعفر بن يحيى البرمكى أنفق على بناء داره عشرين ألف ألف درهم، وهو -كما يبدو- مبلغ ضخم لا يقل عن مليون وستمائة وستين ألف دينار، غير ما يحتاج إليه هذا البناء من أثاث ورياش وخدم وحشم، وما إلى ذلك من أسباب البذخ وألوان الترف التى تثير عوامل الغيرة فى نفس أعدائهم وحسادهم، وتهيئ لهم سبيل الإيقاع بهم عند الخليفة، بهذا تنبأ إبراهيم بن المهدى، ووجد أن نكبة البرامكة آتية لا ريب فيها، وهو يقص علينا هذه العبارة التى ننقلها عن الطبري[1] قال: "أتيت جعفر بن يحيى داره التى ابتناها فقال لى: أما تعجب من منصور بن زياد قلت: فبماذا؟ قال: سألته هل ترى فى دارى عيبًا؟ قال: نعم ليس فيها لبنة ولا صنوبرة قال إبراهيم: فقلت: الذى يعيبها عندى إنك أنفقت عليها نحوًا من عشرين ألف ألف درهم وهو شيء لا آمنه عليك غدا بين يدى أمير المؤمنين، قال: وهو يعلم أنه قد وصلنى بأكثر من ذلك، وضعف ذلك سوى ما عرضنى له، قلت: إنما العدو إنما يأتيه فى هذا من جهة أن يقول: يا أمير المؤمنين إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم، فأين نفقاته؟ وأين صلاته؟ وأين النوائب التى تنوبه؟ وما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك؟ وهذه جملة سريعة إلى القلب والموقف الحاصل منها صعب، قال: أن سمع منى أن قلت إن لأمير المؤمنين نعمًا على قوم قد كفروها بالستر لها، وبإظهار القليل من كثيرها، وأنا رجل نظرت إلى نعمته عندى فوضعتها فى رأس جبل، ثم قلت للناس تعالوا وانظروا"[2].

ويتهم البغدادي[3] البرامكة فيرميهم بالزندقة والميل إلى مذهب المجوس فيقول عند كلامه على الباطنية "ولم يكنهم (الباطنية) إظهار عبادة النيران، واحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغى أن تجمر المساجد وأن تكون فى كل مسجد مجمرة يوضع فيها الند (الطيب)، والعود فى كل حال، وكان البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ فى جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبدًا، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار فى الكعبة،

---

(1) الأمم والملوك جـ8 ص291 بيروت، ابن الأثير: جـ5 ص214 بيروت.

(2) الطبرى: جـ8 ص291، ابن الأثير: جـ5 ص214.

(3) الفرق بين الفرق ص270.

وأن تصير الكعبة بيت نار، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة وذكر ابن النديم[1] أن "البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد بن برمك كانت زنادقة".

كان من أثر خوف الرشيد على ملكه وعلى نفسه أن وصل إلى درجة الوساوس، حتى جعله ذلك أذنًا يسمع كل واش، ويصدق كل حسود، فسعى إلى القضاء على هذه الأسرة، وذلك أنه لما عاد من الحج سار من الحيرة إلى الأنبار فى السفن، وركب جعفر بن يحيى إلى الصيد وجعل يشرب تارة ويلهو أخرى، وتحف الرشيد وهداياه تأتيه، وعنده بختيشوع الطبيب، وأبو زكار الأعمى يغنيه، فلما حل المساء دعا الرشيد مسرورًا الخادم ـ وكان مبغضًا لجعفر ـ وقال: اذهب فجئنى برأس جعفر ولا تراجعنى فوافاه مسرور بغير إذن وهجم عليه وأبو زكار يغنيه:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي   عليه الموت يطرق أو ينادي

وكل ذخيرة لابـد يومًا   وأن كرمت تصير إلى نفـاد

فلما دخل مسرور قال جعفر: لقد سررتنى بمجيئك وسؤتنى بدخولك على بغير إذن فقال: الذى جئت له أعظم، أجب أمير المؤمنين إلى ما يريدك فوقع على رجليه وقبلها وقال له: عاود أمير المؤمنين فإن الشراب قد حمله على ذلك وقال: دعنى أدخل دارى فأوصى فقال: الدخول لا سبيل إليه، وأما الوصية فأوصى بما بدالك، ثم حمله إلى منزل الرشيد، وعدل به إلى قبة، وضرب عنقه وأتى برأسه على ترس الرشيد وبدنه فى نطع، ووجه الرشيد فقبض على أبيه وأخوته وأهله وأصحابه بالرقة واستأصل شأفتهم، وكان قتل جعفر البرمكى فى أوائل صفر سنة 187هـ[2].

لم تكن نكبة البرامكة فجائية كما يتصور البعض، بل كانت بعد تفكير طويل، فالرشيد لم يكن غافلاً عن حقيقة الحال فى دولته، وعن أن السلطة الفعلية وإدارة الدولة أصبحت فى يد البرامكة، وتذمر العرب واستيائهم من ازدياد النفوس الفارسى، ويروى عن السندى بن شاهك (صاحب الشرطة) أن الرشيد أسرّ إليه أنه يستعد للقبض على البرامكة، وحجز أموالهم قبل سنة من إيقاعه بهم، كما أن مواقف الرشيد منهم فى

---

(1) الفهرست: ص472.

(2) الطبرى: جـ8 ص294 –296 بيروت، ابن الأثير: جـ5 ص115 بيروت.

السنوات السابقة لنكبتهم تدل على شعور بضرورة التخلص منهم، فصرف محمد بن خالد بن برمك عام 179هـ عن حجابته وقلدها الفضل بن الربيع[1]، وولى فى السنة التالية 180هـ عيسى بن جعفر خراسان وعزل عنها جعفر بن يحيى الذى ولى الحرس، واستخلف على الحرس هرثمة بن أعين، كما عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويا والري[2].

ولم يكن الرشيد بالخليفة الذى يتساهل فى حقوقه. بل هو رجل على شيء كبير من الدهاء، فأظهر فى بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة بالنفوذ، وعول فى نفس الوقت على انتهاز الفرص لاستعادة ما أخذوه من سلطته، ثم جاهر باستيائه من استبدادهم بالأمور دونه حين بدأ يتغير عليهم. ومن الملاحظ أن البرامكة لم يتخلوا عن تراثهم ونزعتهم الفارسية أثناء توليهم مهام الدولة فى أيام الرشيد، فلا يستطيع أحد أن ينكر ميل خالد بن يرمك لأهل خراسان فى أيام أبو العباس، كما أن يحيى بن خالد كان يؤثر الفرس على غيرهم، فرشح الفصل بن سهل لتولى أمور المأمون أيام الرشيد[3].

وصفوة القول أن تخلص الرشيد من البرامكة كان نتيجة أحداث متتالية، أتاحت الفرصة للخليفة ليستعيد سلطته على الدولة، وقد استطاع الرشيد أن يلقى فى روع الجميع أنه على حق فى الإيقاع بالبرامكة دون أن يصرح بالسبب الذى دعاه إلى ذلك، فقد أسرة تعد زهرة دولته وغرة جبينها، فقد وزراء إن كتبوا أجادوا، وإن قادوا الجيوش سدوا الثغور، وإن ولوا عملاً أصلحوا.

الأمين[4] (193 – 198هـ / 808 – 813م):

عهد الرشيد بالخلافة للأمين ثم المأمون ثم المؤتمن[5]، فلما توفى فى جمادى الآخرة سنة

---

(1) الطبرى: جـ8 ص261، 266.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) حسن إبراهيم حسن: جـ2 ص174.

(4) ولد أبو عبد الله محمد الأمين سنة 170هـ وهى السنة التى ولى فيها أبوه الرشيد الخلافة، وذلك بعد مولد أخيه المأمون بستة أشهر، وأمه أم جعفر زبيدة ابنة أبى جعفر بن المنصور، الطبرى: جـ8 233، ابن الأثير: جـ5 ص167.

(5) الطبرى: جـ8 ص275 - 276.

193هـ ولى الأمين الذى كان عهده مليئًا بالفتن والاضطرابات، ففى الوقت الذى قامت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون اشتعلت نار الثورة فى بلاد الشام على يد على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بالسفيانى، الذى دعا إلى نفسه واحتل دمشق وما يليها، بعد أن طرد عامل الأمين، وكاد يتم له الاستقلال بهذه البلاد لولا قيام نزاع خطير بين اليمنيين والمضريين حال دون تحقيق أطماعه، ومع ذلك لم تتمكن القوات التى أرسلها الأمين بقيادة الحسين بن على بن عيسى، ثم عبد الله بن صالح بن على العباسى من القضاء على السفيانى نظرًا لاضطراب الأوضاع فى بغداد الأمر الذى جعل بلاد الشام مسرحًا للفوضى سنتين أو أكثر[1].

لم يعمر الأمين طويلاً حيث قتل بعد أن جلس على عرش الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وكان فى الثامنة والعشرين من عمره، وقد ذهب الأمين ضحية الفتنة التى قامت بينه وبين أخيه المأمون، بسبب خلعه إياه وتولية ابنه موسى العهد من بعده[2]، ونكث العهد والميثاق الذى أخذه عليه أبوه الرشيد وعلقه فى الكعبة، وقد ساد عهده هذه الفتنة الهوجاء التى فرقت المسلمين وأضعفت قوتهم، ولما قتل الأمين أرسل عبد الله بن طاهر رأسه إلى المأمون، الذى صفا له الجو واستقرت له الأمور[3].

---

(1) الطبرى: جـ8 ص415، حوادث سنة 195هـ.

(2) قامت تلك الفتنة فى بغداد حين عزم الأمين على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع، لأنه كان يخاف المأمون لما فعله عند وفاة الرشيد من إحضاره جميع عسكره إلى الأمين، وكان الرشيد قد أوصى به للمأمون، كذلك حسن الفضل بن الربيع للأمين خلع أخيه والبيعة لابنه موسى، ووافق الفضل فى رأيه بعض الناس، فمال الأمين إلى أقوالهم على حين نهاه أصحابه وذوو الرأى فى بغداد عن ذلك، وحذروه عاقبة البغى ونكث العهود والمواثيق وقالو له: "لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا بيعتك وعهدك فلم يلتفت إليهم، ومال لرأى الفضل بن الربيع وولى عهده ابن موسى وسماه الناطق بالحق، فقام فى وجهه أهل الحجاز واشتعلت نيران الفتنة التى أودت بخلافته. السيوطى: تاريخ الخلفاء ص475 تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم.

(3) الطبرى: جـ8 ص488 وما بعدها.

المأمون[1] (198 – 218هـ / 813 – 833م):

بويع المأمون بالخلافة وهو فى الرى: وظل بخراسان حتى قدم بغداد منتصف شهر صفر سنة 204هـ، وقد ثار أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدى الخلافة[2] حين كان المأمون بمرو، فلما أحس الناس بقدوم المأمون خلعوا إبراهيم بن المهدى، الذى اختفى، فتم القبض عليه، وعفا عنه المأمون وقربه إليه، إلا أنه لم يلبث أن قبض عليه عقب اكتشاف مؤامرة بزعامة إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف بابن عائشة، ترمى إلى اغتيال المأمون وتولية إبراهيم بن المهدى الخلافة ثانية، ومع ذلك فقد عفا عنه المأمون وقتل ابن عائشة[3].

أبقى المأمون الفضل بن سهل وزيرًا له ولقبه ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم[4]، وأسند إلى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق[5]، وبذلك أصبح المأمون فى الواقع فى محيط فارس، فأهل خراسان من الفرس وبنو سهل يديرون دفة دولته، وعادت الحال إلى ما كانت عليه فى أوائل عهد الرشيد حتى استحوذ البرامكة على السلطة[6].

وفى عهد المأمون شق نصر بن سيار بن شبث العقيلى عصا الطاعة، وثار فى شمال حلب أواخر سنة 198هـ، وتغلب على ما جاوره من البلاد وكان عربيًّا يتعصب للأمين لأنه يمثل العنصر العربى، وينقم على المأمون لاتخاذه الخراسانيين الفرس دون العرب أنصارًا له، ولما انتصر طاهر بن الحسين على الأمين واستولى على العراق ندبه المأمون لمحاربة نصر، ولكن طاهرًا لم يجد فى حربه لحقده على المأمون ووزيره الفضل بن سهل وانتزاعه بلاد العراق منه، وانتصرت جيوش نصر على جيوش طاهر بن الحسين، وأراد بعض العلويين

---

(1) ولد المأمون سنة 170هـ وأمه أم ولد فارسية تسمى مراجل، الطبرى: جـ8 ص193.

(2) ثار أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدى الخلافة بعد أن جعل المأمون ولى عهده على بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب وسماه الرضى من آل محمد r، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق. انظر الطبرى: جـ8 ص554 – 555 حوادث سنة 201هـ وابن الأثير: جـ5 ص183.

(3) الطبرى: جـ8 ص574، ص603 –605 ابن الأثير جـ5 ص208 –210.

(4) الفخرى: ص169.

(5) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص305 مطبعة الحلبى 1980م.

(6) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية فى الدولة العربية ص227.

أن يقيموا خليفة منهم، فأبى نصر ذلك وقال: إنما هواى فى بنى العباس وإنما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم[1].

ولما قدم المأمون بغداد استدعى طاهرًا وولى ابنه عبد الله خراسان وطلب إليه محاربة نصر[2]، فجد فى حربه وأرغمه على طلب الأمان، وسيق إلى بغداد فى صفر سنة 210هـ[3] بعد أن حارب جيوش المأمون نحوًا من خمس سنين[4].

خطر الزط[5]:

عكر الزط صفو الخليفة المأمون، وامتد خطرهم حتى أيام المعتصم، ومن المستحسن أن نلقى الضوء عليهم من أيامهم[6] المبكرة فى الجزيرة العربية حتى ظهور خطرهم فى عصر المأمون، وهم قوم هنود سود اللون، موطنهم الأصلي[7] بلاد السند والبنجاب، وكانت هذه الجماعة تنتشر من أطراف المنصورة[8] إلى مكران[9] علاوة على باقى بلاد

---

(1) ابن الأثير: جـ5 ص176 بيروت.

(2) الطبرى: جـ8 ص581 حوادث سنة 206هـ.

(3) ابن الأثير: جـ5 ص207 – ص208.

(4) انظر الطبرى: حوادث سنة 205 – 210هـ.

(5) الزط: معرب "جات" وقد كان قدومهم إلى العرب فى أيام الجاهلية، وكان كثير منهم فى جند المسلمين أيام عمر بن الخطاب. القاضى اطهر المباركيورى: العرب والهند فى عهد الرسالة ص47 ترجمة عبد العزيز عزت خليل، الهيئة المصرية للكتاب 1973م.

(6) انظر لسان العرب لابن منظور جـ7 ص1038.

(7) العرب والهند فى عهد الرسالة ص47.

(8) المنصورة: قال الحموى جـ8 ص177 – 178: منصورة بأرض الهند مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سوارية (مآذنه) ساج، ولهم خليج من نهر مهران (نهر السند) وقال المسعودى: مسيت منصورة نسبة إلى منصور بن جمهور عامل بنى أمية وقال هشام سميت المنصورة لأن منصور بن جمهور الكلبى بناها فسميت به، وقال الحسن بن أحمد المهلبى سميت المنصورة لأن عمر بن حفص الهزاز المهلبى بناها أيام المنصور العباسى فسميت به، وبين المنصورة والدلبل ست مراحل وبين الملتان اثنا عشر مرحلة. وظلت عامرة إلى سنة 643هـ أطهر المباركبورى: العرب والهند ص49.

(9) ذكر ابن خرداذبة: أن المسافة من أول مكران إلى المنصورة 358 فرسخا وأن الزط كانوا حفاظًا على الطريق. المسالك والممالك ص56 طبع أوربا.

السند[1]، وكان منهم من كان يقطن بلوخستان والبنجاب[2].

وصل الزط من الهند إلى البلاد العربية بطرق مختلفة، ومنهم من كان يعمل فى تربية الماشية والأغنام والإبل، بعد أن استوطنوا المنطقة الساحلية من الأيلة إلى عمان والبحرين، وكان أكثر الزط فى هذه المنطقة قد انضم إلى الجيش الإيرانى المقيم فى البلاد العربية وفى بلاد فارس[3].

وكان الزط يسكنون المدن الكبيرة، فى الرقعة الممتدة من فارس إلى العراق، وكانت أكبر مدن الزط، تقع على مسافة ثمانية أميال من مفترق الطرق الذاهبة إلى فارس من سوق الأهواز[4]، وكان فى منطقة خوزستان مدينة عظيمة للزط، وكانت تنقسم إلى قسمين وتعرف كلتاهما باسمين مختلفين: الأولى: "حومة الزط". والثانية: "خايران" وكلتاهما كبيرتان والعمران بهما كبير[5].

وعندما أسلم الزط[6] نزح كثير منهم إلى أنطاكية وسواحل الشام وأصبح بذلك مركزهم الثانى بعد الأيلة والبحرين حيث وجد كثير منهم هناك قبل البعثة ولذلك عندما قامت فتنة الردة سنة 11هـ / 932 – 633م فأنها شملت الزط الذين استثارهم حطم بن ضبيعة ضد الإسلام فى كل من القطيف وهجر[7].

وعندما عمرت البصرة سنة 14هـ / 635 – 636هـ فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب

---

(1) العرب والهند: ص45.

(2) البنجاب: كلمة مركبة من "بنج" بمعنى خمسة و"آب" بمعنى نهر ويطلق هذا الاسم على المنطقة التى تضم الأنهار الخمسة، وأصبح جزء منها فى الباسكتان يضم لاهور وغيرها والجزء الآخر فى الهند. العرب والهند ص45.

(3) المباركيورى: العرب والهند ص49 –50.

(4) وقد بيّن ابن خرداذبة ذلك فقال: من الأهواز إلى زم ستة فراسخ ومنها إلى عبادان خمسة فراسخ ثم إلى رام هرمز ستة فراسخ ثم إلى الزط ستة فراسخ. مسالك الممالك ص35، العرب والهند: ص50.

(5) انظر الاصطخرى: مسالك الممالك ص94.

(6) لا يوجد دليل واضح وصريح على إسلام الزط فى عهد الرسالة، ولكن من المؤكد أن بعض الزط فى حدود اليمن والبحرين قد اسلموا فى عهد الرسالة. العرب والهند ص56.

(7) لم تلبث أن حلت بالزط الهزيمة على يد الجيش الإسلامى فهربت جماعة كبيرة منهم إلى دارين، وفر الباقون إلى أوطانهم. العرب والرسالة ص51 –52.

كان هناك عدد قليل من الزط يقيمون مع بنى حنظلة، وعندما زاد عدد المسلمين الهنود، فإن قبلة بنى تميم اجتذبتهم نحوها، والتحم الزط والسيابجة ببنى حنظلة[1].

وفى خلافة على بن أبى طالب كان جماعة من الزط والسيابجة[2] يحفظون بيت المال فى البصرة، وحدث أن جاء عثمان بن حنيف الأنصارى مندوبًا من قبل الخليفة على ليتسلم ما فى بيت المال من أموال، ولكن حراسه من المشرفين عليه من الزط والسيابجة انكروه ورفضوا تسليمه حتى مجئ على نفسه، وكان من نتيجة ذلك أنهم قتلوا جميعًا فى ليلة واحدة وكان رئيسهم فى ذلك الوقت أبو سالم الزطي[3]. كما حدث مثل ذلك أيضًا عندما نقل معاوية بن أبى سفيان جماعة كبيرة من الزط والسيابجة الهنود من البصرة إلى سواحل أنطاكية والشام[4].

أسكن الحجاج بن يوسف الزط وبعض الجماعات الأخرى منطقة "كسكر" وهناك وجدوا مكانًا طيبًا لاجتماعهم، وموقفًا مناسبًا لجمع فلولهم وطاقتهم وكان الزط يسرقون السفن ومراكب التجارة فى هذه الجهات[5].

كانت الآبلة والبصرة[6] من أكبر الموانى ومراكز التجارة الهندية والصينية وقد سميت تلك المنطقة بفرج السند والهند ويذكر الطبري[7] أن "فرج الهند أعظم فروج فارس شأنًا وأشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب فى البر والهند فى البحر".

انتهز الزط قيام الفتنة بين الأمين والمأمون فاستولوا على طريق البصرة وعاثوا فسادًا، فلما عاد المأمون إلى بغداد ندب عيسى بن يزيد الجلودى لمحاربتهم سنة 205هـ / 820 –

---

(1) المباركبورى: العرب والهند ص56.

(2) يقال إنهم كانوا بين أربعين وأربعمائة – والسيابجة معرب من سياه ومعناه الأسود – وبجه بمعنى الأطفال أى الأطفال السود ولا يوافق المباركبورى على ذلك ويذكر أن معناها القوم الذين يستأجرون للقتال فى السفن. العرب والهند ص61 –63.

(3) العرب والهند: ص66 –70.

(4) تفصيل ذلك ما ذكره البلاذرى فى كلامه عن "أمر الأستاورة" والزط، فتوح البلدان ص266 – ص369.

(5) العرب والهند ص56.

(6) أحمد أمين: فجر الإسلام جـ1 ص13، المباركبورى: ص84.

(7) الأمم والملوك: جـ4 ص5، ابن الأثير: جـ2 ص147 بيروت.

821م، وفى سنة 206هـ / 821 – 822م ولى المأمون داود بن ماسجور البصرة وكور ودجلة واليمامة والبحرين، وندبه لمحاربة الزط غير أن جهود المأمون لم تنجح فى القضاء على فساد الزط الذين استمروا يقاتلون العباسيين إلى أيام المعتصم[1].

وفى عهد المأمون ثار المصريون فى سنة 210هـ / 825 – 826م فبعث عبد الله بن طاهر لإخماد هذه الثورة، فاستولى على الفسطاط وأقر الأمن وتفرغ لإصلاح البلاد، غير أن ولايته لم تطل فعاد إلى العراق وعادت الثورات فى مصر سيرتها الأولى، وانتفض القبط، وخرج عرب مصر الذين كانوا يناصرون الأمين، فندب المأمون قائده الأفشين، ثم جاء بنفسه إلى هذه البلاد وأعاد الأمن إلى نصابه[2].

على أن الحسن بن سهل، لم يتمكن من سياسة أهل العراق بالحزم، كما شاع فى تلك البلاد بعد خروج طاهر بن الحسين منها، ذلك أن الفضل ابن سهل قد استبد بالأمور دون المأمون، وأنه أنزله قصرًا حجبه فيه عن أهل بيته وقواده، مما أثار استياء بنى هاشم ووجوه الناس فى بلاد العراق، وثارت القلاقل فى الأمصار، فقامت بضواحى الكوفة (سنة 199هـ/ 814 – 815م) فتنة بزعامة أبى السرايا السرى بن منصور الذى كان يدعو لأحد العلويين، وأوقع الهزيمة بجيوش الحسن بن سهل، مما اضطر أخاه الفضل أن يرسل هرثمة ابن أعين على رأس جيش كبير لقمع حركة أبى السرايا الذى حلت به الهزيمة[3].

ولما قضى هرثمة على ثورة أبى السرايا، ولاه الخليفة بلاد الشام والحجاز، لكنه اعتذر عن قبول هذا المنصب قبل أن يطلع المأمون بنفسه على حقيقة الحال فى العراق وما يليه غربًا، ويوجه نظره إلى الخطر المحدق به، فلما بلغ هرثمة مرو حاضرة خراسان، خشى أن يخفى الفضل بن سهل خبر قدومه، فضرب الطبول، وما لبث أن مثل بين يديه، وأفضى إليه بحقيقة الحال فى الدولة الإسلامية، فجازاه على عمله بحبسه، ولم يزل فى سجنه حتى

---

(1) الطبرى: جـ8 ص580. ابن الأثير: جـ5 ص197 - 204 بيروت.

(2) المقريزى: خطط جـ2 ص492.

(3) هرب أبو السرايا من الكوفة إلى القادسية ومنها إلى السوس بخوزستان حيث قاتل الحسن بن على المأمونى الذى تمكن من هزيمته فتفرق عنه أصحابه، وتمكن جماعة من رجال الحسن بن سهل من القبض عليه وقتله وبعث برأسه إلى المأمون انظر ابن الأثير: جـ5 ص174 –176، ص177 بيروت.

قتل[1].

المعتصم (218 – 227هـ / 833 – 842م):

بويع المعتصم يوم وفاة أخيه المأمون فى التاسع عشر من شهر رجب 218هـ (823/7/29م) ورفض الجند أن يدخلوا فى طاعته فى مبدأ الأمر، وأرادوا تولية العباس بن المأمون، ولكنه أسرع إلى مباعية عمه بالخلافة احترامًا لوصية أبيه، فحذا الجنود حذوه[2].

ومن المصاعب التى واجهه المعتصم فى خلافته، وهددت مرافق دولته فتنة الهنود المعروفين بالزط والتى استمرت من خلافة المأمون حتى عهده فقد استولوا على طريق البصرة، وحالوا دون وصول المؤن والأقوات إلى بغداد[3] واحتملوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة، فوجه المعتصم عجيف بن عنبسة لحرب الزط سنة 219هـ / 824 – 835م. فحاربهم تسعة أشهر حتى أرغمهم على طلب الأمان، وكان عددهم سبعة وعشرين ألفًا ما بين رجال ونساء وأطفال، ثم جعلهم فى السفن، ودخل بهم بغداد سنة 220هـ / 835م، فدفع بهم إلى بشر بن السميدع، فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة، وظلوا هناك إلى أن أسرهم الروم سنة 241هـ / 855 – 856م[4]، ومن ثم وجدوا طريقًا إلى أوروبا، وعرفوا هناك باسم "جيبس" أو النور، ويقيمون عادة فى خارج المدن[5].

وهكذا فشلت جهود الزط فى تكوين دولة مستقلة لهم بين بغداد والبصرة، بعد أن قاموا بثورة كبيرة فى زمن الخلافة الأموية والعباسية فقد عملت الخلافة العباسية على استئصال شأفتهم[6].

---

(1) ابن الأثير: جـ5 ص179.

(2) ابن الأثير جـ5 ص231 ويشير إلى الطريقة الساخرة التى أسكت بها الجند حينما قال لهم: ما هذا الحب البارد؟ قد بايعت عمى، فسكتوا.

(3) المباركبورى: العرب والهند ص57، حيث يذكر أن أعمال الزط هذه واكبها حدوث قحط فى الهند مما ترتب عليه انتقالهم إلى كرمان وفارس والأهواز.

(4) الطبرى: جـ9 ص8 – 10، ص201 بيروت.

(5) Muire: The Calihate, p. 514.

(6) المباركبورى: العرب والهند ص47.

ظهور عنصر الأتراك وأثرهم على الدولة العباسية:

اعتمد الأمويون على العنصر العربى، فأسندوا إليهم أهم مناصب الدولة، كما اعتمدوا عليهم فى الشئون الحربية، ولم يساووا بينهم وبين العجم، وخاصة الموالى من الفرس الذين عملوا على التخلص من الأمويين وأخذوا ينضمون إلى الثائرين على بنى أمية، وكانوا من أقوى العوامل فى القضاء على الأمويين، ولما آل الأمر إلى العباسيين، اعتمدوا على هؤلاء الموالى الذين قامت على أكتافهم دولتهم، وأخذوا عنهم كثيرًا من نظم الحكم التى كانت سائدة فى العهد الساسانى، وأهملوا العنصر العربى إهمالاً ظهر أثره فى بعض الحركات التى كانت نتيجة سخط العنصر العربى على العنصر الفارسى، ومن أقوى الأمثلة على ذلك تآمر الفضل بن الربيع على البرامكة، ثم قيام الفتنة بين الأمين والمأمون، فكانت فى الواقع انتصارًا للفرس على العرب، وذلك نتيجة للعداء الذى قام بين العرب والفرس.

وقد تواجد الأتراك(1) بعد تأسيس الدولة العباسية على شكل أفراد وجماعات فى البلاد والإدارة، وكانت مصادر وجودهم متنوعة منها:

1- أسرى الحروب بين العرب وبلاد ما وراء النهر وأواسط آسيا وخوارزم.

2- ما كان يرسله الولاة من المماليك(2) الأتراك إلى الخليفة كجزء من الضريبة السنوية المفروضة عليهم من قِبَل الحكومة العباسية(3).

3- الشراء حيث كان الخلفاء يشترون الرقيق الأبيض من بخارى وسمرقند.

4- الهجرة حيث كان الأتراك يهاجرون غربًا نحو بلدان الخلافة الشرقية، فاستقر بعضهم داخل الدولة الإسلامية، واندمجوا فى إطار المجتمع الإسلامى والثقافة العربية.

---

(1) عرف العرب الفاتحون الترك حين فتحوا خراسان فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وكان الأتراك نوعين: المستقرون المستوطنون الذين تأثروا بالثقافة الإيرانية أولاً، والبدو الأشداء المتنقلين الذين كانوا يهاجمون القرى والمدن على حدود خراسان وحتى المناطق المجاورة. اليعقوبى: البلدان ص56 طبعة ليدن، البلاذرى: فتوح البلدان جـ5 ص583 ليدن 1866.

H. Gibb: The Arab conquest, London, 1928.

(2) تشير روايات عديدة إلى وجود الأتراك فى البلاط العباسى منذ زمن الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور حيث كان يرسل إليه عدد من الغلمان الأتراك من والى طبرستان كضريبة سنوية، ابن إسفنديا: تاريخى طبرستان الترجمة الإنجليزية ليدن 1905م.

(3) ومن هؤلاء طولون والد أحمد بن طولون الذى أرسله عامل بخارى إلى الخليفة المأمون.

5- التبشير والتجنيد، فقد كان المأمون يرسل الدعاة إلى بلاد الترك للتبشير بالإسلام، ويفرض العطاء لم يسلم منهم[1].

ولما ولى المعتصم الخلافة وكانت أمة تركية[2]، أهمل العنصر العربى والفارسى واعتمد على الأتراك الذين اتخذهم حرسًا وجندًا له[3]، وأسند إليهم مناصب الدولة كما فعل أخوه المأمون مع الخراسانيين، وكان المعتصم بذلك أول خليفة استعان بالأتراك[4] وأسند إليهم مناصب الدولة وقد عنى المعتصم باقتناء الترك، فبعث فى شرائهم من سمرقند وفرغانه، وغيرها من النواحى، وبذل فى سبل ذلك الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب[5].

وما لبث أن تفاقم نفوذ هؤلاء الأتراك وزاد عددهم حتى أربى على الخمسين ألفًا، وأخذ الأتراك الذين كانوا بعيدين عن الحضارة والعلم يندمجون فى طبقات الأمراء المثقفين، فاعتنقوا الإسلام، وتأدبوا بآدابه، وتعلموا اللغة العربية، ووقفوا على أحكام القرآن، حتى إذا أصبح أحدهم ذا كفاية تؤهله للاضطلاع بشئون الدولة أو القيام بأعباء المناصب العالية فى البلاط ـ تحرر من عبوديته، وتولى المنصب الذى يتناسب مع كفاءته ومواهبه، ومن ثم رشحوا للمناصب على اختلافها، ووصلوا إلى أعلى مراتبها من الاندماج فى سلك البلاط إلى تقلد أكبر الولايات، وقد بلغ من نفوذ هؤلاء الأتراك أن أخذ الخلفاء يقطعونهم الولايات الإسلامية، على أن يؤدوا جزية معينة[6].

ولم يلبث الأتراك أن أصبحوا آفة على أهل بغداد الذين عانوا من عنتهم وجورهم

---

(1) فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص240 - 241.

(2) يقال لها: ماردة السعدية، الطبرى: جـ9 ص123 بيروت.

(3) رغم أن هؤلاء الجند كان يشار إليهم بصورة عامة بكونهم من الأتراك فلم يكن كلهم من أصل تركى: فكان بينهم المغاربة المستوردين من مصر والمغرب، فاروق عمر: العباسيون الأوائل جـ1 ص243.

(4) لم يكن إصطلاح الترك اصطلاحًا عنصريًا فى تلك الفترة المبكرة بقدر ما هو إصطلاح سياسى ولغوى، ولذلك فإن بعض المناطق التى سكنها الترك فى خراسان بمرور الزمن أخذت تتكلم التركية وعلى هذا اعتبر سكانها أتراكًا.

Fry: Turks. J. A. O. S. pp. 144 - 145.

(5) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص223، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص193.

(6) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى جـ2 ص193 – 194 ص،1959م.

شيئًا كثيرًا، ويقول المسعودي[1]: "إن الأتراك كانوا يؤذون العوام بمدينة السلام، بجريها بالخيول فى الأسواق وإلحاق الأذى بالضعفاء والصبيان، فكان أهل بغداد يثورون على بعضهم فيقتلونهم إذا صدموا امرأة أو شيخًا كبيرًا أو صبيًا أو ضريرًا، وقد زاد الطبري[2] هذه المسألة بيانًا فقال: "إن غلمان الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلاً فى أرباضها، وذلك أنهم كانوا عجم جفاة، يركبون الدواب يتراكضون فى طرق بغداد وشوارعها، فيصدمون الرجل والمرأة، ويطئون الصبى، فيأخذهم الأبناء[3] فينكسونهم عن دوابهم، ويجرحون بعضهم فربما هلك من الجراح بعضهم، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم وتأذت بهم العامة، فذكر أنه رأى المعتصم راكبًا منصرفًا من المصلى فى يوم أضحى أو فطر، فلما صار فى مربعة الحرشى نظر إلى شيخ قد قام إليه، فقال له: يا أبا إسحاق! فابتدره الجند ليضربوه، فأشار إليهم المعتصم فكفهم عنه فقال للشيخ: مالك؟ قال: لا جزاك إله من الجوار خيرًا، وجئت بهؤلاء العلوج[4] فاسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمت الأطفال وأرملت بهم نسواننا وقتلت بهم رجالنا والمعتصم يسمع ذلك كله"[5].

لم يلبث المعتصم أن ندب أحد رجاله لاختيار موضع كان السفاح قد شرع فى بناء مدينة جديدة فيه، ثم بنى الرشيد بجوارها قصرًا وحفر عندها نهرًا سماه "القاطول" ثم بنى المعتصم فى ذلك المكان قصرًا وهبه لمولاه آشناس التركى وقد فكر المعتصم فى هذا المكان الذى فيه قصره، فبنى عنده مدينة "سامراء"[6] وجعلها حاضر خلافته الجديدة[7].

---

(1) مروج الذهب جـ2 ص349 القاهرة 1946م.
(2) الطبرى: جـ9 ص18 بيروت.
(3) الأبناء: هم البقية الباقية من الفرس الذين طردوا الأحباش من اليمن.
(4) العلج: حمار الوحش الشديد ويقصد بذلك شدتهم ووحشيتهم.
(5) يقول الطبرى بعد ذلك الحوار أن المعتصم سمع هذا الكلام ثم دخل داره فلم ير راكبًا إلى السنة التالية فى مثل ذلك اليوم خرج فصلى بالناس العيد فلم يرجع إلى منزله ببغداد ولكنه صرف وجه دابته إلى ناحية القاطول وخرج من بغداد ولم يرجع إليها. الأمم والملوك جـ9 ص18.
(6) ذكر المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص250 فى سبب تسمية سامرا بهذا الاسم أنها مدينة سام بن نوح، وذكر ياقوت أن سام بنى هذه المدينة فنسبت إليه وسميت (سام راه) بالفارسية، وذكر أن هذه المدينة لما عمرت أطلق عليه اسم (سرور من رأى) ثم اختصر الاسم فقيل سر من رأى). ولما خربت واستوحشت سميت (ساء من رأى) ثم اختصرت فقيل (سامرا). انظر بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص53 ترجمة حمزة طاهر، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام جـ2 ص،377 –377.
(7) تقع سامرا شرق دجلة على مسيرة ثلاثة أيام من بغداد وتبعد عنها ستين ميلاً من ناحية الشمال.

كان من أثر السياسة التى سار عليها المعتصم فى الاستعانة بالأتراك وإجزاله الهبات والعطايا لهم دون غيرهم أن دب فى نفوس العرب دبيب الغيرة والحسد لهؤلاء الأتراك، وقام عجيب بن عنبسة ذلك القائد العربى الذى أبلى بلاء حسنًا فى محاربة الزط، بثورة على قواد الترك الذين أساءوا معاملة العرب، بل عزم على التخلص من المعتصم نفسه، فأغرى العباس بن المأمون بالخروج على عمه والمطالبة بعرشه، ودخل قواد العرب فى حلبة هذه المؤامرة واتفقوا على قتل المعتصم والأفشين وأشناس إذا تم توزيع الغنائم التى استولى عليها المسلمون من البيزنطيين فى موقعة عمورية[1].

على أن خبر هذه المؤامرة قد تسرب إلى المعتصم الذى تمكن من القضاء عليها فى مهدها، ولكنه لم يتخلص من أثرها، فقد أوقعته فى أيدى قواد الأتراك، وأدت إلى إقصاء قواد العرب والفرس تدريجيًا وإسقاطهم من ديوان العطاء، إلا أن الأمر ساء بالنسبة للخلفاء، ذلك أن الأتراك لم يكونوا جادين فى إخلاصهم للخليفة، فقد تغلب على نفوسهم عوامل الرغبة فى انتزاع السلطة، وغدا الخلفاء أثناء وجود البلاط العباسى فى سامراء لعبة فى أيدى قواد الأتراك[2].

وكان لاعتماد المعتصم على الأتراك أثره على العرب فى الأمصار، فثاروا فى بلاد الشام تحت زعامة أبى حرب المبرقع اليمانى الذى أشعل نار الفتنة فى فلسطين قبل موت المعتصم بقليل بسبب دخول أحد الجند داره وهو غائب، فلما عاد وعلم بالخبر قتل هذا الجندى، وخاف على نفسه فلبس برقعًا وهرب إلى بلاد الأردن حيث أخذ يحرض الناس على الخليفة المعتصم، إلا أن المعتصم تمكن بمعونة قائده رجاء بن أيوب الحضارى من هزيمة أبى حرب وأسره[3].

الواثق[4] (227 – 232هـ / 842 – 847م):

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلامى السياسى جـ2 ص77.

(2) Muir: The Capliphate, p. 517.

(3) الطبرى: جـ9 ص116 – ص118 بيروت.

(4) ولد هارون الواثق بالله بن المعتصم فى شهر شعبان 186هـ وأمه رومية يقال لها قراطيس. الطبرى: جـ9 ص121.

ولى المعتصم ابنه الواثق عهده فولى الخلافة فى شهر ربيع الأول سنة 227هـ / 16 ديسمبر 841 واقتدى بأبيه فى الاعتماد على الأتراك الذين كثر عددهم وشغلوا المناصب العالية فى الدولة، فولى أشناس التركى السلطة وتوجه بتاج مرصع بالجواهر حتى أن السيوطي[1] علق على ذلك بقوله: وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطانًا فإن الترك إنما كثروا فى عهد أبيه".

حكم الواثق الدولة العباسية أقل من ست سنين، ولم يولِّ عهده أحدًا وتوفى فى شهر ذى الحجة سنة 232هـ / يولية – أغسطس 847م وبموته انتهى العصر الذهبى للدولة العباسية، وذلك نتيجة طبيعية لهذه السياسة التى سار عليها أبوه المعتصم، الذى اعتمد على الأتراك، وأحلهم محل العرب، وما جره هؤلاء من إثارة خواطر الأهلين بسبب تمسكهم بالبدع الدينية.

---

(1) تاريخ الخلفاء ص226 القاهرة 1351هـ.

الطاهريون والصفاريون

وعلاقتهم بالخلافة العباسية

الدولة الطاهرية

بداية ظهور الطاهريين:

قامت ببغداد فى خلافة الأمين (193 – 198هـ) فتنة جامحة، حين عزم على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع[1]، لذلك حسن الفضل بن الربيع للأمين خلع أخيه والبيعة لابنه موسى، ووافق الفضل فى رأيه بعض الناس، فمال الأمين إلى أقوالهم، على حين نهاه أصحابه وذوو الرأى فى بغداد عن ذلك وحذروه عاقبة البغى ونكث العهود والمواثيق وقالوا له: "لا تجرِّئ القواد على النكث للأيمان وعلى الخلع فيخلعوك"[2]، فلم يلتفت الأمين إليهم وولى عهده ابنه موسى وسماه الناطق بالحق[3]، وبذلك نكث الأمين العهد والميثاق الذى أخذه على نفسه فأغضب الخراسانيين وغيرهم من أهالى الأمصار الإسلامية.

على أن الأمين لما شرع فى خلع المأمون دعاه للحضور إلى بغداد ليقر على نفسه بالخلع، ولكن المأمون اعتذر عن عدم الحضور، وكثرت الكتب بينهما، ورقَّ الأمين فى مراسلاته حتى كاد ينخدع ويوافق على خلع نفسه من ولاية العهد ومبايعة موسى بن الأمين، إلا أن الفضل بن سهل[4] وزير المأمون شجعه على الامتناع وضمن له الخلافة[5].

---

(1) انظر نصيحة خزيمة بن خازم للأمين فى كتاب السيوطى: تاريخ الخلفاء ص198، القاهرة 1351هـ، ابن الأثير: جـ5 ص138 بيروت.

(2) يذكر ابن الأثير: الكامل جـ5 ص142 أن لقبه "القائم بالحق".

(3) استوزر المأمون الفضل بن سهل الذى سمى (ذا الرياستين) لجمعه بين السيف والقلم، كما يقال له (الوزير الأمير.) ابن الأثير، جـ5 ص150.

(4) ابن الأثير: جـ5 ص139.

(5) ابن الأثير، الكامل جـ5 ص142، وكان قد أمر بإسقاط ما كان ضرب لأخيه المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان سنة 194هـ؛ لأنها لم يكن عليها اسم الأمين.

اشتهر المأمون فى أثناء مقامه بخراسان بالورع والتقوى، فحسنت سيرته وتمدح الناس بذكره، على حين انصرف الأمين بعد اعتلائه عرش الخلافة إلى اللهو والمجون، فلما ظهرت بوادر الفتنة، استمال الفضل بن سهل الناس إلى المأمون وضبط الثغور، وقام بتفتيش الكتب الواردة إلى خراسان وقبض على أعوان الأمين، كما قطع الأمين خطبة المأمون من بغداد سنة 195هـ[1].

قامت الفتنة بين الأخوين وهى فى الواقع نزاع حزبى بين الفرس أنصار المأمون من ناحية، وبين العرب أنصار الأمين من ناحية أخرى. وقد قاد أمر هذا النزاع الفضل بن سهل وزير المأمون وكان فارسيًّا، والفضل بن الربيع وزير الأمين وكان عربيًّا، وسرعان ما تغلب طاهر بن الحسين[2] قائد المأمون على جند على بن عيسى بن ماهان قائد الأمين وقتله بظاهر الرى[3].

وقد وضع حصار بغداد وسقوطها على أيدى طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وزهير بن المسيب، حدًّا لهذا النزاع الذى انتهى بقتل الأمين، فقد نزل زهير رقة كلوذى وحفر الخنادق ونصب المجانيق[4] ورمى جند الأمين بالعرادات[5]. وأخذ عُشر أموال التجار، وجبى الضرائب على السفن[6]، ونزل هرثمة نهر "بين" وجعل عليه حائطًا وخندقًا، وأعد المجانيق، ونزل طاهر البستان القريب من باب الأنبار، وكان من أثر هذا الحصار أن ضاق الأمين ذرعًا ونفذت أمواله، واضطر لبيع كل ما فى الخزائن والأمتعة، وضرب ما فى قصوره من آنية الذهب والفضة دنانير لينفق منها على الجند[7]. ثم استولى طاهر على بعض أرياض بغداد ومدينة المنصور الشرقية وأسواق الكرخ، وعلى قصر الخلد[8].

---

(1) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق، وكان واليًا على مرو وهراة، كما كان من قبل كاتبًا لسليمان بن كثير الخزاعى. انظر ابن الأثير: جـ5 ص176.

(2) الطبرى: جـ8 ص445 بيروت.

(3) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة.

(4) والعرادة: أصغر من المنجنيق.

(5) الطبرى: جـ8 ص445 بيروت.

(6) المرجع السابق: جـ8 ص446.

(7) المرجع السابق: جـ8 ص447، 448 بيروت.

(8) الطبرى: جـ8 ص463.

انتصر جند الأمين على جند طاهر بن الحسين فى موقعة "درب الحجارة"[1] وهزمه هرثمه فى موقعة "باب الشماسية"[2]، وإزاء ذلك لم يجد طاهر بن الحسين بدًّا من أن يأمر بإحراق مدينـة بغداد وهدمهـا.

يقول الطبري[3] «إن طاهر بن الحسين هدم دور من خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة إلى الصراة، وأرحاء أبى جعفر وربض حميد ونهر كرخايا والكناسة، وجعل يبايت أصحاب محمد (الأمين) ويد الجهم ويحوى كل يوم ناحية من بعد ناحية ويخندق عليها المراصد من المقاتلة".

ضعف أمر الأمين وتركه بعض قواده، وانحازوا مع بعض تجار الكرخ ووجهوها إلى طاهر بن الحسين، وطلب الجند أرزاقهم فأمر الأمين ببيع ما تبقى من التحف فى خزائنه، وتحرج موقفه حتى إنه لم يعد يثق فى المقربين إليه، وعبر عن سخطه وسوء حاله فى هذه الكلمات: "وددت أن الله عز وجل قتل الفريقين جميعًا وأراح الناس منهم؛ فما منهم إلا عدو ممن معنا وممن علينا، أما هؤلاء فيريدون مالى، وأولئك فيريدون نفسي"[4].

أشتد البلاء على بغداد، وأيقن قواد الأمين أنه لا قبل لهم بمقاومة الحصار فخشوا سوء مصيرهم، وأشار عليه جماعة منهم بالهرب إلى الجزيرة والشام وطلب النجدة وصادف هذا الرأى قبولاً منه. ولكن طاهر بن الحسين كتب إلى سليمان بن جعفر وإلى محمد بن عيسى وإلى السندى بن شاهك "والله لأن لم تقروه وتردوه عن هذا الراى لا تركت ضيعة إلا قبضتها، ولا تكون لى همة إلا أنفسكم، فدخلوا على محمد (الأمين) فقالوا لقد بلغنا الذى عزمت عليه، فنحن نذكرك الله فى نفسك: أن هؤلاء صعاليك، وقد بلغ الأمر ما ترى من الحصار، وضاق عليهم المذهب، وهم يرون أن لا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيط وعند طاهر وهرثمة، لما انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجد فيها ولسنا نأمن إذا بررزوا بك وحصلت فى أيديهم أن يأخذوك أسيرًا، فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم وضربوا له فيه الأمثال"[5].

---

(1) الطبرى: جـ8 ص464 - 465.

(2) المرجع السابق: جـ8 ص459 وانظر أيضًا ابن الأثير: جـ5 ص159.

(3) المرجع السابق: جـ8 ص470.

(4) الطبرى: جـ8 ص478 – 479 بيروت.

(5) السابق نفسه.

واختلف أصحاب الأمين فى الرأى: فطلب من هرثمة أن يتوسط فى إصلاح ذات البين بينه وبين أخيه المأمون على أن ينزل عن الخلافة[1] وقال أبو الحسن المدائنى: "لما هم محمد بالخروج إلى هرثمة وأجابه إلى ما أراد اشتد ذلك على طاهر، وأبى أن يرفه عنه ويدعه يخرج وقال: هو فى حيزى والجانب الذى أنا فيه، وأنا أخرجته بالحصار والحرب حتى صار إلى طلب الأمان، ولا أرضى أن يخرج إلى هرثمة دونى فيكون الفتح له[2].

غير أن محمد (الأمين) حينما جن الليل لبس لباس الخلافة يريد هرثمة، فوثب به طاهر، وكان قد كمن له فى قصر الخلد، فلما صار إلى الحراقة[3]. خرج طاهر وأصحابه فرموا الحراقة بالسهام والحجارة، فألقى الأمين بنفسه فى الماء، وركض إلى الشاطئ فحمل عليه بعض رجال المأمون وقتلوه وأخذوا رأسه، فبعث طاهر برأس الأمين مع البردة والقضيب والسيف[4] فأمر له بألف ألف درهم[5].

وذكر عن المدائنى أن طاهرًا كتب إلى المأمون بالفتح وبين له كيف أنه لم يمكن هرثمة بن أعين من إنقاذ الأمين، وأنه تتبع الأمين وهو فى طريقه للقاء هرثمة وأغرق حراقته وقتله على يد قريش (الدندانى) [6] بعد أن حاول الأمين إغراء قادة طاهر بالمال[7]، وكيف استطاع أن ينشر الأمن والسكينة فى المدينة (بغداد) بعد أن تبينوا مقتل الأمين (المخلوع) وهو يرجو أن يهنأ المأمون بنعمة النصر وحلاوته، ويتمتع المسلمون ببركة ولايته ويمن خلافته[8].

ومما يذكر أن طاهر بن الحسين لما فتح بغداد كتب إلى أبى إسحاق المعتصم[9]: أما بعد

---

(1) الطبرى: جـ8 ص481.

(2)السابق: جـ8 ص481.

(3) الحراقة: نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها.

(4) الطبرى: جـ8 ص481 – ص488 بيروت وكان مقتل الأمين ليلة الأحد 25 محرم سنة 198هـ.

(5) الطبرى: جـ8 ص488 ويذكر أن رأس محمد الأمين أدخل على ترس إلى المأمون فلما رآه سجد.

(6) الطبرى: جـ8 ص488.

(7) فقد عرض مائة حبة قيمة كل حبة ألف درهم.

(8) انظر نص الكتاب عند الطبرى: جـ8 ص489 – 492 بيروت.

(9) ذكر البعض أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدى الطبرى: جـ8 ص495 ويؤيد ابن عبد ربه أن الخطاب إلى إبراهيم بن المهدى. العقد الفريد: جـ4 ص241.

فإنه عزيز على أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير، ولكنه بلغنى أنك تميل بالرأى وتصغى بالهوى، إلى الناكث المخلوع، وإن كان كذلك فكثير ما كتبت به إليك وإن كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته.

وكتب فى أسفل الكتاب هذه الأبيات:

ركوبك الأمر ما لم تبلَ فرصته   جهل ورأيك بالتغرير تغرير[1]

ولما قتل الأمين ووصل خبره إلى المأمون من طاهر يوم الثلاثاء لأثنتى عشر ليلة خلت من صفر سنة 198هـ أظهر المأمون الخبر، وأرسل إليه وإلى هرثمة بخلع القاسم بن هارون[2].

وفى سنة 198هـ أمر الخليفة طاهر بن الحسين بالتوجه إلى الرقة لحرب نصر بن شبث وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب[3].

وفى سنة 205هـ ولى المأمون خراسان طاهر بن الحسين[4]. وكذلك ولاه الجبال من

---

(1) الطبرى: جـ8 ص495.
وفى العقد الفريد جـ4 ص242.

ركوبك الهول ما لم تلفَ فرصته   جهل رمى بك بالأقحام تغرير
أهون بدنيا يصيب المخطئون بها   حظ المصيبين والمغرور معرور
فازرع صوابًا وخذ بالحزم حيطته   فلن يذم لأهل الحزم تدبير
فإن ظفرت مصيبًا أو هلكت به   فأنت عند ذوى الألباب معذور
وإن ظفرت على جهل ففزت به   قالوا جهول أعانته المقادير

(2) الطبرى: جـ8 ص499.
وذكر أن طاهر قال حين قتل الأمين

قتلت الخليفة فى داره   وأنهبت بالسيف أمواله

وقال أيضًا:

ملكت الناس قسرًا واقتدار   وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو   إلى المأمون تبتدر ابتدارا.

(3) الطبرى: جـ8 ص527 وذلك بعد أن أمره أن يسلم كل ما افتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن للحسن بن سهل.

(4) مما يرويه الطبرى: جـ8 ص578 – ص579 أن طاهرًا دخل على المأمون فلما رآه بكى فلما سأله رفض أن يبوح له بسر بكائه فتحايل طاهر أن يعرف سبب بكائه عن طريق ساقى المأمون فعرف أنه ذكر أخاه محمد الأمين وما ناله من الذلة فخنقته العبرة فاستراح إلى الإفاضة (البكاء) وذكر أنه لن يفوت طاهرًا منه ما يكره.

حلوان إلى خراسان. وحمل إليه عشرة آلاف ألف وذكر أنه قبل خروجه إلى خراسان وولايته لها، ندبه الحسن بن سهل للخروج إلى محاربة نصر بن شبث فقال: حاربت خليفة، وسقت الخلافة إلى خليفة وأؤمر بمثل هذا! وإنما كان ينبغى أن توجه لهذا قائدًا من قوادي[1].

سياسة طاهر بن الحسين فى الحكم:

وفى سنة 206هـ ولى المأمون عبد الله بن طاهر[2] الرقة لحرب نصر بن شبث ومضر[3]. فكتب إليه أبوه يبين له سياسته فى الحكم.

1- أمره بتقوى الله وخشيته ومراقبته والبعد عما يوجب سخطه، وليكن أول ما يلزم به نفسه المواظبة على ما افترض الله من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس فى مواقيتها على سننها والخشوع وصدق النية، والحض عليها جماعة.
2- الأخذ بسنة رسول الله، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
3- أن يحفظ رعيته، ويحسن إليهم ويرأف بهم، وأن يقيم العدل بينهم وأن يحقن دمائهم، ويؤمن سبيلهم، وأن يدخل الراحة عليهم فى معايشهم. وأن يفرغ لذلك فكره وعقله وبصره ولا يشغلنه عنه شاغل.
4- أن يرعى العلماء والفقهاء، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه فى دين الله والطلب له والحث عليه.
5- عليه أيضًا الاقتصاد فى الأمور كلها، فالقصد فى شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب، "ولا تقصر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة".
6- إحسان الظن بالله عز وجل فبه تستقيم له رعيته.

---

(1) الطبرى: جـ8 ص579 – 580 ويذكر أن ذلك كان سببًا فى المصادمة بين الحسين وطاهر، ابن الأثير: جـ5 ص197.

(2) مما يذكره ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ2 ص130.

(3) أن المأمون طلب من طاهر بن الحسين أن يصف له ابنه فقال: يا أمير المؤمنين إن مدحته عبته، وإن ذممته اغتبته ولكنه قدح فى كف مثقف ليوم نضال فى خدمة أمير المؤمنين.

7- اختيار أهل الثقة فى القيام بأمر من أمور الولاية، "واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنهم سوء الظن بهم ورفضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم".

8- أمره بمراجعة أعماله وتقويم نفسه، وإقامة حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن التفريط فى ذلك يفسد "عليك حسن ظنك".

9- تجنب البدع والشبهات.

10- الوفاء بالعهد، وقبول الحسنة والدفع بها، وأغمض العين عن عيب كل ذى عيب من الرعية، واجتناب الكذب والزور وأهله، واستمالة أهل الصدق والصلاح، وإعانة الأشراف بالحق، وأن يصل الضعفاء وذوى الأرحام، مبتغيًا فى ذلك ثواب الله والدار الآخرة واجتناب سوء الأهواء والجور.

11- حذره عاقبة التسلط أو أن يشيع بين الناس أنه مسلط يفعل ما يشاء، فإن ذلك سريع إلى نقص الرأى فى صاحبه وقلة اليقين.

12- دعاه إلى القناعة وأن يدع شره النفس، ولتكن ذخائره وكنوزه التى يدخرها البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم، وتفقد أمورهم والحفظ لدهمائهم والإغاثة لملهوفهم.

13- أن يقضى بالحق فيما حمل من النعم، والبس من العافية والكرامة، ولا تحقرن ذنبًا، ولا تمايلن حاسدًا، ولا ترحمن فاجرًا ولا تصلن كفورًا، ولا تداهن عدوًا، ولا تصدقن نمامًا، ولا تأمنن غدارًا، ولا توالين فاسقًا، ولا تتبعن غاويًا، ولا تحمدن مرائيًا ولا تحقرن إنسانًا ولا تردن سائلاً فقيرًا ولا تجيب باطلاً، ولا تأتين بذخًا، ولا تمشين مرحًا، ولا تركبن سفهًا ولا تفرطن فى طلب الآخرة، ولا تغمضن عن الظلم رهبة أو مخافة ولا تطلبن ثواب الدنيا بالآخرة، وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالحلم. وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة.

14- أن يكون جوادًا كريمًا وأن يتجنب الشح.

15- أن يتفقد الجند ويدر عليهم الأرزاق ويوسع عليهم معايشهم.

16- أن يكون لديه قضاء عادل، فتصلح الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم.

17- والعدل فى جمع الخراج فإنه مال الأمة.

18- بث العيون فى كور الولاية حتى تحس الرعية أنه معهم يعلم أخبارهم.

19- الحزم فى الأمور ولا يؤجل عمل اليوم إلى الغد.

20- أن ينظر أمور عماله وأن يتفقد أعمالهم متبعًا فى ذلك أسلوب الثواب والعقاب فمن أحسن أثابه ومن أساء عاقبه.

21- ألا يمتن على رعيته بمعروف يأتيه إليهم، ولا يقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة والعون فى أمور أمير المؤمنين.

22- أن يرجع إلى ولايته ويكثر النظر فيها مع الاستعانة بالله على جميع الأمور، وأن يأتى من الأعمال ما يرضى الله فإن فيه عزه وعز أهله(1).

خلفاء طاهر بن الحسين:

لم يلبث طاهر بن الحسين أن توفى سنة 207هـ(2) فكتب المأمون بتولية طلحة بن طاهر على خراسان، وأقام طلحة واليًا على خراسان فى أيام المأمون من سبع سنين بعد موت طاهر، ثم توفى، وولى خراسان عبد الله – وكان يتولى حرب بابك – فأقام بالدينور، ووجه الجيوش(3).

وقد ذكر فى أمر ولاية طلحة خراسان بعد أبيه طاهر غير هذا القول ذلك أن طاهرًا لما مات – وكان موته فى جمادى الأولى – وثب الجند فانتهبوا بعض خزائنه، فقام بأمرهم

---

(1) الطبرى: جـ8 ص582 – ص591 وذكر أن طاهرًا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون وقرئ عليه فقال: ما بقى أبو الطيب شيئًا من أمر الدين والدنيا والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحى الأعمال، انظر أيضًا ابن الأثير: جـ5 ص198 – ص203.

(2) وكانت وفاته من حمى وحرارة أصابته وأنه وجد فى فراشه ميتًا.

الطبرى: جـ8 ص593، ابن الأثير: جـ5 ص204.

لما ورد موت طاهر على المأمون قال: الحمد لله الذى قدمه وأخرنا. وكان طاهر أعور وفيه يقول بعضهم:

يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة.

(3) الطبرى: جـ8 ص595.

سلام الأبرشى الخصى، فأمر بإعطاء الجند رزق ستة أشهر. فصير المأمون عمله إلى طلحة خليفة لعبد الله بن طاهر، ذلك أن المأمون ولى عبد الله فى قول هؤلاء بعد موت طاهر عمل طاهر كله – وكان مقيمًا بالرقة على حرب نصر بن شبث – وجمع له مع ذلك الشام، وبعث إليه بعهده على خراسان وعمل أبيه: فوجه عبد الله أخاه طلحة بخراسان، وكاتب المأمون طلحة باسمه فوجه المأمون أحمد بن أبى خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة فشخص أحمد إلى ما وراء النهر، فافتتح أشروسنه (من بلاد ما وراء النهر) وأسر كاوس بن خاراخره وابنه الفضل، وبعث بهما إلى المأمون، ووهب طلحة لابن أبى خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضًا بألفى ألف، ووهب لإبراهيم بن إلياس كاتب أحمد بن أبى خالد خمسمائة ألف درهم[1].

وفى سنة 209هـ جد عبد الله بن طاهر فى قتال نصر بن شبث وحصره واضطره إلى طلب الأمان، وتحول من معسكره إلى الرقة، وصار إلى عبد الله بن طاهر؛ وكان المأمون قد كتب قبل ذلك بعد أن هزم عبد الله بان طاهر جيوشه كتابًا يدعوه إلى طاعته ومفارقة معصيته فلم يقبل[2].

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن طاهر حارب نصر بن شبث مدة خمس سنوات حتى طلب الأمان، فكتب عبد الله إلى المأمون يعلمه أنه حصره وضيق عليه وقتل رؤساء من معه، وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه فأمره أن يكتب له كتاب أمان فكتب إليه[3]. وفى سنة 210هـ وصل نصر بن شبث بغداد بعد بن وجه به عبد الله بن طاهر إلى المأمون[4].

ومما يرويه ابن عبد ربه تبين لنا أن طاهر بن الحسين بقى على الطاقة مخلصًا للخليفة المأمون بعد ولايته خراسان، ويبدو أن المأمون لم ينسَ قتل طاهر لأخيه الأمين، فحاول المأمون إرسال من يسمه، فأدرك طاهر غاية المأمون فدعا رسول المأمون وصيف فدخل

---

(1) الطبرى: جـ8 ص595، ابن الأثير جـ5 ص205.

(2) إذ كان من شروط نصر بن شبث ألا يطأ بساط المأمون. الطبرى: جـ8 ص598.

(3) انظر نسخة هذا الأمان: الطبرى: جـ8 ص600.

(4) فكان دخوله إليها يوم الاثنين السابع من صفر فأنزله مدينة أبى جعفر ووكل به من يحفظه. الطبرى: جـ8 ص602، ابن الأثير: جـ5 ص207 – ص208.

عليه وقد جلس طاهر على لبد أبيض، حليق الرأس، وبين يديه مصحف منشور، وسيف مسلول؛ وأمر طاهر رسول المأمون بالانصراف إلى الخليفة على أن يبلغه بالحال التى رآه عليها. فلم يفهم أحد من الحاضرين وصف رسول المأمون؛ إلا أن المأمون أدرك ما يريده وقال للحاضرين: أما تقريعه رأسه (أى حلقها) وجلوسه على اللبد الأبيض فهو يخبرنا أنه عبد ذليل؛ وأما المصحف المنشور، فإنه يذكرنا بالعهود التى له علينا، وأما السيف المسلول فإنه يقول: إن نكثت تلك العهود فهذا يحكم بينى وبينك؛ أغلقوا عنا باب ذكره ولا تهيجوه فى شيء مما هو فيه، فلم يتعرض له المأمون حتى مات طاهر بن الحسين، وقام بعده ابنه عبد الله بن طاهر، فكان أخف الناس على المأمون(1).

عبد الله بن طاهر فى مصر:

لما فرغ عبد الله بن طاهر من نصر بن شبث العقيلى ووجهه إلى المأمون كتب المأمون يأمره بالمسير إلى مصر، وكان بها يومئذ ابن السرى، فلما قرب عبد الله من مصر قدم قائدًا من قواده ليرتاد لمعسكره موضعًا يعسكر فيه، وقد خندق ابن السرى عليها خندقًا، فاتصل الخبر بابن السرى عن مسير القائد إلى ما قرب منها، فالتقى جيش ابن السرى وقائد عبد الله بن طاهر وأصحابه وهم فى قلة، فجال القائد وأصحابه جولة وأرسل إلى عبد الله يخبره الأمر فأسرع إليه وحملوا على ابن السرى وأصحابه وتساقط أصحاب ابن السرى فى الخندق، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض فى الخندق كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف وانهزم ابن السرى فدخل الفسطاط وأغلق على نفسه وأصحابه ومن فيها الباب، وحاصره عبد الله ابن طاهر، فلم يعاوده ابن السرى بالحرب بعد ذلك حتى خرج إليه فى الأمان(2).

على أنه مما يذكر أن عبد الله بن طاهر بعد وصوله إلى مصر تمكن من تخليصها من جماعة

---

(1) العقد الفريد: جـ2 ص204 –205.

(2) الطبرى: جـ4 ص610 حوادث سنة 210هـ. ويذكر عن ابن ذى القلمين أن ابن السرى بعث إلى عبد الله بن طاهر لما ورد مصر ومانعه من دخولها بألف وصيف ووصيفة، ومع كل وصيف ألف دينار فى كيس حرير وبعث بهم ليلاً فرد ذلك عليه عبد الله وكتب إليه: لو قبلت هديتك نهارًا لقبلتها ليلاً. وذكر قوله تعالى: [بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون]. فحينئذ طلب الأمان منه وخرج إليه.

الأندلسين الذين قدموا إليها مستغلين فتنة الجورى وابن السرى، فلما تخلص عبد الله بن طاهر من ثورة ابن السرى وإعطائه الأمان، توجه إلى جماعة الأندلسيين ينذرهم بالحرب إن هم لم يجلوا عن البلاد فأجابوه[1].

عبد الله بن طاهر فى خراسان:

وفى سنة 213هـ توفى طلحة بن طاهر بخراسان، فخرج عبد الله بن طاهر إلى الدينور سنة 214هـ فبعث المأمون إليه إسحاق بن إبراهيم ويحيى ابن أكتم يخيرانه بين خراسان والجبال وأرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك، فاختار خراسان وذهب إليها[2]، واستمر بها بعد وفاة المأمون سنة 318هـ حيث أوصى المأمون أخاه أبا إسحاق المعتصم بأن يقر عبد لله بن طاهر[3].

عبد الله بن طاهر والمازيار بن قارن:

وفى سنة 224هـ أظهر مازيار بن قارن بن وندا هرمز بطبرستان الخلاف على المعتصم ومحاربته أهل السفح والأمصار منها؛ وكان سبب ذلك أن مازيار بن قارن كل منافرًا لآل طاهر، لا يحمل إليهم الخراج؛ وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبد الله بن طاهر، فيقول: لا أحمله إليه؛ ولكنى أحمله إلى أمير المؤمنين؛ فكان المعتصم إذا حمل المازيار إليه الخراج، يأمر: إذا بلغ المال همذان رجلاً من قبله أن يستوفيه ويسلمه إلى صاحب عبد الله طاهر ليرده إلى خراسان: فكانت هذه إحالة فى السنين كلها ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم[4].

وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحيانًا كلامًا يدل على أنه يريد عزل آل طاهر عن خراسان: فلما ظفر الأفشين ببابك، ونزل من المعتصم المنزلة التى لم يتقدمه فيها أحد طمع فى ولاية خراسان، وبلغته منافرة مازيار لآل طاهر، فرجا أن يكون ذلك سببًا لعزل عبد الله بن طاهر، فدس الأفشين الكتب إلى المازيار يستميله، ويعلمه ما هو عليه من المودة له

---

(1) الطبرى: جـ8 ص613 حوادث سنة 210هـ، الأثير: جـ5 ص212.
(2) الطبرى: جـ8 ص620 ص622، ابن الأثير: جـ5 ص218.
(3) الطبرى: جـ8 ص649 حوادث سنة 218هـ.
(4) الطبرى: جـ9 ص80 بيروت.

وأنه قد وعد ولاية خراسان، فدعا ذلك المازيار إلى ترك حمل خراجه إلى عبد الله ابن طاهر، وأرسل عبد الله بن طاهر الكتب بشأنه إلى المعتصم، حتى أوحش المعتصم منه وأغضبه عليه، وحمل ذلك المازيار إلى أن أعلن العصيان، ومنع الخراج، وضبط جبال طبرستان وأطرافه.

وسر الأفشين بذلك وطمع فى الولاية؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازيار، وكتب الأفشين إلى المازيار يأمره بمحاربة عبد الله بن طاهر، ويعلمه أنه يقوم له عند المعتصم بما يحب، وكاتبه المازيار أيضًا؛ فلا يشك أن المازيار سيصمد فى وجه عبد الله بن طاهر ويقاومه، حتى يضطر المعتصم إلى أن يوجهه إليه.

على أن المازيار لما عزم على الخلاف، دعا الناس إلى مبايعته، فبايعوه كرهًا، وأخذ منهم الرهائن، فحبسهم فى برج، وأمر أكرة (أجراء) الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم، وكان المازيار يكاتب بابك، ويحرضه ويعرض عليه النصر، فلما فرغ المعتصم من أمر بابك، أشاع الناس أن أمير المؤمنين يريد المسير إلى قرمايسين، ويوجه الأفشين إلى الرى لمحاربة مازيار، فلما سمع المازيار بذلك أمر بمسح البلد[1] وأرسل كتابًا إلى عامله على الخراج شاذان بن الفضل يأمره بجمع الخراج[2].

فلما وصل كتاب المازيار إلى شاذان بن الفضل أخذ الناس بالخراج، فجبى جميع الخراج فى شهرين، وكان يجبى فى اثنى عشر شهرًا فى كل أربعة أشهر الثلث[3].

لما تمكن المازيار وقوى أمره جمع أصحابه وأمر تخريب سور مدينة آمل ومدينة سارية، ثم وجه أخاه قوهيار إلى مدينة طميس[4] فخرب سورها ومدينتها وأباح أهلها، ثم لحق بأخيه المازيار، فأقام سرخاستان[5] سورًا من طميس إلى البحر[6]، وجعل حولها خندقًا ذا

---

(1) الطبرى: جـ9 ص80 –81.
(2) انظر هذا الكتاب عند الطبرى: جـ9 ص81 –82.
(3) الطبرى: جـ9 ص83.
(4) وهى على حدود جرجان من جهة طبستان، الطبرى: جـ9 ص84.
(5) أبو صالح سرخاستان (شرحاسيان) وكان خليفة المازيار على مدينة سارية الطبرى: جـ9 ص83.
(6) ومده فى البحر ثلاثة أميال، وكانت الأكاسرة بنته ليحميها من إغارات كفار الترك على طبرستان الكبرى: جـ9 ص85.

أبراج للحراسة وجعل له بابًا واحدًا؛ ففزع أهل جرجان وخافوا على أموالهم ومدينتهم فهرب بعضهم إلى نيسابور، وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر والى المعتصم فوجه إليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم إليه جيشًا كثيفًا لحفظ جرجان، وأمره أن يعسكر على الخندق[1].

كذلك وجه عبد الله بن طاهر حيان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر[2] فى أربعة آلاف إلى قومس معسكرًا على حد جبال شروين، ووجه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب فى جمع كثيف وضم إليه الحسن بن قارن الطبرى ومن كان ببابه من الطبرية، ووجه منصور بن الحسن هار صاحب دنباوند إلى مدينة الرى ليدخل طبرستان من ناحية الرى، ووجه أبا الساج إلى اللارز ودنباوند؛ فلما أحدقت الخيل بالمازيار من كل جانب أرسل إلى محتسبيه يطلب منهم جمع خراج سنتين، فلم يتمكن من جمع شيء مما أراد[3].

لم يلبث أصحاب الحسن بن الحسين بن مصعب أن تمكنوا من الدخول إلى عسكر سرخاستان؛ وهرب سرخاستان، واستولى أصحاب الحسن على جميع ما فى العسكر؛ وقبضوا على أخى سرخاستان وهو شهريار وساروا به إلى الحسن بن الحسين حيث ضرب عنقه، ولم يلبث أن قبض على أبى صالح سرخاستان وسيق إلى الحسن بن الحسين حيث أمر بضرب عنقه[4].

لما قوى أمر المازيار بن قارن[5]، بعث إلى أخيه القوهيار، فألزمه بابه وولى الجبل واليًا من قبله يقال له درى، فلما احتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبد الله بن طاهر دعا أخيه القوهيار وقال له: أنت أعرف بجبلك من غيرك، وأظهره على أمر الأفشين ومكاتباته له وقال له: صر فى ناحية الجبل، واحفظه على[6].

---

(1) نزل الحسن بن الحسين معسكرًا على الخندق الذى عمله سرخاستان وصار بين العسكرين عرض الخندق. الطبرى: جـ9 ص85.
(2) الطبرى: جـ9 ص98.
(3) الطبرى: جـ9 ص85 –87.
(4) الطبرى: جـ9 ص88 –89.
(5) يذكر الطبرى هذه الرواية فى بيان فساد أمر المازيار وهلاكه. جـ9 ص97 –100.
(6) الطبرى: جـ9 ص97 - 98.

وكتب المازيار إلى الدرى يأمره بالقدوم، فقدم عليه، فضم إليه العساكر، ووجهه إلى عبد الله بن طاهر، وظن أنه قد توثق من الجبل بأخيه القوهيار، فضلاً عن مناعته، وتوثق من المواضع التى يتخوف منها بالدرى وأصحابه، وضم إليه المقاتل وأهل عسكره. فوجه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف من خراسان إلى المازيار، ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب، ووجه معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجى مولى الهادى ويعرف بقوصرة، فتقابل الجيشان وزحفوا نحو المازيار وهو آمن[1]، فى قلة من أصحابه.

كان من أثر حقد ابن عم المازيار[2] على المازيار[3]، أن كاتب الحسن بن الحسين، وأعلمه جميع ما فى عساكره، وأن الأفشين كاتب المازيار، فأنفد الحسن كتاب ابن عم المازيار إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله برجل إلى المعتصم، وكاتب عبد الله والحسن بن الحسين ابن عم المازيار – وقيل القوهيار – وضمنا له جميع ما يريد، وكان ابن عم المازيار أخبر عبد الله بن طاهر أن الجبل الذى هو عليه كان له ولأبيه ولآبائه من قبل المازيار. وأن المازيار عند تولية الفضل بن سهل إياه طبرستان انتزع الجبل من يديه وألزمه بابه واستخف به، فشرط له عبد الله بن طاهر إن هو وثب بالمازيار وتمكن من أن يعيد إليه الجبل ولا ينازعه فيه، فرضى بذلك ابن عم المازيار، فكتب له عبد الله بن طاهر بذلك كتابًا؛ فوعد ابن عم المازيار الحسن بن الحسين ورجالهم أن يدخلهم الجبل، وأمر عبد الله بن طاهر الحسن بن الحسين أن يزحف للقاء الدرى، ووجه عسكرًا ضخمًا عليه قائد من قواده، فوافوا ابن عم المازيار فى الجبل وسلمه إليهم، وحاربوا الدرى، ولم يشعر المازيار وهو فى قصره إلا بالرجال والخيل على بابه؛ فحصروا المازيار، وأنزلوه على حكم أمير المؤمنين المعتصم[4].

توجه الحسن بن الحسين بالمازيار[5]، والدرى يقاتل العسكر بإزائه، ولم يعلم بأسر

---

(1) الطبرى: جـ9 ص98.

(2) يذكره الطبرى ابن عمه أو أخيه القوهيار.

(3) ذكر الطبرى جـ9 ص97 – 98 أن جبال طبرستان كلها كانت فى يد ابن عمه وكان فى يد المازيار السهل، فلما قوى أمر المازيار بعث إلى ابن عمه (وقيل أخوه) فألزمه بابه وولى الجبل واليًا من قبله.

(4) الطبرى: جـ9 ص98 – ص99.

(5) يذكر الطبرى عن عمرو بن سعيد الطبرى: أن المازيار كان يتصيد ففاجأته الخيل فى الصيد فأخذ أسيرًا بعد أن نهب قصره: جـ9 ص99.

المازيـار، فلـم يشعـر إلا وعسكـر عبـد الله بـن طاهـر محدقـة بـه فأسـقط فى أيديهـم وهزمـوا[1].

ومضى الدرى منهزمًا إلى بلاد الديلم، فقتل أصحابه، وكر عليه جند عبد الله بن طاهر فتصدى لهم يحاربهم حتى قتل وأخذ رأسه، فبعثوا به إلى عبد الله بن طاهر. والمازيار بين يديه، فوعده عبد الله بن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه، وأعلمه عبد الله أنه قد علم أن الكتب عنده، فأمر المازيار بذلك وأعطاها لعبد الله بن طاهر فوجه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم، وأمره ألا يخرج الكتب من يده ولا المازيار إلا فى يد أمير المؤمنين، فأوصلها إلى المعتصم فسأل المعتصم المازيار عن الكتب، فلم يقر بها؛ فأمر بضرب المازيار حتى مات[2].

على أن أسباب الوحشة بين عبد الله بن طاهر والأفشين لم تكن رغبة الأفشين فى الاستيلاء على خراسان، بل لأن عبد الله بن طاهر أطلع على بعض أسرار الأفشين المالية[3]. ذلك أن الأفشين كان أيام حربه لبابك ومقامه بأرض الخرمية لا يأتيه هدية من أهل أرمينية إلا وجه بها إلى أشروسنه (من بلاد ما وراء النهر) فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر فيكتب إلى المعتصم يطلب إخباره بجميع ما وجه به الأفشين من الهدايا إلى أشروسنة؛ وكان الأفشين كلما تهيأ عنده مال حمله أوساط أصحابه من الدنانير، فكان الرجل يحمل فوق الألف دينار فى وسطه، وفى يوم نزل جماعة من هؤلاء الرجال نيسابور، فأمر عبد الله بن طاهر بتفتيشهم فأخبروه بأن هذه أموال الأفشين وهداياه فكذبهم وقال لهم: لو أراد أخى الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إلى يعلمنى ذلك لآمر بحراسته وبذرقته[4]؛ لأن هذا مال عظيم وأنتم لصوص. فأخذ عبد الله المال وأعطاه لجنده، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم وأنكر عليه أن يكون قد وجه مثل هذا المال إلى أشروسنه. دون أن يرسل إليه ليقوم بحراسته وخفارته وقال له: فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذى يوجهه إلى أمير المؤمنين فى كل سنة، وإن

(1) الطبرى: جـ9 ص99 ص100.
(2) الطبرى: جـ9 ص99 – ص100.
(3) الطبرى: جـ9 ص105.
(4) البذرقة: الخفارة.

كان المال لك – كما زعم القوم – فإذا جاء المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك؛ وإن يكن غير ذلك فأمير المؤمنين أحق بهذا المال؛ وإنما دفعته إلى الجند لأنى أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك، فكتب إليه الأفشين يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد ويسأله إطلاق القوم[1].

لما تحقق المعتصم من كتب الأفشين إلى المازيار تغير عليه، وأحس الأفشين بذلك، ولم يدر ماذا يصنع وقد أعد خطتين إحداهما لسم الخليفة وقواده والأخرى للهرب إلى أشروسنه، فبلغت هذه المؤامرة المعتصم فأمر بالقبض على الأفشين وكتب إلى عبد الله بن طاهر بالقبض على الحسن بن الأفشين؛ وكان الحسن بن الأفشين قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر فى نوح بن أسد (السامانى) يعلمه تحامله على ضياعه وناحيته، فكتب عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد يعلمه ما كتب أمير المؤمنين فى أمر الحسن بن الأفشين، ويأمره بجمع أصحابه والتأهب له؛ فإذا قدم عليه الحسن بن الأفشين بكتاب ولايته استوثق منه وحمله إليه؛ فكتب عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن الأفشين يعلمه أنه عزل نوح بن أسد، وأنه قد ولاه الناحية ووجه إليه بكتاب عزل نوح بن أسد[2].

خرج الحسن بن الأفشين فى قلة من أصحابه وسلاحه، فقبض عليه نوح بن أسد وأرسله إلى عبد الله بن طاهر الذى وجه به إلى المعتصم[3].

وتمكن عبد الله بن طاهر من ضبط خراسان، ودانت له البلاد جميعًا بالطاعة واستقامت له الأمور، وبقى على أعمال المشرق طوال عهد المأمون والمعتصم[4]،

---

(1) الطبرى: جـ9 ص104 – ص105.
(2) الطبرى: جـ9 ص105.
(3) يذكر الطبرى جـ9 ص107 – ص114 محاكمة الأفشين وحبسه حتى مات سنة 226هـ.
(4) كانت العلاقة بين عبد الله بن طاهر والمعتصم وطيدة حتى إنه لما مرض عبد الله بن طاهر أرسل إليه المعتصم يقول:

أعزز على بأن أراك عليلاً	أو أن يكون بك السقام نزيلاً
فوددت أنى مالك لسلامتي	فأعيرها لك بكرة وأصيلاً
فتكون تبقى سالمًا بسلامتي	وأكون مما قد عراك بديلاً
هذا أخ لك يشتكى ما تشتكي	وكذا الخليل إذا أحب خليلاً

ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ2 ص449.

وصدر أيام الواثق إلى أن مات بنيسابور يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة 230هـ[1].

ومما يذكر لعبد الله بن طاهر أنه كان مهتمًّا بأحوال رعاياه فى خراسان، وقضاء حوائجهم[2] ودخل عليه يومًا سوار القاضى فقال: أصلح الله الأمير:

لنا حاجة والعذر فيها مقدم — خفيف معناها مضاعفة الأجر

فإن تقضها فالحمد لله وحده — وإن عاق مقدور ففى أوسع العذر

فسأله عبد الله بن طاهر عن حاجته قال: كتاب لى أن رأى الأمير ـ أكرمه الله ـ أن ينفذه فى خاصته، كتبه إلى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقى، قال: أو غير ذلك أبا عبد الله نعجلها لك من مالنا. وإذا وددت (كنت) مخيرًا بين أن تأخذ أو ترد، فأنشد سوار يقول:

فبابك أيمن أبوابهم — ودارك مأهولة عامرة

وكفك حين ترى المجتديـ — ـن أندى من الليلة الماطرة

وكلبك آنس بالمعتفين — من الأم بابنتها الزائرة[3]

طاهر بن عبد الله:

مات عبد الله بن طاهر وإليه الحرب والشرطة والسواد وخراسان وأعماله والرى وطبرستان، وما يتصل بها وكرمان، فولى الواثق أعمال عبد الله بن طاهر كلها إلى ابنه طاهر[4]، وقد استقامت له الأمور فيها ثمان عشرة سنة[5]. إلى أن مات فى خلافة المنتصر فى رجب سنة 248هـ فولى المستعين ابنه محمد على خراسان وولى محمد بن عبد الله بن طاهر على العراق وجعل إليه الحرمين. والشرطة ومعاون السواد[6].

---

(1) الطبرى: جـ9 ص131، حمزة الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض ص146، محمد على حيدر الدويلات الإسلامية فى المشرق ص47.

(2) ابن الأثير: جـ5 ص271.

(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ1 ص243.

(4) الطبرى: الطبرى جـ9 ص131.

(5) اليعقوبى: البلدان ص308 ويذكر أن الواثق أراد أن يعين إسحق بن إبراهيم المصعبى خلفًا لعبد الله بن طاهر، إلا أن عبد الله بن طاهر كان قد سبقه إلى نيسابور. محمد على حيدر: الدويلات الإسلامية فى المشرق ص47.

(6) ابن الأثير جـ5 ص311 – ص312.

أفول نجم الطاهريين:

كان محمد بن طاهر (248 – 259هـ) آخر حكام الطاهريين حيث قدر لهذه الأسرة أن تزول على أيدى الصفاريين ففى سنة 257هـ تقدم يعقوب بن الليث الصفار إلى بوشنج، واستولى عليها، وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين عامل محمد بن طاهر عليها، فأرسل إليه محمد بن طاهر يسأله إطلاق سراحه فلم يجبه، وأبقاه فى الأسر[1].

لما تحقق يعقوب بن الليث من ضعف محمد بن طاهر أمير خراسان سار إلى نيسابور (حاضرة الطاهريين) وكتب إلى محمد بن طاهر يعلمه أنه قد عزم على قصد طبرستان ليمضى ما أمره الخليفة فى الحسن بن زيد المتغلب عليها، وأنه لن يعرض لشيء من عمله، وكان بعض خاصة محمد بن طاهر وبعض أهله لما رأوا إدبار أمره، مالوا إلى يعقوب بن الليث فكاتبوه واستدعوه، وهونوا على محمد أمر يعقوب، وأعلموه أنه لا خوف عليه منه، وثبطوه عن التحرز منه، فركن محمد إلى قولهم حتى قرب يعقوب من نيسابور فوجه إليه قائدًا من قواده يهدئ من روعه ويطلب منه عدم مغادرة نيسابور، ثم وصل يعقوب إلى نيسابور رابع شوال سنة 259هـ وأرسل أخاه عمرو بن الليث إلى محمد بن طاهر فقبض عليه وقيده، وعنفه على إهماله وعجزه، ثم قبض على جميع أهل بيته[2] وحملهم إلى سجستان واستولى على خراسان ورتب فى الأعمال نوابه. وبذلك زالت الدولة الطاهرية.

ظل الطاهريون بصفة عامة أوفياء للخلافة العباسية، إذا كانوا يعتبرون أنفسهم بمثابة شركاء فى توجيه سياسة الدولة العباسية وإدارة شئونها إذ كانت أهم المناطق فى المشرق تحت نفوذهم، وتمتعوا بنفوذ داخلى كبير فيما يتعلق بشئون الإدارة المحلية.

ومع أن الطاهريين تمتعوا بما يشبه الاستقلال التام فى إدارة شئون دولتهم إلا أنهم حرصوا على وجود علاقات وطيدة بالخلافة العباسية وبخاصة فى عهد عبد الله بن طاهر[3] الذى كان حكيمًا باعتماده على الخلافة العباسية حتى يجنى أطيب الثمرات فى ظل

---

(1) ابن الأثير: جـ5 ص363.

(2) وكانوا نحوًا من مائة وستين رجلاً، ابن الأثير: جـ5 ص369.

(3) انظر ما أرسله المعتصم من شعر يتمنى فيه لعبد الله بن طاهر البرء من مرضه. ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ2 ص449.

العلاقات الطيبة معها، وفى حدود ما تخوله له سلطته ولهذا لم يفكر عبد الله فى الانشقاق على الخلافة أمام جمهور المسلمين ولم يفكر فى الانفصال نهائيًّا عن بغداد[1].

وأدت ثقة الخلفاء بالطاهريين أن صارت الإمارة وراثية فى أسرتهم وتمتعوا بحكم خراسان، وعملوا على نشر الأمن، ويسروا سبل الحج، وحكموا بالعدل وأشاد الناس بذكرهم[2].

وكان الطاهريون يدفعون جزية سنوية لدار الخلافة، وظلوا أنصارًا مخلصين للعباسيين، فأبقوا شرطة بغداد فى أيديهم حتى سنة 301هـ[3].

---

(1) محمد على حيدر: الدويلات الإسلامية فى المشرق ص50.

(2) انظر ما ذكره ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ1 ص243.

(3) عبد العزيز الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص110 –111، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص79.

الدولة الصفارية

(254 — 290هـ / 867 - 903م)

يعقوب بن الليث الصفار:

يرجع ظهور يعقوب بن الليث على مسرح السياسة إلى خلافة المتوكل سنة 237هـ حينما كان يلى خراسان طاهر بن عبد الله، وسجستان كملحقات لها، ولما تولى خراسان محمد بن طاهر[1] لم يعبأ بشئون دولته، فى الوقت الذى وقعت فيه السلطة المركزية ببغداد تحت نفوذ الأتراك، واختلافهم مما أضر بمركز الخلافة فى الأطراف الشرقية بخراسان، ومهد الطريق أمام يعقوب بن الليث.

وكان يعقوب فى أول أمره أحد قادة صالح بن النضر الكنانى؛ الذى اشتهر بالتطوع فى قتال الخوارج، وقد تغلب على سجستان سنة 237هـ وكان يعقوب من المخلصين فى خدمته، حتى جعله صالح فى مقام النائب عنه، وقد استعاد طاهر بن عبد الله أمير خراسان سجستان من صالح بن النضر، وأعادها إلى طاعته[2].

وسرعان ما تغلب على هذه المدينة درهم بن الحسين زعيم المطوعة الذى ظهر عجزه، فولى جنده قائده يعقوب بن الليث، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على

---

(1) ابن الأثير: جـ5 ص291.

(2) ابن الأثير: جـ5 ص291، ص237، ص238 النويرى: نهاية الأرب جـ23 ورقة 193 مخطوط بدار الكتب رقم 699.

يعقوب بن الليث، وملكوه أمرهم لما رأوا فيه من السياسة وحسن التدبير فتولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج والشراة وهزمهم هزيمة منكرة، ولم يلبث أن اشتدت شوكته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها[1].

لم تقف أطماع يعقوب عند حد الاستيلاء على هراة وبوشنج، بل تطلع إلى كرمان وفارس من قبل الخليفة العباسى، وطلب منه أن يوليه كرمان، وكان على بن الحسين قد تباطأ بحمل خراج فارس، فكتب إليه الخليفة المعتز بولاية كرمان وكتب إلى يعقوب بن الليث بولايتها، وكان هدف المعتز من ذلك إغراء كل واحد منهما بصاحبه حتى إذا هزم أحدهما الآخر سقطت مؤنة الهالك منهما، وانفرد بالآخر[2].

وزحف يعقوب بن الليث بجيشه نحو كرمان، ولكن على بن الحسين كان قد وجه أحد قواده، وهو "طوق بن المغلس" فسبقه إلى كرمان، فلجأ يعقوب إلى خداع طوق بأن موة عليه، فانصرف عنه مرحلتين، فوضع طوق آلة الحرب وأقبل على الشرب والملاهى فباغته يعقوب وأحاط به وبأصحابه وتمكن من أسره، ودخل كرمان وملكها[3]. ثم سار بعد ذلك إلى شيراز عاصمة فارس واستولى عليها بعد أن هزم على بن الحسين، وأخذ ما فى بيوت الأموال وجبى الخراج ورجع إلى سجستان، ولما فارق يعقوب بلاد فارس أرسل الخليفة عماله إليها[4].

وفى سنة 257هـ / 870 – 871م سار يعقوب بن الليث إلى فارس، فأرسل إليه المعتمد ينكر ذلك عليه، فكتب إليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان والسند، فقبل يعقوب ذلك وعاد إلى بلخ، ثم سار من بلخ إلى كابل واستولى عليها وأرسل رسولاً إلى الخليفة ومعه هدايا من كابل، ثم سار إلى بست فأقام بها سنة ثم رجع إلى هراة، وحاصر مدينة كروخ،

---

(1) ابن الأثير: الكامل جـ5 ص291، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2 ص312، النويرى: نهاية الأرب (مخطوط) جـ23 ورقة 193.

(2) ابن الأثير: جـ5 ص430، النويرى: نهاية الأرب جـ23 ورقة 193 ويذكر ابن الأثير أن كلًا من يعقوب بن الليث وعلى بن الحسين يظهران طاعة غير حقيقية وكان المعتز يعلم ذلك عنهما.

(3) ابن الأثير: جـ5 ص340 حوادث سنة 255هـ.

(4) ابن الأثير: جـ5 ص340 –ص341 ويذكر أن يعقوب بعد انتصاره كتب إلى الخليفة بطاعته وأرسل إليه الهدايا والطرف.

واستولى عليها، ثم سار إلى بوشنج وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين، وأرسل محمد بن طاهر بن عبد الله يسأله إطلاق عم أبيه الحسين بن طاهر فلم يفعل[1].

بلغ من ضعف الطاهريين بخراسان أن رأى يعقوب بن الليث أن يسقط دولتهم. ويستبدل بهم دولة قوية تستند إلى قوة الجيش الذى يرأسه، وخاصة عندما تمكن من هزيمة الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان، الذى كان قد قصد جرجان، واستولى عليها من محمد بن طاهر سنة 257هـ، فتوطدت بذلك أقدام يعقوب بن الليث فى سجستان وهراة وما حولها[2].

لم يبقَ للطاهريين فى خراسان سوى نيسابور التى تحصنوا بها بعد أن انفصلت عنهم معظم الولايات الشرقية التى غلب عليها يعقوب بن الليث والحسن بن زيد العلوى، فضلاً عن عبث الخوارج والشراة[3]. فرغب يعقوب أن يقتحم آخر معاقلهم فتوجه بجنده صوب نيسابور سنة 259هـ / 872م، واستولى عليها فى عهد الخليفة المعتمد، وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته، وبذلك سقطت دولتهم[4].

وبعد انتصار يعقوب بن الليث الذى رأى أنه القوة الوحيدة المسيطرة على تلك النواحى من المشرق الإسلامى، رغب فى أن يوليه الخليفة العباسى أمر المشرق حتى يستمد من تلك التولية نفوذًا روحيًّا يضمه إلى ما حصل عليه من نفوذ مادى وعسكرى، فبعث إلى الخليفة يصف إليه الحال فى خراسان، وكيف تمكن من القبض على محمد بن

---

(1) ابن الأثير: جـ5 ص363، النويرى: نهايةالأرب (مخطوط) جـ23 ورقة 196.

(2) ابن الأثير: جـ5 ص363.

يذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن جـ3 ص65 – ص66 أن يعقوب بن الليث لم يكن يرمى إلى القضاء على الدولة الطاهرية بل عمل على أن يمد نفوذه على بلاد فارس وخراسان. لذلك نراه يحارب الترك على تخوم سجستان فرهبته الملوك وأذعن له ملك المولتان وملك الرخج وملك الطبسين، وملك زابلستان وملك السند ومكران وغيرها. الطبرى: جـ11 ص233 – ص243

(3) ابن الأثير: جـ5 ص363.

(4) ابن الأثير: جـ5 ص368 – 369 ويذكر ابن الأثير أن يعقوب لما قبض على محمد بن طاهر وبخه على تفريطه. وأرسل إلى الخليفة يذكر تفريط محمد بن طاهر فى عمله وأن أهل خراسان سألوه المسير إليهم.

طاهر لعجزه وضعفه، وأن أهل خراسان سألوه المسير إليهم، ويذكر غلبة العلويين على طبرستان[1].

على أن هذا الموقف الذى اتخذه يعقوب بن الليث من الطاهريين، يعتبر تحديًا سافرًا لسلطان الخلافة وحرمانها من نصير موال – رغم ما وصلت إليه دولة الطاهريين من ضعف – اعتمدت عليه الخلافة العباسية، وإن كان يعقوب نفسه قد وعد الخلافة بالتأييد والطاعة، كما تعهد بأن يقدم إلى بيت المال ما يحتاجه، وضمن خراج الأقاليم التى تخضع له[2].

على أن الخلافة العباسية التى كانت تحرص على سيادتها فى المقام الأول لم ترض عن هذه الثورات، وقد أصرت الخلافة فى عهد المعتمد وجهود الموفق على أن تشعر ولاة الأقاليم بأنهم يخضعون لها خضوعًا مباشرًا فى كل تصرفاتهم، ولذا فلم تلقَ مطالب يعقوب بن الليث بشأن خراسان قبولاً حسنًا[3]، ووردت رسل يعقوب ومعها خطاب جاء فيه: "أن أمير المؤمنين لا يقر يعقوب على ما فعل وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذى ولاه إياه، وأنه لم يكن ليعقوب أن يفعل ما فعل بغير أمره، فليرجع فإنه إن فعل كان من الأولياء وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين"[4].

وفى سنة 261هـ / 874 – 875م بدأت أطماع يعقوب ابن الليث الواسعة تظهر ظهورًا بينًا،وأدرك الخليفة العباسى المعتمد مدى الخطورة التى تستهدف له دولته من جراء ازدياد نفوذه، فأضمر له العداء، وجمع ببغداد حجاج خراسان والرى وطبرستان وجرجان، وقرئ عليهم كتاب الخليفة بلعن يعقوب، وأرسلت عشرات النسخ من هذا الكتاب إلى الأمصار لتذاع بين الناس[5].

أثار الخليفة العباسى بعمله هذا حنق يعقوب بن الليث، فأعد عدته لقصد العراق، ثم

---

(1) ابن الأثير: جـ5 ص368 - 369.

(2) محمد على حيدر: الدويلات الإسلامية فى المشرق ص61.

(3) ابن الأثير: جـ5 ص368 – 369 الذى يذكر أن الخليفة العباسى أنكر عليه ما فعله، وأمره بالاقتصار على ما أسند إليه، وأن لا يسلك مسلك المخالفين.

(4) النويرى: نهاية الأرب (مخطوط) جـ23 ورق 196.

(5) الطبرى: جـ9 ص512، ابن الأثير: جـ6 ص7.

سار إلى الأهواز: "وكاتب الخليفة وسأله ولاية خراسان وبلاد فارس، وما كان مضمومًا إلى طاهر بن الحسين من الكور، وشرطتى بغداد وسرمن رأى، وأن يعقد له على كرمان وسجستان والسند، وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التى نسخت فى دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ عليهم أولاً ... ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب. ففعل ذلك الموفق أخو الخليفة المعتمد على الله، وأجابه إلى ما طلب وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه الصفار، وأجيب إلى الولاية التى طلبها"[1].

وكانت الحكمة السياسية هى التى دفعت الموفق مدير أمر المعتمد إلى اتخاذ مثل هذه الخطوة، ذلك أن الظروف التى كانت تمر بها الخلافة لا تسمح بالحرب فى جبهتين فى وقت واحد، جبهة الزنج الذين ثاروا منذ سنة 255هـ وثورة يعقوب بن الليث ومع ذلك فإن أطماع يعقوب بن الليث لم تقف عند حد، ولم يقنع بما وصل إليه، بل عمل على قصد بغداد نفسها وحمل الخليفة على الإذعان لمطالبه، وربما كان ذلك لاعتماده على جيش قوى، فقد ذكر ابن خلكان[2]، أن مساحة عسكره كانت ميلاً فى ميل، وأن دوابه فى غاية الرفاهية.

وفى سنة 262هـ أعاد يعقوب الرسل إلى الخليفة بكتاب ذكر فيه أنه لا يرضيه ذلك، دون أن يصير إلى باب السلطان وارتحل يعقوب من عسكر مكرم بعد أن سار إليه أبو الساج، فلما علم المعتمد بذلك رأى أنه لا بد من الحرب فخرج من سارما أوائل جمادى الآخرة سنة 262هـ وسار إلى بغداد ثم إلى الزعفرانية، فأقام بها وأحضر الموفق لمحاربة يعقوب[3].

وسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرم إلى واسط، إلى دير العاقول لمحاربة الموفق[4]، فجعل الموفق على يمين الجيش موسى بن بغا، وعلى يساره مسرور البلخى وتولى هو قيادة القلب. وقد أحرز يعقوب نصرًا مبدئيًّا فى المعركة التى دارت رحاها إذ حملت ميسرة يعقوب على ميمنة الموفق، فألحقت بها الهزيمة، وقتل كثير من قواد جيش الخلافة، ولكن لم يلبث أن تحول هذا النصر إلى هزيمة ساحقة عندما حمل الموفق ومعه سائر جيشه حملة

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ص316.
(2) وفيات الأعيان جـ2 ص317.
(3) الطبرى: جـ9 ص516 – 517، ابن الأثير: جـ6 ص7 – ص8.
(4) الطبرى: جـ9 ص517 وذكر أن المعتمد سار من الزعفرانية إلى سيب بن كوما.

موفقة على جيش يعقوب، الذى ثبت فى أول الأمر، ولم تزل الحرب قائمة إلى أن انهزم جيش يعقوب[1]، وثبت هو فى خاصة أصحابه إلى أن فارقوا مكان المعركة، وتبعهم أصحاب الموفق، وغنموا ما فى معسكره، وخلصوا محمد بن طاهر من الأسر[2]، فخلع عليه الموفق وولاه الشرطة فى بغداد[3].

عاد يعقوب منهزمًا إلى خوزستان ونزل جنديسابور، وأراد صاحب الزنج أن ينتهز ذلك الموقف ويعقد محالفة مع يعقوب ضد الخلافة، وراسله لكى يحثه على الرجوع إلى بغداد ويعده بالمساعدة، غير أن يعقوب رفض ذلك العرض وقال لكاتبه إليه: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) وبعث بالكتاب إليه[4].

ويتبين لنا إسلام يعقوب بن الليث على المذهب السنى (مذهب الخلافة)؛ حينما رفض التحالف مع العلوى صاحب الزنج.

وأراد المعتمد أن يكيد ليعقوب بن الليث، فكتب إلى ابن واصل بتولية فارس وكان قد سار إليها وجمع جماعة فغلب عليها فسير يعقوب إليه جيشًا يقوده ابن عزيز السرى، فاستولى على فارس، ورجع المعتمد إلى سامراءء وأما أبو أحمد الموفق فإنه سار إلى واسط ليتبع الصفار، وأمر أصحابه بالتجهز لذلك، غير أنه اضطر للعودة إلى بغداد بسبب مرضه[5].

على الرغم من الهزيمة التى منى بها يعقوب بن الليث على يد الموفق وجيشه، إلا أن الخلافة أدركت قوته، فبعثت إليه تستميله وتجدد ولايته على فارس، ولكنه لم يقنع بذلك فنزل جنديسابور سنة 363هـ / 876 – 877م بعد أن أجلى من كان بها من جند الخليفة ووجه يعقوب إلى الأهواز جيشًا يقود الخضر بن العنبر، فلما قاربها خرج منها على بن أبان ومن معه ودخل الخضر الأهواز، وقامت اعتداءات متكررة بين جيش الصفار وصاحب

---

(1) يذكر الطبرى جـ9 ص518 أن كثيرًا ممن كان مع يعقوب أظهر كراهيته للحرب معه إذ رأوا السلطان (الموفق) قد حضر قتاله.

(2) الطبرى: جـ9 ص518، ابن الأثير: جـ6 ص7 –8.

(3) الطبرى: جـ9 ص518 –519، النويرى: نهاية الأرب (مخطوط) جـ23 ص199.

(4) ابن الأثير: جـ6 ص8.

(5) ابن الأثير: جـ6 ص8.

الزنج؛ انتهت فى بادئ الأمر بأن أوقع الزنج بجيش الصفار، فأنفذ يعقوب المدد إلى قائده وأمر بالكف عن قتال الزنج والإقامة فى الأهواز، فكف بعضهم عن بعض[1].

أراد الخليفة المعتمد أن يستميل إليه يعقوب بن الليث؛ ليأمن جانبه فيقول ابن خلكان[2] إن الخليفة: أرسل إليه رسولاً يترضاه ويستميله ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول ويعقوب مريض، فجلس له، وجعل عنده سيفًا ورغيفًا ومعه بصل، فأحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له: "قل للخليفة إنى عليل فإن مت فقد استرحت منك واسترحت منى، وإن عوفيت فليس بينى وبينك إلا السيف هذا، حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى وتفقرنى فأعود إلى الخبز والبصل. وعاد الرسول فلم يلبث يعقوب أن مات (فى جنديسابور) فى شوال سنة 265 هـ / يونية 879م[3].

اشتهر يعقوب بن الليث باليقظة وحسن التدبير، فكان يحسن اختيار رجاله، كما يحسن تنظيم جيوشه وأعدادها بالعدة والسلاح وظل فى حياته الخاصة جنديًّا يرتدى الملابس القطنية، ولم يحاول تبرير أعماله بوسائل غير شرعية، ووجه كل اهتمامه إلى تكوين جيش مطيع له[4]، ويقول المسعودي[5]: "وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف، وحسن انقيادهم لأمره. واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من إحسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته.. وكان من سننه للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول من باب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم، فيمرون مع أطناب الشقاق إلى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو وضعها، لكنه يرى مداخلهم إليها ومخرجهم منها، فمن احتاج إليه منهم واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نهيه دعاه فأمره".

---

(1) الطبرى: جـ9 ص351 – ص432، ابن الأثير: جـ6 ص14، النويرى: نهاية الأرب جـ23 ص199 (مخطوط).

(2) وفيات الأعيان: جـ2 ص21.

(3) ابن الأثير: جـ6 ص21.

(4) الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص116.

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ4 ص141، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص80–81.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية حركة يعقوب بن الليث الصفار فلقد كان من حسن حظ الخلافة أن جاءت حركته فى فترة كانت فيها الخلافة فى عهد المعتمد وأخيه الموفق من القوة بحيث أمكنها جمح طمعه، ومع ذلك فقد ساهم يعقوب بن الليث فى تحقيق بعض أهداف الدولة العباسية، بعدائه للخوارج المنشقين على الدولة والعلويين.

كذلك لم تكن حركة الصفار ذات صبغة دينية أو سياسية تحتم على يعقوب وأخيه عمرو عدم القيام بعمل عسكرى ضد الخليفة، لأن طبيعتهم المتعطشة للحكم لم تجعلهم راضين بما كسبوا، ولكنهم بذلوا جهدهم للحصول على المزيد من الأراضى والمناطق، وساروا على إجبار الخلافة على الاعتراف بسياسة الأمر الواقع، وفى الوقت الذى كانت قوة الطاهريين فى أفول، ازدهرت قوة الصفاريين، بحيث لم تجد الخلافة، وقد أعيتها محاولات إثناءهم عن الاستيلاء على المزيد من المناطق، إلا أن تعترف بنفوذهم، ومن الجانب الآخر أراد الصفاريون إرضاء الخلافة بالإذعان والطاعة لها. فدعو للخليفة على المنابر، وصكوا العملة باسمه فى ولاياتهم[1].

ويقول براون[2] إن استقلال بلاد الفرس يمكن أن يقال إنه بُعِث عن طريق هذه الأعمال الباهرة التى قام بها يعقوب بن الليث الصفار فإنه على الرغم من أنه لم يكن من بيت عريق، نجح فى تأسيس دولة استطاعت مع قصر عهدها أن تنشر نفوذها، ليس فى سجستان وحدها، حيث قامت دولتها فى أول الأمر، بل فى معظم أرجاء فارس وإلى أسوار بغداد تقريبًا.

عمرو بن الليث الصفار (265 – 287هـ):

لما توفى يعقوب بن الليث سنة 265هـ بايع الجند أخاه عَمْرًا، وأقر أبو أحمد الموفق أخو الخليفة العباسى المعتمد تعيينه واليًا على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان، والشرطة ببغداد وسامراءء، وأرسل إليه الخلع[3].

---

(1) محمد على: الدويلات الإسلامية فى المشرق ص67.

(2) Lit, Hist. of Persia. Vol, l. pp. 346-7.

(3) الطبرى: جـ9 ص544 – ص545، ابن الأثير: جـ6 ص22.

تحسنت العلاقة بين عمرو بن الليث والخلافة، وأناب عمرو عنه عبيد الله بن عبد الله فى شرطة بغداد وسامراء، وبعث إلى الموفق بعمود من الذهب[1].

ويبدو طموح عمرو بن الليث فى محاولة الاستقلال بدولته عن الخلافة، وإذا كان يعقوب ذكر اسمه بجانب اسم الخليفة، فإن عمرو لم يلبث أن صك العملة الذهبية باسمه، كما أنه ليس هناك دليل على أن الصفاريين كانوا يدفعون خراجًا سنويًّا إلى دار الخلافة بالرغم من أن يعقوب كان قد وافق من حيث المبدأ على أن يدفع ثلثى الضرائب التى يجبيها حكام الولايات التى يحكمونها باسمهم[2].

لم تلبث العلاقات أن ساءت بين الدولة الصفارية والخلافة العباسية، فقد عزل الخليفة المعتمد عمرو بن الليث عن البلاد التى ولاه إياها، وأعلن هذا الخلع على ملأ من حجاج خراسان، ولعله بحضرتهم، وأخبرهم أنه قلد محمد بن طاهر وأمر بلعن عمرو على المنابر، بيد أن محمد بن طاهر آثر البقاء بحاضرة الخلافة وأناب رافع بن هرثمة فى إدارة ولاية خراسان[3].

وفى سنة 274هـ سار الموفق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار، فلما بلغ الخبر عمرو سير إليه العباس بن إسحق فى جمع كبير إلى سيراف. وأنفذ ابنه محمد بن عمرو إلى أرجان، وسير أبا طلحة شركب صاحب جيشه على مقدمته، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفق، غير أنه لم يلبث أن عزم على العودة إلى عمرو فقبض عليه الموفق، وسار يطلب عمرًا فعاد عمرو إلى كرمان ومنها إلى سجستان، ولم يقدر الموفق على أخذ كرمان، وسجستان وعاد أدراجه[4].

ولما ولى المعتضد الخلافة سنة 279هـ / 893م عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وسبب ذلك أن المعتضد كتب إلى رافع بتخلية قرى السلطان بالرى، فلما رفض رافع كتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الرى، وكتب إلى عمرو بن الليث بتولية خراسان، ثم إن أحمد بن عبد العزيز لقى رافعًا فقاتله

---

(1) الطبرى: جـ9 ص549 وذلك لكى يزيل أى أثر للشك من ناحيته تجاه الخلافة.

(2) Siddiqi: Caliphate and Kingship, p. 35.

(3) ابن الأثير: جـ6 ص58 حوادث سنة 271هـ.

(4) ابن الأثير: جـ6 ص62.

فانهزم رافع عن الرى وسار إلى جرجان غير أن أحمد ابن عبد العزيز لم يلبث أن توفى (280هـ) فعاد رافع إلى الرى فلاقاه عمرو وبكر ابنا عبد العزيز فانهزما إلى أصبهان، وأقام رافع بالرى باقى سنة 280هـ[1].

ولم يلبث عمرو بن الليث أن وافى نيسابور سنة 280هـ / 893 – 894م واستولى عليها وعلى خراسان فرأى رافع أن يصالح محمد بن زيد على أن يعيد إليه طبرستان[2] وكذلك ابن عبد العزيز، وبلغ خبر تلك المصالحة عمرو بن الليث فأرسل إلى محمد بن زيد يهدده بالانتقام فتراجع عن إنجاد رافع بعسكره[3]، وفى سنة 283هـ سار رافع إلى خراسان فورد نيسابور فى ربيع الآخرة (283هـ مايو – يونية 896م) وجرى بينه وبين عمرو حرب شديدة انهزم فيها رافع إلى أيبورد وأراد المسير إلى هراة، ومرو فقطع عليه عمرو الطرق وحصره عند سرخس فتلاقيا، واستأمن بعض قواد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه، وسير أخاه محمد بن هرثمة إلى محمد بن يزيد يستمده فلم يمده، وتفرق عن رافع أصحابه وغلمانه، وخرج رافع منهزمًا إلى خوارزم فى رمضان (283هـ)، فلما بلغ رباط خيوة وجه إليه خوارزمشاه أبا سعيد الدرغانى ليقيم له الأنزال ويخدمه إلى خوارزم، فرماه أبو سعيد فى قلة من رجاله وغدر به وقتله فى شوال (283هـ) وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور[4]. وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد فوصل إليه سنة 284هـ[5].

فرح الخليفة العباسى بمقتل رافع بن الليث وأرسل إليه بالخُلع ولواء ولايته على الرى[6]، ولكن عمرًا اعتذر عن قبول الخلع وأصر على طلب ولاية ما وراء النهر وكانت بيد إسماعيل بن أحمد السامانى. ولم يجد الخليفة بدًّا من إجابة عمرو الذى لم تقف أطماعه عند حد وكتب إليه إسماعيل: إنك قد وليت دنيا عريضة، وأنا فى يدى ما وراء النهر، وأنا

---

(1) ابن الأثير: جـ6 ص74.

(2) ردها فى شعبان سنة 281هـ على أن يمده بأربعة آلاف من شجعان الديلم وخطب لمحمد بطبرستان وجرجان فى ربيع الآخر سنة 282هـ ابن الأثير جـ6 ص74.

(3) لما قوى أمر عمرو أبقاه بطبرستان.

(4) أرسل عمرو بن الليث إلى الخليفة العباسى يخبره بمقتل رافع بن الليث فأمر الخليفة بإعلان مقتل رافع فى ذى القعدة سنة 283ق. الطبرى: جـ10 ص50.

(5) ابن الأثير: جـ6 ص74 –75.

(6) الطبرى: جـ10 ص63 حوادث سنة 284هـ.

فى ثغر فاقنع بما فى يدك، واتركنى مقيمًا بهذا الثغر، فأبى إجابته إلى ذلك وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو: لو شئت أن أسكره ببدر الأموال وأعبره لفعلت"[1]. فسار إسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربى، ونزل عمرو فنزل بلخ، إلا أن جموع إسماعيل لم تلبث أن حاصرت عمرو، ثم دار القتال بين الطرفين، فهزم عمرو، وأخذ أسيرًا فسيره إسماعيل إلى سمرقند[2].

لما وصل الخبر إلى الخليفة المعتضد ذم عمرًا ومدح إسماعيل، وخير إسماعيل عمرًا بين البقاء عنده أو إنفاذه إلى المعتضد، فاختار المقام عند المعتضد فأرسله إلى بغداد حيث وصلها سنة 288هـ، وبقى محبوسًا بها حتى قتل سنة 289هـ[3].

كان عمرو بن الليث يتميز بكفايته فى إدارة دولته، فمنع أصحابه وقواده أن لا يضرب أحدهم غلامًا إلا بأمره .. وكان يشترى المماليك الصغار ويهبهم قواده. ويجرى عليهم الجرايات الحسنة سرًّا ليطالعوه بأحوال قواده ولا ينكتم عنه شيء من أخبارهم، ولم يكونوا يعلموا من ينقل إليه عنهم، فكانوا لذلك يحذرونه[4].

وكانت سلطة عمرو تستند إلى القوة الحربية، ولذلك اهتم بالعمل على زيادة موارد دولته، وكانت شراهته للمال لا حد لها، حكى عنه أنه ألزم عاملًا له بفارس اسمه أبو حصين على بيع أملاكه وتأدية ثمنها إليه ففعل، ثم طلب منه مائة ألف درهم، كذلك سخط يومًا على أكبر حجابه محمد بن بشير ولم يرضت عنه إلا بعد أن أدى إلى خزانة عمرو خمسين بدرة من الذهب[5].

آل حكم الدولة الصفارية بعد وفاة عمرو بن الليث إلى حفيده طاهر بن محمد بن

---

(1) كتب إسماعيل بن أحمد ذلك لعمرو بعد أن وجه عمرو حاجبه وخليفته محمد بن بشير لمحاربة إسماعيل بن أحمد الذى تمكن من قتل محمد بن بشير، وستة آلاف من رجاله، فلما بلغ المنهزمون عمرًا عزم على المسير إلى بلخ، فكتب إليه إسماعيل ذلك الخطاب. انظر ابن الأثير: جـ6 ص95، حوادث سنة 287هـ.

(2) ابن الأثير: جـ6 ص95 – ص96.

(3) ابن الأثير: جـ6 ص96، ويذكر قتله ضمن حوادث سنة 288هـ ص101.

(4) ابن الأثير: جـ6 ص96 بيروت.

(5) ابن الأثير: جـ6 ص96 بيروت.

عمرو بن الليث، إلا أنه لم يكن له من الأمر شيء، لاستبداد سبك السبكرى غلام عمرو بن الليث بالسلطة، حيث قبض عليه وعلى أخيه يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث فى سنة 296هـ / 908 – 909م وبعث بهما إلى بغداد، وتغلب على بلاد فارس إلى أن طرده منها الليث بن على بن الليث الصفار، فاستنجد السبكرى بالخليفة المقتدر، فأمده بجيش بقيادة مؤنس الخادم (297هـ / 909 – 910م) وحلت الهزيمة بالليث الصفارى، وأمره ولكن الجو لم يصفُ للخلافة بسبب عصيان السبكرى، وامتناعه عن إرسال الأموال إلى بيت المال[1].

حاولت الخلافة العباسية القضاء على السبكرى الذى انهزم من شيراز إلى بم وتحصن بها وتبعه محمد بن جعفر القريابى – أحد قواد مؤنس الخادم – وحصره بها فخرج إليه السبكرى وحاربه مرة ثانية فهزمه محمد ونهب ماله ودخل السبكرى مفازة خراسان، وتمكن السامانيون من القبض على السبكرى وأسره، وكتب الأمير أحمد بن إسماعيل السامانى إلى الخليفة المقتدر بذلك النصر، فكتب إليه يشكره على ذلك، ويأمره بإرسال السبكرى ومحمد بن على بن الليث إلى بغداد، فسيرهما إليه[2]. فى شوال سنة 298هـ / يونية 911م.

وبذلك زالت الدولة الصفارية، التى لم يقتصر خطرها على انتزاع ذلك الجزء الكبير من أراضى الدولة العباسية فى المشرق، بل حاول يعقوب فتح بغداد، واقتفى أخوه عمرو أثره ولكنهما لم يصلا إلى بغيتهما. وكان من الممكن لهذه الدولة أن تعيش لو أن مؤسسيها قنعوا بما فى أيديهم، إلا أن أطماعهم جلبت عليهم عداء الدولة العباسية، فعمل خلفاؤها على القضاء على الصفاريين بكل ما أوتوا من قوة، واستعانوا بالقوة الجديدة التى ظهرت فى تلك المنطقة، وهم السامانيون الذين جدوا فى القضاء على هذه الأسرة وعملائها.

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2 ص324، ابن الأثير: جـ6 ص136.
(2) ابن الأثير: جـ6 ص136، ص138 حوادث سنة 298هـ.

حركة الزنج
وموقف الخلافة العباسية تجاهها

حركة الزنج:

تعتبر حركة الزنج من الثورات التى هددت الخلافة العباسية وهزت كيانها، وهم طائفة من عبيد إفريقية[1] الذين جيء بهم فى الغالب من ساحل إفريقيا الشرقي[2]، وهو أرض الزنج[3]؛ التى تدعى زنجبار أو زنزبار وتشمل هذه البلاد مساحات واسعة من إفريقية بما فى ذلك المناطق الداخلية وجزءًا من المنطقة الواقعة قرب البحر الأحمر.

وكان لهذا الشعب فروع وعشائر مختلفة؛ حيث كانوا يمثلون تجارة الرقيق الأسود الرائجة فى تلك العصور، فقد كان يمارسها العرب وبقيت مستمرة حتى وقت قريب فى المناطق الإفريقية الممتدة ما بين خطى عرض 5 – 15 جنوبًا، وكانت هذه المناطق قديمًا، وحتى وقت قريب مقصد تجار الرقيق الأسود[4].

وقد استخدم العبيد على نطاق واسع فى الأراضى الواقعة شرقى البصرة؛ حيث تكثر

---

(1) حركة الزنج هى ثورة العبيد Ethiopians.

Muir: The caliphate, p. 545.

(2) Massignon: Encyclopedia of islam, vol. IV, p.1213.

(3) يطلق لفظ الزنج أو الزنوج أحيانًا على جميع العبيد.

(4) من نهر الزمبيزى جنوبًا إلى بلاد مانيوبا شمالاً.

Encyclopedia Britznica, Vol. 23, pp. 934 - 35

المستنقعات فى القسم الأدنى من دجلة والفرات[1]، وكانت مهمة هؤلاء العبيد "كسح السباخ" أى إزالة الطبقة الملحية التى تغطى هذه الأراضى وإظهار التربة الخصبة الصالحة للزراعة، ونقل السباخ وجعله أكوامًا أو تلالاً ليستفاد منه فى الوقت نفسه[2].

سكن الزنوج العراق منذ مدة طويلة، وظهروا بفرات البصرة فى آخر أيام مصعب بن الزبير، وكانوا قليلى العدد آنذاك، لكنهم أفسدوا الزروع واستولوا على الثمار كرهًا. ولما ولى خالد بن عبد الله القسرى البصرة كانوا قد كثروا فشكا إليه الناس أذاهم ففرقهم وقتل جماعة منهم وفتك بهم[3]. وفى عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى ثار هؤلاء الزنج سنة 75هـ / 694م واجتمع منهم جمع كبير واتخذوا من بينهم زعيمًا يدعى رباح ولقبوه "شير زنجي" أى أسد الزنج[4]. فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو صاحب شرطة البصرة أن يحاربهم، فجهز لهم جيشًا بقيادة ابنه حفص فهزموا الجيش وقتلوا قائده[5]. ولكن الهزيمة لم تلبث أن لحقت به فى السنة نفسها (75هـ / 694م).

ولما ولى يحيى بن محمد أخو السفاح الموصل سنة 133هـ / 750م كانت معه جماعة من الزنج "فلما فعل ما فعل فى الإسراف فى قتل الرجال والنساء والأولاد فأباح الزنج فى اغتصاب النساء، فاعترضت يحيى امرأته وعيرته بتسليم المسلمات لرعاع الزنج فأثر فيه كلامها وجمعهم للعطاء، فلما اجتمعوا أمر بهم فقتلهم عن آخرهم، ولم يكن للزنج شوكة فى ذلك العهد، وإنما كان ابتداء شوكته وازدياد قوته فى منتصف القرن الثالث الهجري[6].

كان العمل الذى استخدم فيه هؤلاء الزنوج شاقًا إلى أبعد الحدود، وفضلاً على ما يلاقونه من الإرهاق والعنت، فقد تعرضوا لرقابة صارمة وإهانات مستمرة[7]، من قبل

(1) Walker:A Rrare coin of the Zanj,p. 653 (The journal of the Royal Asiatic society 1).
(2) Encyclopedia of islam, vol IV, p. 1213.

(3) ابن الأثير: جـ4 ص40 بيروت.
(4) ابن الأثير: المرجع نفسه.
(5) ابن الأثير: جـ4 ص40 بيروت.
(6) دائرة معارف البستانى جـ9 ص259.
(7) Noldeka: Sketches from Eastern History, p. 144.

وكلاء أسيادهم يسوقونهم بالسوط على أداء واجباتهم الثقيلة، لذلك فقد كان الشعور بالمرارة ضد الأسياد هو الشعور السائد بين هؤلاء العبيد[1].

لقد كثرت أعداد هؤلاء العبيد وتزايدت حتى بلغ عدد أحد الجماعات التى تشتغل على نهر دجيل الأهواز[2] خمسة عشر ألف غلام[3]. وكانت حالة الزنج سيئة إلى أقصى حدود السوء، فقد كان أكثرهم عبيدًا لدهاقين البصرة وبناتهم، ولم يكونوا ذوى زوجات وأولاد[4]، وكان أسيادهم من أصحاب رؤوس الأموال قساة عليهم يكلفونهم من العمل أكثر مما يطيقون[5]، كما أنهم لم يتناولوا أجورًا معقولة حتى أنه لم يزد عن قليل من الغذاء الزهيد مكون من شيء من الطحين والتمر والسويق[6].

حالة الخلافة العباسية:

كان الخليفة المتوكل[7] أول خلفاء العصر العباسى الثانى، وقد دبر ابنه المنتصر مؤامرة لقتله، وإن الأتراك بايعوه بالخلافة من بعده، ولكنه لم يتمتع بالخلافة غير ستة أشهر وقتل

---

(1) Ibid., 144.

(2) نهر بالأهواز حفر أرشير بن بابك أحد ملوك الفرس مخرجه من أصبهان ومصبه فى فارس قرب عبادان. ياقوت: معجم البلدان جـ4 ص42.

(3) الطبرى: جـ9 ص414 بيروت.

ومما يدل على ضخامة أعداد الزنج ما يرويه الطبرى جـ9 ص414، من أن صاحب الزنج أخذ من مكان واحد خمسمائة غلام ومن مكان آخر مائة وخمسين غلامًا ومن موضع ثالث خمسين ورابع ثمانين وكل هؤلاء فى يوم واحد.

(4) كانوا على هيئة الشطار عزابًا. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة جـ8 ص565 مصر 1281هـ.

(5) وأية ذلك أن على بن محمد لم يكد يتصل بهم حتى استجابوا له مسرعين وحتى تكاثروا من حوله. طه حسين: ثورتان ص565 الكاتب المصرى مجلد 3 عدد 8.

(6) الأمر الذى جعل صاحب الزنج يهتم بهذه الناحية ويستغل سوء حالته المعيشية. ابن الأثير: جـ5 ص348 بيروت.

(7) ولد جعفر بن المعتصم فى سنة 206هـ بفم الصلح وهى البلدة على نهر دجلة على مقربة من مدينة واسط ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شجاع. البغدادى، تاريخ بغداد جـ7 ص166. القاهرة 1349هـ / 1931م.

على أيدى الأتراك الذين استولوا منذ قتل المتوكل على الدولة العباسية، واستضعفوا الخلفاء حتى كان الخليفة لعبة فى يدهم أن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه أو قتلوه.

وقد جلس على سرير الخلافة بعد المنتصر أحمد بن محمد بن المعتصم ولقب المستعين بالله، فكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب، ولم يلبث أن عزل وقتل على يد هؤلاء الأتراك الذين تغلغلوا فى أمور الدولة العباسية وتسلطوا على حياة الخلفاء وبايعوا المعتز. ولم تطل خلافته فقد قتله الأتراك وبايعوا المهتدى ابن الواثق بالخلافة سنة 255هـ / 868 – 869م وكان من أحسن الخلفاء سيرة وأظهرهم ورعًا وأكثرهم عبادة.

وسرعان ما اجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة المهتدى فى شهر رجب سنة 256هـ / يونية 870م، وبايعوا المعتمد بن المتوكل بالخلافة، وكان إذا ذاك محبوسًا بالجوسق. ويقول صاحب الفخري[1] "وقد غلب أخوه الموفق حتى لم يبقَ له من الخلافة إلا اسمها".

كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع، كان هو وأخوه طلحة كالشريكين فى الخلافة: للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بإمرة المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهى وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته[2]، ويقول السيوطي[3]: "وانهمك المعتمد فى اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة".

نسب صاحب الزنج:

صاحب الزنج هو اللقب الذى أطلق على الرجل الذى ظهر فى فرات البصرة[4] سنة 255هـ / 868م فقاد الزنج فى تلك الثورة الخطيرة التى دامت أكثر من أربعة عشرة سنة وفى الكلام على نسب هذا الرجل المسمى على بن محمد نلاقى صعوبات جمة، فهناك من

---

(1) ابن طباطبا: فى الآداب السلطانية ص226 القاهرة 1923م.

(2) ابن طباطبا: ص226.

(3) تاريخ الخلفاء ص242 ، بالقاهرة، 1351هـ.

(4) فرات البصرة: كورة بهمن بن أردشير، وهى كورة واسعة بين واسط والبصرة. معجم البلدان جـ1 ص36.

يقول إنه فارسى، بل يؤكد فارسيته، وهناك من يرد نسبته إلى قبيلة عربية فى حين نجد بعض المراجع تسكت عن نسبه، فلا تثبت هذا أو ذاك. أما الرجل نفسه فقد "زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب"[1].

ويجد الباحث أن نسب هذا الرجل يتغير من حين إلى حين فينسب إلى يحيى بن زيد بن على بعد أخراب البصرة ويترك نسبته إلى أحمد بن عيسى[2]. ويقول ابن أبى الحديد[3] أن صاحبنا غير نسبه تبعًا للظروف فانتقل من أحمد بن زيد إلى أحمد بن محمد بن زيد ثم إلى يحيى بن زيد بن على، وحين شخص إلى البحرين سنة 249هـ / 863م ادعى أنه على بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب[4]. فهل نسبه العلوى صحيح؟

إن الإجابة على هذا السؤال بالنفى لأن المراجع الرئيسية تجمع على أنه لا ينتسب إلى العلويين حقًّا، بل هو دُعِى فى انتسابه إليهم[5]. فيقول أبو الفدا عن نسبة على بن محمد نفسه إلى العلويين "وهو فى ذلك كاذب لأن الإجماع فى يحيى أنه لم يعقب إلا بنتًا ماتت وهى ترضع"[6] ويقول صاحب الفخري"[7] أما نسبه فليس عند النسابيين بصحيح وهم يعدونه من الأدعياء"، ويقول[8] ابن أبى الحديد: "وأكثر الناس يقدحون فى نسبه وخصوصًا الطالبيين وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس" ويقول المسعودى:[9] "وأكثر الناس يقول أنه ادعى آل أبى طالب".

ومع أن المراجع العربية الرئيسية تجرد صاحب الزنج من النسب العلوى إلا أن نولدكه

---

(1) الطبرى: جـ9 ص410 بيروت، المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص439، تاريخ ابن الوردى جـ1 ص233.
(2) ابن الأثير: جـ5 ص346 بيروت.
(3) شرح نهج البلاغة جـ8 ص318.
(4) الطبرى: جـ9 ص410 بيروت.
(5) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ3 ص21.
(6) أبو الفدا: البداية والنهاية جـ11 ص29 مكتبة المعارف – بيروت 1977م.
(7) ص183، النجوم الزاهرة جـ3 ص311.
(8) شرح نهج البلاغة جـ8 ص311.
(9) مروج الذهب جـ4 ص135.

لايعلق كبير أهمية على كونه من العلويين لأنهم – على حد قوله – لم يكونوا كلهم شخصيات متميزة "ذلك أن نسل على آنذاك كانوا يعدون بالآلاف ولم تكن لهم كلهم أهمية تاريخية"[1].

على أننا نرجح أن يكون صاحب الزنج غير علوى وأنه إنما ادعى النسب العلوى لتصطبغ حركته بصبغة دينية، وتلقى صدى عظيمًا واستجابة ملحوظة فى قلوب العامة. ذلك أن العلويين تمتعوا بسمعة طيبة، واشتهر عنهم دائم نقمتهم على السلطة الحاكمة بدليل ثوراتهم المتعددة فى شتى العهود الإسلامية، والاستناد إلى النسب العلوى يضفى على حركة صاحب الزنج طابعًا خاصًا تعجب به الجماهير إلها وهو الطابع الدينى الذى اعتمدت عليه أغلب الحركات من هذا النوع، وهى فى جميعها حركات اجتماعية محضة.

وإذا كنا قد نفينا عن صاحب الزنج نسبه العلوى، فعلينا أن نعرف نسبته ذلك أن المراجع اختلفت فى ذلك.

وولد على بن محمد فى قرية كبيرة تدعى ورزنين فى قرى الرى (بخراسان) وبها كانت نشأته[2]. وكان اسمه فيما يذكر على بن محمد بن عبد الرحيم، ونسبه فى قبيلة عبد القيس وأمه قرة ابنة على بن رحيب بن محمد بن حكيم وهى أسدية من أسد بن خزيمة[3]. وقد ذكر عنه أنه كان يقول: "جدى محمد بن حكيم من أهل الكوفة"[4]. واستنادًا إلى بعض المصادر نجد أن عائلته ترجع إلى البحرين، وكانت فرعًا من قبيلة عبد القيس التى كانت تستقر هناك[5].

---

(1) Sketches, pp. 146 - 147.

(2) الطبرى: جـ9 ص410 بيروت، ابن الأثير: جـ5 ص346 بيروت وهى لا تبعد عن طهران عاصمة إيران الحديثة.

Noldeka: Sketches. P. 146.

(3) ابن أبى الحديد جـ8 ص311.

(4) أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن على بن الحسين، فلما قتل زيد هرب فلحق بالرى فلجأ إلى ورزنين فأقام بها وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان وأنه قدم العراق فأقام بها واشترى جارية سندية فأولدها محمدًا أباه.
الطبرى: جـ9 ص410.

(5) عبد القيس من قبيلة ربيعة.

ونخرج من ذلك بأن صاحبنا عربى، ولكن هناك مراجع أخرى تقول إن صاحب الزنج فارسى فيقول ابن الجوزي[1] والسيوطي[2] إن صاحب الزنج هو "بهبوذ"[3] وأصله من ورزنين فهو من أصل فارسى، كما يبدو من الاسم والمولد[4]. غير أننا نميل إلى إعطاء صاحبنا نسبًا عربيًّا للأسباب الآتية:

أولاً: أنه عربى النسب بإجماع المراجع الرئيسية تقريبًا.

ثانيًا: أن ابن الجوزى والسيوطى وإن سمياه "بهبوذا" فإنهما لم يجزما بفارسيته.

ثالثًا: أن الطبرى وهو أقدم وأهم وأدق المراجع التى كتبت فى هذا الموضوع يطلق اسم بهبوذا بن عبد الوهاب على شخص آخر "وقد كان أكثر أصحاب الفاسق ـ أى صاحب الزنج ـ غارات وأشدهم تعرضًا لقطع السبيل وأخذ الأموال"[5]، ونحن نؤيد الطبرى بصفته مؤرخًا عاصر الأحداث وعايشها.

رابعًا: كانت لغة صاحب الزنج العربية وبها كان ينظم الشعر العربى البليغ، وإن خطبه تدل على أسلوب عربى متين، وإن لم يدل هذا على عروبة أصله، فإنه يدل على عروبة ثقافته ونشأته.

خامسًا: لو كان نسب على بن محمد فارسيًّا لأكد المؤرخون هذه الناحية للطعن فيه كثائر على الدولة، ولما سكتوا هذا السكوت عن أصله.

---

(1) المنتظم جـ5 ص96.

(2) تاريخ الخلفاء ص242.

(3) وقيل إن اسمه نهبود. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ3 ص48.

(4) يبرز بعض المؤرخين المحدثين كونه فارسيًّا بأن أكثر الحركات السرية أو الهدامة فى الإسلام قامت بها العناصر الأجنبية عامةوالفارسيةعلى وجه الخصوص انتقامًا من العرب.

(5) الطبرى: جـ9 ص610 بيروت. ويقول أبو الفدا: إن بهبوذا أكبر أمراء صاحب الزنج. البداية والنهاية جـ11 ص42، بيروت 1977.

بداية ظهور صاحب الزنج فى البصرة:

كانت البصرة مدينة زراعية عظيمة وتتوقف معيشة سكانها على الزراعة بالدرجة الأولى[1]، وعلى التجارة بالدرجة الثانية فقد قال عنها الجاحظ[2] "أنها باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا". لذا لا يساورنا العجب إذا اختار على بن محمد هذه المدينة كمركز لدعوته، على اعتبار أنه يستطيع أن يجد فيها كثيرًا من الأعوان، فيما إذا استغل الظروف السائدة جيدًا.

وقد اهتدى صاحب الزنج بثاقب فكره إلى حقيقة هامة، وهى أن يستغل الفوضى السياسية والاجتماعية الضاربة أطنابها فى هذه المدينة المزدحمة بالسكان، خاصة أن البصرة كانت تزخر آنذاك بجموع العبيد الذين كانوا يشتغلون على الأراضى، فرأى أن يجرب حظه فى هذ المدينة متخذًا من جموع الزنج الساخطين على حياتهم ووضعهم مادة يعتمد عليها ويستعين بها فى دعوته.

ولا ننسى حقيقة هامة وهى أن البصرة كانت تقاسى يومئذ نزاعًا مستمرًّا بين حزبين كبيرين هما البلالية والسعدية. وكان هذا النزاع الحاد قد بدأ منذ سنة 252هـ / 866م فى خلافة المعتز[3]. ويبدو أن هذين الحزبين كانا يسكنان حيين مختلفين فى المدينة[4]. وكانت تفرق بينهما عصبية شديدة. ويقول جورجى زيدان[5]: "إن البلالية والسعدية كانتا فرقتين من فرق الأتراك" ولا ندرى مبلغ هذا القول من الصحة، فإن المراجع التى بين أيدينا لا تؤكد ذلك.

قدم صاحب الزنج البصرة سنة 254هـ / 868م وكان عامل السلطان بها محمد بن رجاء بن أيوب الحضارى ووافق ذلك فتنة البلالية والسعدية، فطمع أن يميل إليه أحد

---

(1) تعد البصرة من أهم مناطق زراعة التمر فى العراق وقد ذكر المقدسى أن أنواع التمر فى البصرة وحدها بلغ أربعين نوعًا. أحسن التقاسيم ص297، ص298 بينما يقول ابن الفقيه أن هذه المدينة تنتج ثلثمائة نوع من التمور. مختصر كتاب البلدان ص258.

(2) التبصر بالتجارة ص3.

(3) المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص403.

(4) Noldeka: Sketches, p. 147.

(5) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى جـ1 ص146.

الفريقين[1]. وتفصيل الأمر أن أحوال البصرة كانت قد فسدت فى إمارة محمد بن رجاء. وانقسم أهلها على بعضهم وتطور العداء إلى صدام دموى داخل المدينة بين الفرقتين المذكورتين أدى إلى طرد الوالى وفتح السجون ونهب بيت المال ودور بعض الأغنياء، وبقيت البصرة تقاسى الأمرين من هذه الفتن، فتولى إمارته عدة ولاة دون جدوى. حتى هدأت الفتن قليلاً قبيل مجىء صاحب الزنج[2].

حاول على بن محمد أن يبدأ دعوته فى مسجد هذه المدينة لكن أحدًا لم يلتفت إليه وطارده وصحبه الجند فلاذوا بالفرار، ولم ينجُ صاحب الزنج نفسه إلا بالخروج إلى بغداد، وقبض الوالى على من تبعه، كما قبض على زوجته وابنه وابنته وجارية له. لكن الذى أفاده على بن محمد من هذه المغامرة أنه مهد الجو لخططه وبذر بذور حركته واطلع على أحوال البصرة تمام الاطلاع، كما حصل أعوانًا مخلصين مثل على بن أبان المهلبى ولد المهلب بن أبى صفرة وأخوه محمد الخليل[3].

وكان على بن محمد وهو فى بغداد ينتظر الفرص المواتية ويرقب الأحوال، وأخذ يدعو لنفسه ويجمع حوله أعوانًا جددًا، فاستمال جماعة أصبحوا بعدئذ من أخلص تابعيه، ولم ينسَ أن يحيط نفسه وهو ببغداد بهالة من الغموض ويغلف أفكاره وتصرفاته بثوب دينى للسيطرة على تابعيه[4].

ما إن انتهى العام الذى قضاه فى بغداد حتى وردت الأخبار تنبئ عن عزل محمد بن رجاء وقيام ثورة بين البلالية والسعدية وفتحت السجون وخرج أهله وأعوانه فعاد إلى البصرة فى رمضان سنة 255هـ / أغسطس سبتمبر 869م ولا ندرى إن كان لصاحب الزنج ضلع فى هذه الفتنة التى عصفت بالبصرة أم أن الظروف وحدها خدمته، فأتاحت له أن يعود لنشر دعوته على نطاق واسع.

---

(1) أبو الفدا: البداية والنهاية جـ11 ص19. بيروت 1977م.

(2) الأعظمى: مختصر تاريخ البصرة ص72.

(3) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة جـ8 ص312.

(4) ادعى أنه يعلم حقيقة ما فى ضمائرهم وما يفعله كل منهم وأنه سأل ربه آية فرأى كتابًا يكتب له وهو ينظر إليه على حائط ولا يرى كاتبه. أبو الفدا: البداية والنهاية جـ11 ص19.

على كل حال فقد عرف على بن محمد كيف يستغل الفوضى السائدة فى البصرة وأقام فى برنخل[1]. فى قصر يعرف بقصر القرشى على نهر عمرو بن المنجم، وتظاهر على بن محمد أنه وكيل لعائلة من الأمراء فى بيع ما يملكون من السباخ[2] وأمر أصحابه أن يتظاهروا بذلك أيضًا، ويتضح من ذلك أنه كان يهدف إلى الاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباخ ويقوى علاقته بهم ويدرس أحوالهم عن قرب[3]. كما أخذ يتحرى أخبار البصرة وأنباء النزاع بين البلالية والسعدية، وابتداء من هذا التاريخ أخذ يروج لدعوته ويعد الزنوج بتحسين أحوالهم، ولم يمضِ غير قليل حتى اجتمع إليه كثرة من الزنج، ويعتبر يوم الاثنين 6 سبتمبر 869م / 26 رمضان سنة 255 يوم قيامه بالثورة[4].

طبيعة حركة الزنج:

إن بحث طبيعة حركة الزنج ومحاولة الوصول إلى آراء قاطعة أو معقولة فى مجال مبادئها والمعتقدات التى اعتنقها زعيمها على جانب كبير من الأهمية لأن آراء المؤرخين تتضارب تضاربًا شديدًا فى الكلام على حقيقة معتقدات صاحب الزنج، ونجد أن هذه الآراء غير ناضجة تمامًا، بل هى إشارات خاطفة فى أكثر الأحيان تنثر هنا وهناك فى بطون المراجع التاريخية. وقد أفاض المؤرخون كل الإفاضة فى بحث حركة الزنج من وجهتها العسكرية الحربية وبحثوا فى أدق التفاصيل وأتفهها فى الكلام على المعارك التى دارت بين الزنج والعباسيين فإذا حاول الباحث أن يتفهم جيدًا هذه الحركة ويقف على حقيقة المبادئ العقلية والاجتماعية التى ارتكزت عليها وجد أن الطريق شائك لقلة المعلومات.

إن هناك طائفة من الأسئلة تتبادر إلى الذهن، وهى إذا كان صاحب الزنج علويًّا ـ أو على الأقل قد ادعى النسب العلوى ـ فلم لم يبشر بمذهب الشيعة ويحتضنه كما فعل العلويون من قبل ومن بعده، وما هى طبيعة حركة الزنج؟ هل هى ذات برنامج اجتماعى تهدف إلى إصلاح شامل لنظام المجتمع؟ أم كانت مجرد حركة ضيقة تهدف إلى تحسين حال

---

(1) يقول المسعودى: أنه برغيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة. مروج الذهب: جـ2 ص439.
(2) Noldeka: p. 149.
(3) ابن أبى الحديد: جـ8 ص312.
(4) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص332 ليبسك 1878م.

طبقة معينة من المجتمع؟ ولماذا لم يتعاون الزنج مع القرامطة؟ والذين ظهروا حوالى تلك الفترة وقدر لهم أن يملأوا العالم الإسلامى بالرعب والفزع.

إن حركة الزنج تعبير يطلق على تلك الثورة التى قام بها العبيد الإفريقيون Ethiopians[1] فى المستنقعات الممتدة بين واسط والبصرة أو ما يسمى بمنطقة البطيحة ضد أسيادهم بزعامة على بن محمد واستمرت أكثر من أربعة عشرة سنة (255 – 270هـ / 869 – 883م).

إن هذه الثورة على جانب كبير من الأهمية من حيث طابعها ودوافعها كما أنها هامة من حيث آثارها فى الدولة العباسية – خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار أن هذه الفترة – النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى – شهدت أحداثًا اجتماعية وسياسية وفكرية هائلة، وإن الدولة العباسية كانت وهى فى حالة ضعفها – تكافح ما تمخض عنه العصر من أحداث كفاح اليائس المستميت – أدركنا أن حركة الزنج كانت حلقة فى هذه السلسلة المتصلة الأحداث التى عبرت عن السخط العام من ناحية وعن تفكك الدولة العباسية من ناحية ثانية. وعن دخول المجتمع الإسلامى فى مرحلة جديدة من التطور الفكرى والاجتماعى من ناحية ثالثة.

كانت حركة الزنج حربًا اجتماعية ذات طابع طبقى أى أنها ثورة طبقة اجتماعية معينة ضد الطبقات الأخرى فى المجتمع[2]، كانت تشعر أنها مضطهدة سليبة الحقوق، فقامت تطالب بحقوقها بمجرد أن وجدت لها زعيمًا يقودها فقاد على بن محمد جموع هؤلاء الزنج الساخطين.

ولكن هل كانت حركة الزنج حربًا بين الأجناس؟ بين السود والبيض؟ كما يقول بعضهم، وفى رأينا أن حركة الزنج لم تكن حربًا بين جنس وآخر بالمعنى الدقيق للكلمة بل كانت حربًا بين طبقات، ذلك أن جماعات كثيرة من غير السود انضوت تحت لواء هذه الحركة كالأعراب الناقمين على الدولة، وأهل القرى والفلاحين البيض الناقمين على أوضاعهم وغيرهم من أصحاب الحرف[3].

---

(1) Beowne: A literary History of Persia Vol. l, p. 349.

(2) Masignon: Vol. Iv, p. 1213.

(3) Encyclopedia of islam, vol. IV, p. 1213.

برنامج حركة الزنج:

هل كانت حركة الزنج حركة منظمة ذات برنامج اجتماعى شامل؟ وبمعنى آخر هل كانت هذه الحركة تهدف إلى إلغاء الرق إلغاءً نهائيًا من المجتمع الإسلامى؟ الواقع أن من أكبر وأعظم أسباب إخفاق هذه الحركة أنها كانت تنطوى على برنامج اجتماعى شامل، أسوة بالحركات الاجتماعية الأخرى كحركة القرامطة مثلاً، التى قننت وشرعت وأقامت نظامًا اجتماعيًا دقيقًا وخاصة فى البحرين حيث أنشئ "نظام الألفة"[1] وهل يصح أن نصف حركة الزنج بأنها هدفت إلى تحرير العبيد واسترقاق الأحرار؟ هذا السؤال تتوقف على إجابته مصير حركة الزنج، فإذا صح ذلك أصبحت حركة الزنج مجرد ثورة انتقامية حاولت إزالة شر من شرور المجتمع لتبدل به بشرًا آخر أى إلغاء عبودية وإحلال عبودية أخرى محلها.

وقد شرح على بن محمد صاحب الزنج برنامجه فى خطبة ألقاها على العبيد يوم عيد الفطر سنة 255هـ / سبتمبر 869م موضحًا أهدافه بقوله "أنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد، والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الآمال[2]. ونفهم من هذه الخطبة أن صاحب الزنج لم يقصد إلى هدم العبودية، بل إلى إدخال بعض التعديلات على الأوضاع الاجتماعية السائدة[3]. ومن مراجعة حوادث الحركة ووقائعها نجد أن على بن محمد حرر العبيد الذين انضموا إليه بالجملة، وكلما سنحت الفرصة، وكان يبادر إلى عتق الأرقاء كلما دخل مدينة أو قرية، لكنه من ناحية أخرى استرق من أسر من المسلمين وعاملهم معاملة العبيد سواء بسواء.

ونجد فى المراجع أمثلة كثيرة لاسترقاق على بن محمد للمسلمين الأحرار رجالهم ونسائهم. فيروى المسعودي[4] "أن عسكر صاحب الزنج كان ينادى فيه على المرأة من

الطبرى: جـ9 ص482 –483.

ابن الجوزى: المنتظم جـ5 ص56.

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ3 ص326 مكتبة النهضة المصرية.

(2) الطبرى: جـ9 ص414.

(3) عبد العزيز الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص78 بغداد 1946م.

(4) مروج الذهب جـ2 ص447 القاهرة 1346هـ.

ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ... لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف". وإذا علمنا أن عدد الزنج كان ضخمًا جدًّا – كما أسلفنا – استطعنا أن نتصور عدد النساء المسترقات إذا صدق المسعودى فى هذه الأرقام، ويزيد هذه الصورة وضوحًا ما يرويه المسعودي[1] أيضًا من أن امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت لدى أحد رجال الزنج فسألت على بن محمد صاحب الزنج أن ينقلها إلى غيره أو يعتقها لأنها كانت تقاسى الأمرين من معاملته فعنفها قائلاً: "هو مولاك وأولى بك من غيره". وهذا يدل على أن الرق بكل خصائصه وصفاته عرف فى "دولة الزنج" وأن عليًّا لم يقدم دليلاً على أنه كان يريد أن يزيل الرق نهائيًّا. بل إن الموفق طلحة وجد آلاف الأسرى الأبرياء فى سجون "المختارة حاضرة الزنج حين استطاع احتلالها"[2]. ومن هنا تكون حركة الزنج قد قامت لفائدة طبقة العبيد فقط، وهذا أحد الأسباب الرئيسية فى عدم رواج هذه الدعوة بين أهالى البصرة الأحرار الذين لم تكن لهم أى مصلحة من تحرير العبيد.

ولعل الباحث يستطيع أن يجد بعض العذر لصاحب الزنج وحركته ويخفف من وطأة الاتهام السالف إذا تذكر أن على بن محمد فى حالة حرب مع المجتمع كله وأنه أينما التفت وجد أعداء لحركته، فلم يجد بدًّا من أسر أعدائه واسترقاقهم ليأمن شرهم ويضعف همتهم ويظهر أمامهم بمظهر القوة والرهبة. ومن ناحية أخرى نجد أن صاحب الزنج يعتنق مذهب الخوارج الأزارقة[3].

على أى حال يجب أن نعترف بأن حركة الزنج كانت محدودة غير ذات برنامج شامل، وأنها لم تهدف إلى إلغاء العبودية كلية، وأن كل ما نستطيع أن نقوله عن حركة الزنج أنها

---

(1) مروج الذهب جـ2 ص447.

(2) الطبرى: جـ9 ص601 بيروت.

(3) الأزارقة: هم أصحاب أبى راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا على هذه المدينة وكورها وما ورائها من بلدان فارس وكرمان فى أيام عبد الله بن الزبير. وقد كفروا عليًّا وعثمان وعائشة وعبد الله بن العباس، وكفروا القعدة وأباحوا قتل أطفال المخالفين والنساء منهم وغير ذلك من المبادئ كعدم جواز التقية وتكفير مرتكب الكبيرة. الشهرستانى: الملل والنحل جـ1 ص161 – ص164 مصر 1317هـ.

كانت تهدف إلى تحرير العبيد والانتقام من سادتهم وجعل العبيد سادة يمتلكون الأراضى والمنازل، ولم يكن هذا حلًّا منطقيًّا.

إن حركة الزنج كانت فى بدايتها حركة ضد ملاك الأراضى وملاك العبيد باعتبار أنها دعت إلى تحرير العبيد ولذلك وقف هؤلاء الملاك فى وجهها وقاوموها أشد المقاومة، ثم تطورت هذه الحركة فصارت حركة ضد الدولة على اعتبار أن الخلفاء والولاة ظالمون منتهكون حرمة الله والدين وأنهم هم الذين شجعوا ملاك الأراضى على أن يأتوا هذه الأعمال المنكرة ضد العبيد الذين هم بشر مثلهم ومسلمون كذلك يتساوون مع غيرهم فى نظر الشريعة الإسلامية التى هدمت الفروق اللونية والجنسية، وسنجد أن صاحب الزنج يعتنق مذهب الخوارج لأن هذا المذهب يتفق مع طبيعة الدعوة التى تبناها ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن حركة الزنج بدأت ضد ملاك الأراضى. ونجد أن الدولة لم تتدخل لقمعها بادئ الأمر، فبقى الزنج يعيثون فسادًا فى البصرة، والمناطق الجنوبية دون أن تحرك الحكومة ساكنًا بل لقد تركت أهل البصرة المتطوعين أنفسهم يصدون تيار الزنج العنيف[1]. حتى قوى أمر صاحب الزنج وفزع منه أهل البصرة، وأمسكوا عن حربه، فكتبوا إلى الخليفة يطلبون منه التدخل، وعندها فقط أرسل قائدًا من قواد الدولة سنة 256هـ / 869م هو جعلان التركي[2]. وهنا خرجت حركة الزنج عن كونها حركة محلية ضد ملاك الأراضى إلى حركة تقوم على العصيان ضد الدولة والخلافة معًا.

حركة الزنج فى طورها الأول (255 – 261هـ / 868 – 874م):

يمكن تقسيم حركة الزنج إلى فترتين تنتهى الأولى سنة 261هـ وهى فترة انتصارات متوالية للزنج، وتبدأ الثانية بعد هذا التاريخ بعد تعيين أبى أحمد الموفق للمرة الثانية للقيادة العامة.

وفى الكلام على هذه الحرب الطويلة التى استمرت أكثر من أربعة عشر عامًا، نلاحظ أن طبيعة الأرض الجغرافية أضفت على هذه الحرب طابع حرب العصابات، ذلك أن

---

(1) دائرة معارف البستانى جـ9 ص260.

(2) الطبرى: جـ9 ص470، ابن الأثير: جـ5 ص358 بيروت.

امتلاء هذه المنطقة بالمستنقعات والقنوات والبردى جعل الحرب حرب عصابات وكمائن مما ساعد على إطالتها وجعل قمعها أمرًا عسيرًا على الدولة.

إن حوادث الزنج وقعت أكثرها فى البصرة المطلة على شط العرب وهو ما كان يسمى آنذاك بدجلة العوراء. ويتكون هذا النهر من التقاء دجلة والفرات عند القرنة، وتلتقى بها أيضًا قناة الحويزة[1]، فيسمى النهر حينئذ شط العرب[2]، وتتفرع من شط العرب هنا "قناتان كبيرتان بين منبعهما مسافة فرسخ وقد شقا صوب القبلة مسافة أربعة فراسخ يلتقيان ويكونان قناة واحدة تسير فرسخ واحد ناحية الجنوب، ومنها شقت ترع كثيرة مدت فى كل الأطراف. أما القناة العليا وهى الشمالية الشرقية فتسمى نهر معقل[3] وأما الثانية وهى الغربية الجنوبية فتسمى نهر الأبلة[4]، وتشتهر البصرة بكثرة أنهارها حتى لقد بلغت مائة وعشرين ألف نهر[5]. وكانت فى حدود البصرة آجام كثيرة وبطائح تسير فيها القوارب الصغيرة. ويبدو أنها كانت أرضًا فى القديم ثم تراجعت عنها المياه بعد ما بنيت البصرة وشقت الأنهار فغلب الماء على المناطق المنخفضة فأصبحت أشبه بالمستنقعات[6].

وتتكون البطيحة من عدة أهوار[7] تتصل بعضها ببعض حتى تصب جميعها فى نهر دجلة العوراء. ومن أهم الأنهار التى يرد ذكرها والتى تتفرع من شط العرب نهر المرأة والدير، وبثق شيرين، معقل، الأبلة، اليهودى أبى الخطيب، الأمير، القاطول، وهذه كلها تقع على الجانب الغربى أما فى الجانب الشرقى فنجد نهر المبارك، الريان ودبيان[8].

---

(1) الحويزة: بين واسط والبصرة وخوزستان بين البطائح. ياقوت: معجم البلدان جـ3 ص373 القاهرة 1907م.

(2) ناصر خسرو: سفرنامه ص95.

(3) نهر معقل: نسبة لابن يسار بن عبد الله وهو نهر معروف فى البصرة فمه عند نهر الأجانة.

(4) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة، ونهر الأبلة الضارب إلى البصرة حفره زياد.
معجم البلدان جـ1 ص89 – ص90.

(5) الأصطخرى: المسالك والممالك ص79 ليدن 1870 – 1892م.

(6) الأصطخرى: المسالك والممالك ص81 - 82.

(7) الهور: هو الماء الكثير.

(8) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة ونهاية العمارة ص135 –136 ليبسك.

ساعد هذا الوضع الجغرافى على جعل حرب الزنج حرب عصابات لأن الجيوش الكبيرة المنظمة ذات التجهيزات الثقيلة كان يصعب عليها الانتقال فى تلك المناطق التى تكتنفها المسطحات المائية وتخترقها عشرات الآلاف من القنوات وكان من الطبيعى أن يصعب على الخلافة القضاء على هذا العصيان بسرعة لأن مثل هذه الحرب تكون طويلة عادة، ويستغرق تطهير منطقة من المناطق وقتًا طويلاً، خاصة وهذه المناطق تصلح لاتخاذ كمائن تباغت منها العصابات جيوش العباسيين التى تجهل جغرافية هذه المنطقة وتجعل إقامة وسائل الدفاع أمرًا سهلاً وإزالتها أمرًا صعبًا[1].

ومن استعراضنا لجغرافية المنطقة نجد أن الطبيعة تقف إلى جانب الزنج، فهم يحاربون على تربة ملائمة اعتادوها جيدًا وخبروها بحكم اشتغالهم فيها، وقد عرف الزنج كيف يديرون دفة الحرب، بينما كان عدوهم مجهزًا بأسلحة لا تصلح إلا للقتال على أرض يابسة صلدة أى الحروب المنظمة[2]. ومن هنا قاسى العباسيون متاعب جمة، حتى أبى أحمد الموفق نفسه الذى تعب كثيرًا من "ضيق المواضع التى كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها"[3].

ومن أمثلة الصعوبات التى كان يلاقيها العباسيون فى هذه الحرب ما يرويه الطبري[4] عن استغلال الزنج لهذه الطبيعة المعقدة وكيف كانوا يجرون الماء على السباخ التى يسلكها أصحاب الموفق لئلاً يجدوا إلى سلوكها سبيلاً، وكيف يحفرون خنادق فى مواضع عدة يحولون بها دون تقدم جيوش الموفق. وكان الموفق يضطر إلى إضاعة كثير من وقته وجهده لطم وردم الخنادق والأنهار والمواضع الضيقة "كى تصلح فيها مسالك الخيل والرجالة".

وساعدت كثافة النخيل فى المنطقة الجنوبية من العراق وخاصة منطقة شط العرب، الزنج على أن ينظموا أنفسهم فى جماعات صغيرة العدد خفيفة السلاح وتكمن بين الأشجار تتربص بقوات العباسيين الدوائر فتأخذها غيلة وعلى حين غرة، وأسلوب الزنج المتميز فى القتال أنهم كانوا يختبئون فى القنوات المغطاة بالحشائش وينقضون فجأة على

---

(1) الدورى: دراسات ص80.

(2) Naldeeke, p. 154.

(3) الطبرى: جـ9 ص655 بيروت.

(4) الطبرى: جـ9 ص589 – 590 بيروت.

مؤخرات قوات العدو. كما استعان الزنج بالكشافة والجواسيس والطلائع فى رصد حركات عدوهم وتنقلاته[1].

وبرع الزنج أيضًا فى حرب الماء، وقد ساعدتهم الطبيعة على ذلك، فكانت الرياح تهب وتعصف فى بعض الأيام فى دجلة (شط العرب) فيتعذر على العباسيين الحرب وينتهز الزنج فرصة شلل حركات عدوهم فيستولون على سفن العباسيين التى تركبها الرياح، وإذا ما ألقى ركاب السفن أنفسهم فى الماء تبعهم الزنج وفتكوا بهم قتلاً وأسرًا وإغراقًا[2].

بداية حركة الزنج:

بدأت حركة الزنج فى أواخر سنة 255هـ / سبتمبر 869م فى عهد الخليفة المهتدى بالله (255 – 256هـ / 868 – 869م) حين خرج على بن محمد من القصر الذى كان يسكن فيه، فلقى عبيدًا لرجل يدعى العطار متجهين إلى عملهم فى كسح السباخ يبلغون الخمسين فأسرهم كتفهم وكبلهم، واتجه إلى موضع آخر فأخذ منه خمسمائة غلام، وهكذا أخذ على بن محمد يتجول فى المنطقة المجاورة طول يومه يتصيد العبيد "حتى اجتمع إليه كثير من غلمان الشورجيين"[3] وكان بينهم جماعة من وجهاء الزنج الذين أصبحوا بعد ذلك قوادًا رئيسيين فى جيش الثورة منهم طريف وصبيح الأعسر وراشد المغربى وراشد القرماطي[4]، وعمل على بن محمد على كسب هؤلاء العبيد، فألقى فيهم خطبة أوضح لهم فيها أغراضه ومقاصده وبذل لهم الوعود المغرية بالحرية وتمليكهم الأموال والضياع والعبيد وزيادة فى تأكيد نواياه الحسنة دعا وكلاءهم وخاطبهم بشدة قائلاً لهم: "لقد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون هؤلاء الغلمان بتحميلهم ما لا يطيقون فكلمنى أصحابى فيكم فرأيت إطلاقكم"[5].

وحاول هؤلاء الوكلاء أن يصلحوا بينهم وبين على بالمال ليطلق سراح عبيدهم، فرفض، وأمر ببطح هؤلاء الوكلاء ودعا غلمانهم إلى ضربهم بالعصا ومن ذلك اليوم بدأ

---

(1) Naldeeka, p. 155.

(2) الطبرى: جـ9 ص479 بيروت.

(3) الطبرى: جـ9 ص414 بيروت.

(4) ابن أبى الحديد جـ8 ص313.

(5) الطبرى: جـ9 ص414 بيروت.

العداء على أشده بين الملاك وعلى بن محمد وأعلنت الحرب بلا هوادة، واستمر على يتصيد الزنج، فانضموا إليه بالمئات منساقين إلى وعوده المغرية هربًا من وضعهم السيئ. وألقى فيهم يوم عيد الفطر خطبته الثانية مؤكدًا وعوده ونواياه وترجمت خطبته إلى الذين لا يفهمون العربية منهم "لتطيب بذلك أنفسهم"[1].

وبعد أن تضخم عدد أتباع على بن محمد أخذ فى تنظيمهم، إلا أنه برزت أمامهم مشكلة السلاح إذ كان معسكره فى ذلك الوقت لا يحوى غير ثلاثة أسياف[2] وكذلك الحاجة إلى المال ليصرف منه على شئون الحرب والتموين، وكانت الوسيلة الوحيدة للحصول على المال هى الهجوم على القرى المجاورة، فهاجم على بن محمد قرية الجعفرية حيث عثر على مائتين وخمسين دينارًا وألف دهرم، فكان هذا أول ما صار إليه. كما حصل على ثلاثة براذين منحها لقواده أما هو فكان قد أهدى فرسًا وفى هذه القرية نفسها نهب الزنج كثيرًا من الأسلحة فصارت لديهم كمية كبيرة من السيوف والآلات والتراس[3].

استمر على بن محمد وأعوانه يغيرون على القرى ويقتلون وينهبون وكان أصحابه قد تضخم عددهم إلى درجة أنه زج بستة آلاف زنجى فى معركة واحدة[4].

وكان على بن محمد هادئ الأعصاب بعيد النظر، كثير التروى يحسب لكل خطوة حسابًا فكان يضع خططًا محكمة تأتى بالنتائج الطيبة واستعمل الجواسيس والكشافة لاستطلاع وارتياد المناطق المجاورة ودراسة حال أعدائه[5].

واتخذ قائد الزنج حرب الأعصاب وسيلة لبث الرعب فى قلوب أعدائه، فكان كلما انتهب قرية قتل الأسرى وحمل رؤوسهم على البغال، وقد كان مذهب الأزارقة، يدعو إلى قتل الأسرى باعتبارهم كفارًا، أما النساء والأطفال فقد احتفظ بهم كغنائم[6]. ولم يكن

---

(1) ابن أبى الحديد جـ8 ص313.

(2) أبو الفدا: البداية والنهاية جـ11 ص19.

(3) الطبرى: جـ9 ص417 بيروت.

(4) ابن أبى الحديد: جـ8 ص314.

(5) Naldeeka, p. 155.

(6) الشهرستانى: الملل والنحل جـ1 ص164.

على بن محمد يهاجم القرى عبثًا، بل كان يتحقق من كون أهلها أعداء له ثبت عداؤهم[1]. فقد رفض بإباء مهاجمة قرية القادسية لأن هذه القرية لم تتعمد إيذاءه[2].

اشتد ساعد الزنج وقوى نفوذهم بما اجتمع لديهم من مال وأسرى واستطاعوا هزيمة جيش عظيم من أربعة آلاف محارب كان يقوده رجل تركى يدعى أبا هلال وقتل من هذا الجيش ألفًا وخمسمائة[3]. ولم يمضِ غير قليل حتى هزم أصحاب السلطان للمرة الثالثة، وهكذا برهن الزنج على قوة غير عادية.

لكن نشوة النصر حملت بعض الزنج على التعجل رغم أن قائدهم ألح عليهم بالتروى فمنوا بهزيمة شنعاء فى منتصف ذى القعدة سنة 255هـ / أواخر أكتوبر 869م، ولم ينجُ على نفسه من الموت إلا بأعجوبة بفضل شجاعته[4].

ومع أن جيش المواطنين من أهل البصرة قد حمى المدينة بشجاعته، إلا أنه لم يستفد من نصره وظروفه الحسنة؛ لأنه لم يكن تحت قيادة قائد يوازى صاحب الزنج الذى سرعان ما جمع شمل أصحابه وأعاد تنظيمهم بحيث استطاعوا أن ينقضوا على مؤخرة جيش البصريين، مستفيدين من الكمائن التى اختبأوا فيها على جانبى النهر، وأسر الزنج بعض السفن، واستماتوا فى القتال حتى اشتركت نساؤهم بقذف الحجارة، أما القسم الثانى من الجيش البصرى الذى تقدم سالكًا البر فقد كانت هزيمته أشد وأنكى، فقد قتل وغرق عدد كبير منهم، وهلك كثير من أفراد العائلة الحاكمة[5]. الأمر الذى أثر على معنويات البصريين، وأوقع على بن محمد الهيبة والفزع والرهبة فى قلوب الناس "بكثرة القتل وقلة العفو"[6].

تحمس الزنج لفتح البصرة، وطلبوا من قائدهم أن ينقض عليها حالاً، إلا أنه أقنعهم

---

(1) أبو الفدا: البداية والنهاية جـ11 ص19 ويقول أن صاحب الزنج لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذى أحدًا وإنما يريد أخذ أموال السلطان.

(2) الطبرى: جـ9 ص416 بيروت.

(3) الطبرى: جـ9 ص424 بيروت.

(4) Naldeeka, p. 155.

(5) Ibid., p. 155.

(6) ابن أبى الحديد: جـ8 ص314.

بضرورة الاستجمام والراحة بعد هذه الوقائع، كما كان يدرك ببعد نظره أن ليس باستطاعته فتح هذه المدينة بسهولة، خاصة وأنه ليس له فيها أنصار[1].

بناء المختارة:

كان من الضرورى لصاحب الزنج أن يتخذ له مركزًا حصينًا، ولأتباعه السود فانسحب إلى بقعة جافة فى آخر أنهار البصرة وهى سبخة[2].

فأقام هناك وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ فيها من سعف النخيل والطين[3]، وفى السنة التالية 256هـ أبدل بها عاصمة أخرى تقع على ضفة نهر أبى الخصيب الغربية[4]، وقد جعل هذه المدينة حصينة ذات أسوار وتحيطها خنادق وقد بنى أتباعه أكواخًا من سعف النخيل والطين[5]. ويحتمل أن قصور صاحب الزنج وقواده الكبار وسجون ومحابس الأسرى والمساجد والمؤسسات العامة التى أضيفت بالتدريج كانت أنيقة نسبيًّا ويظهر أنها كانت من الحجارة وجعلها كالقلاع[6].

وقد سميت هذه المدينة بـ"المختارة" ولا ندرى سر هذه التسمية لكن الأرجح أن بانيها أطلق عليها هذه التسمية ازدهاء منه بحسن موقعها وتكتنفها أراضٍ مزروعة وبساتين النخيل والأدغال والقنوات وكانت تقع تحت البصرة بقليل ويخترقها نهر أبى الخصيب[7].

اعتنى صاحب الزنج بتموين مدينته الجديدة، وقد راعى هذه الناحية فى اختيار موقعها، فكانت الأراضى حولها حصينة منتجة، وكانت قريبة من البحر (الخليج الفارسى) والبادية ليضمن الحصول على الميرة من الجانبين ذلك أن حرب الزنج الطويلة كانت تتطلب ضمان مسألة التموين.

وكان سكان هذه العاصمة التى لم تعمر طويلاً ـ والتى لم يبقَ كدليل على بنائها سوى

(1) الدورى: دراسات ص85.
(2) السبخة الأرض الملحة، موضع بالبصرة. ياقوت: معجم البلدان جـ5 ص27.
(3) الطبرى: جـ9 ص437 بيروت.
(4) الطبرى: جـ9 ص470 – ص471 بيروت، ابن الأثير: جـ5 ص358 بيروت.
(5) Naldeeka, p. 156.
(6) الدورى: دراسات ص85.
(7) Naldeeka, p. 156.

القطعة النقدية المحفوظة فى المتحف البريطاني[1] - يستمدون حاجياتهم من جيرانهم فضلاً عن استعانتهم بمحصولات هذه المنطقة، وحين ضرب عليها الحصار أخيرًا واستطاع الموفق أن يقطع عنها سبل المواصلات، قاسى الزنج نقصًا كبيرًا فى الميرة، وكان التجار والبدو يجلبون إلى هذه المدينة الميرة ولو كانوا على مرأى من جيش العباسيين[2].

استنجاد أهل البصرة بالخلافة:

لم يلبث أهل البصرة أن استنجدوا بالخلافة بعد أن استبد بهم الفزع والخوف فأرسلت لنجدتهم القائد التركى جعلان، إلا أنه يبدو من جهل هذا القائد بطبيعة منطقة القتال[3] أن بقى ستة أشهر مخندقًا قبالة صاحب الزنج وعلى بعد فرسخ واحدة دون أن يفعل شيئًا، ولكن على بن محمد لم يقف مكتوف اليدين فضيق المسالك وبيت لأصحابه وأوقع بين جنود جعلان وقتل منهم عددًا ليس بالقليل، مما حدا بجعلان أن يتقهقر إلى البصرة يلاحقه الفشل[4].

عزل الخليفة القائد الفاشل جعلان لعجزه فى حرب الزنج بعد تنكيلهم بالجيش العباسى، ونقل الزنج عاصمتهم إلى ضفة أبى الخصيب الغربية وبلغ من جرأتهم أيضًا أن استولوا على أسطول مكون من أربعة وعشرين سفينة مرسل إلى البصرة وغنم الزنج من الأموال والسبايا ما لا حصر له[5].

احتلال الزنج الأبلة وعبادان والأهواز:

لم يلبث الزنج بعد أن اشتد ساعدهم أن هاجموا الأبلة[6] وهى الميناء التجارى العظيم

---

(1) Walker: A Rare coin, p. 653.

(2) Naldeeka, p. 156.

(3) فقد كان أكثر أصحابه من الفرسان. الطبرى: جـ9 ص470، ابن الأثير: جـ5 ص358 بيروت.

(4) الطبرى: جـ9 ص470 بيروت.

(5) وكان هذا الفوز غنيمة باردة كما قال صاحب الزنج الذى أقنع أصحابه بمهاجمة السفن مدعيًا أن صوتًا من السماء خاطبه أن: "قد أظلك فتح عظيم". الطبرى: جـ9 ص470 – 471 بيروت.

(6) تعد الأبلة ميناء البصرة الذى يربطها بالخليج الفارسى. المقدسى: أحسن التقاسيم ص117.

الذى يقع على شاطئ دجلة البصرة فى زاوية الخليج الفارسي[1] على بعد أربع ساعات من البصرة، وذلك فى 25 رجب سنة 256هـ / 29 يونية 870م، وقاتل الزنج فى معركة عنيفة قصيرة جرت فى البر والبحر دخلوا على أثرها إلى المدينة. وكان دخولها مصوبًا بمجزرة هائلة حيث قتل وأغرق من أهلها خلق كثير. وذهبت بيوت المدينة المبنية من خشب الساج[2] طعمة للنيران. وغنم صاحب الزنج كميات هائلة من السلاح والعبيد. كما استولى على حصن المدينة.

ووصلت رسالة الرعب من الأبلة إلى عبادان[3]، ففتح أهلها أبوابها مستسلمين دون قيد أو شرط فدخلها على بن محمد وحرر من كان بها من العبيد وألحقهم بجيشه واستولى على ما فيها من السلاح ووزعه على أصحابه[4].

أدى استسلام عبادان إلى طمع صاحب الزنج فى الأهواز التى انهارت بسرعة بعد مهاجمة جيبي[5]، وانسحب واليها سعيد بن تكسين بجنده؛ مما ضمن للمدينة معاملة رقيقة رحيمة، أما إبراهيم بن المدبر صاحب الخراج والضياع فقد فضل المقاومة، لكنه أُسِر وصودرت أمواله وعبيده وسقطت الأهواز[6].

وهكذا استطاع قائد الزنج فى أقل من سنة واحدة أن يحتل مدنًا كبيرة الأهمية ويستولى على مقاطعات شاسعة، وتأثرت بذلك بغداد التى اختلت مواصلاتها وألحق الزنج بتجارتها أضرارًا بالغة[7].

وفى الوقت الذى كانت الأبلة تعانى من ضربات الزنج كان الأتراك يتآمرون على مصير الخليفة المهتدى فى سامراء بعد حكم لم يبلغ السنة الواحدة.

---

(1) ياقوت: معجم البلدان جـ1 ص89.
(2) ابن الأثير: جـ7 ص94، تاريخ ابن الوردى جـ1 ص234.
(3) ابن الأثير: جـ5 ص359 بيروت. وعبادان بلدة صغيرة على جزيرة فى مصب نهر دجلة العوراء قرب البحر. ياقوت: معجم البلدان جـ6 ص104 –105.
(4) الطبرى: جـ9 ص472 بيروت.
(5) جيبى: بلدة من أعمال خوزستان، معجم البلدان: جـ2 ص41.
(6) وكان ذلك يوم الاثنين 12 رمضان 256هـ / 14 أغسطس 870م. تاريخ ابن الوردى جـ1 ص234.
(7) Naldeeka, p. 158.

لكن الأمور بدأت تتحسن حين بويع المعتمد فى منتصف رجب سنة 256هـ / يونية 870م وبالرغم من أن المعتمد لم يكن بالخليفة الذى تتطلبه هذه الظروف فإن أخاه أبا أحمد الموفق كان الحاكم الحقيقى الذى قبض على الأمور بقوة تاركًا للخليفة ألقابه ومظاهره[1]. وكان الموفق ذكيًا وماهرًا إلى حد بعيد، فقد استطاع أن يعيد للخلافة قوتها وهيبتها[2]، لكن انشغال الموفق منعه من أن ينصرف للزنج فى بادئ الأمر، إلا أنه أرسل إليهم فى رجب سنة 257هـ / يونية 871م جيشًا بقيادة غلامه سعيد بن صالح المعروف بالحاجب[3].

واستطاع الحاجب أن يكبد الزنج خسائر فادحة فى أول الأمر، وحقق انتصارات كثيرة بفضل مساعدة سكان الفرات[4]، غير أن الحاجب لم يستفد من انتصاراته كثيرًا فقد هزمه الزنج بغتة فى هجوم ليلى شر هزيمة وأحرقوا معسكره وقتلوا منه مقتله عظيمة، مما دعا المعتمد إلى استدعائه وتسليم القيادة إلى منصور بن جعفر الخياط[5].

لم يكن منصور الخياط بأحسن حالًا من الحاجب إذ تمكن الزنج من هزيمته بعد أن فشل حصاره لهم[6]، وفى الأهواز استطاع القائد الزنجى على بن أبان المهلبى أن ينتصر على قوات الخلافة؛ حيث قتل شاهين بن بسطام[7]، وسار بعد ذلك إلى البصرة بأمر من صاحب الزنج فقطع مواصلاتها بدجلة[8]، مما أدى إلى نقص المؤن والأقوات بالبصرة، ولما تأكد صاحب الزنج من ضعف أهل البصرة وإضرار الحصار بهم صمم على مهاجمة هذه المدينة فى شوال 257هـ / سبتمبر 871م.

واستطاع صاحب الزنج أن يستغل الأعراب[9]، فانضم عدد ضخم منهم إليه،

---

(1) ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية ص183، القاهرة 1923م.

(2) Noldeka, p. 158.

(3) ابن أبى الحديد: جـ8 ص315.

(4) المصدر نفسه: جـ8 ص316.

(5) ابن الأثير: جـ5 ص261 بيروت.

(6) الطبرى: جـ9 ص478 – ص479 بيروت.

(7) وهو من أكابر أعوان الخليفة. ابن أبى الحديد: جـ8 ص316.

(8) Noldeka, p. 159.

(9) ابن الأثير: جـ5 ص362 بيروت.

تدفعهم الرغبة فى نهب هذه المدينة الغنية رغم احتقار العربى للزنجى. وكانوا فرقة من الفرسان[1] وتقرر يوم الجمعة 17 شوال 257هـ. 7 سبتمبر 871م موعدًا لمهاجمة البصرة فدخلتها قواته من ثلاث جهات على رأسها القائد العام على بن أبان "فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة ليلة السبت ويوم السبت"[2] وفى يوم الاثنين أعاد الزنج الكرة فاحتلوا المدينة العتيدة وانتقموا من أهلها شر انتقام بعد أن وعدهم صاحب الزنج بالأمان، وأحرق على بن أبان المسجد الجامع وأعمل العبيد سيوفهم فى جمع أهل البصرة التى احتشدت بباب إبراهيم بن يحيى بعد منحها الأمان" فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة. وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والإحراق، وقتلوا كل من رأوا بها من أهل اليسار وأخذوا ماله، ومن كان فقيرًا قتلوه لوقته"[3] وأحدقت النار بالمدينة من كل جانب فالتهمت كل شيء مرت به "من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع"[4] ويذكر المسعودي[5] أنه قد هلك فى هذه الموقعة من أهل البصرة 300 ألف، وهذا أقل تقدير لعدد القتلى فى هذه المجزرة الرهيبة[6] واسترق الزنج النساء والأطفال، وبيعت النساء الهاشميات من علويات وعباسيات بأبخس ثمن، ونال الزنج عددًا وفيرًا من العبيد يبلغ العشرة لكل فرد. وهكذا غدا العبيد فى غمضة عين أحرارًا وتحول الأحرار إلى عبيد مما ينفى عن حركة الزنج أى صبغة تحريرية عامة.

على أن الخلافة لم تلبث أن أرسلت جيشًا بقيادة محمد المولد فى ذى القعدة سنة 257هـ / أكتوبر 870م استطاع أن يسترجع البصرة بسهولة وكذلك الأبلة[7]، ولكن يحيى بن محمد القائد الزنجى الجديد لم يلبث أن هزم المولد هزيمة نكراء واضطره إلى التقهقر إلى تخوم المدينة[8]. أما فى الأهواز فكانت الحرب فى صالح الزنج حيث

---

(1) Noldeka, p. 159.

(2) الطبرى: جـ9 ص486 بيروت.

(3) الطبرى: جـ9 ص486 بيروت، ابن الأثير: جـ5 ص362 بيروت.

(4) الطبرى: جـ9 ص486 بيروت.

(5) مروج الذهب جـ2 ص445، النجوم الزاهرة جـ3 ص48.

(6) Noldeka, p. 160.

(7) Noldeka, p. 160.

(8) الطبرى: جـ9 ص488 بيروت.

استطاع على بن أبان سنة 258هـ / 871م أن يهزم الخياط قائد العباسيين فى الأهواز وأن يرديه قتيلاً[1].

لقد شد احتلال الزنج للبصرة من أزرهم ورفع معنوياتهم، بينما كان ذلك بالنسبة للخلافة كارثة مؤلمة ذلك أن البصرة هى عين العراق وميناؤه النهرى الوحيد، ومعنى السيطرة عليه تهديد التجارة الصادرة والواردة، ولما كانت مفتاح أرض السواد، فإن خطر العبيد السود أصبح يهدد كل المناطق المجاورة.

ولم يلبث الخليفة المعتمد أن عقد لأخيه أبى أحمد الموفق طلحة يوم الاثنين 20 ربيع الأول 258هـ / فبراير 872م على ديار مضر وقنسرين والعواصم وفى أوائل ربيع الآخر وجهه هو ومفلح بعد أن خلع عليهما إلى البصرة لحرب الزنج[2]. وكان الجيش الذى قاده ضخمًا لم يُرَ أحسن منه وأكمل منه سلاحًا وعتادًا وأكثر عددًا وجمعًا[3]. مما أوقع الرعب فى قلوب الزنج وكادت عزيمتهم تنهار لولا أن رئيسهم أدرك الخطر فأرسل يستدعى على بن أبان من الأهواز، فوافاه فيمن معه من الجند، وصادف أن قتل مفلح الساعد الأيمن للموفق فاختل نظام الجيش العباسى ولحقته الهزيمة أواخر إبريل سنة 872م / جمادى الأولى 258هـ فانسحب أبو أحمد إلى الأبلة ليعيد تنظيم جيشه[4].

لم يلبث الفريقان أن التحما عند نهر أبى الخصيب، ورغم أن الموفق أصاب تقدمًا ونجاحًا فى بعض الأحيان إلا أن الفشل كان من نصيبه فى النهاية، ذلك أن الزنج جمعوا كل قواتهم وبيتوا الكمائن لتصيد أصحاب الموفق، ولم يشعر هذا إلا وقد أصبح مخيمه طعمة للنيران، ووجد الأمير العباسى نفسه مصطرًّا إلى التراجع إلى واسط حيث تفرق عنه عامة من كان معه من أصحابه[5]. على أى حال فإن تكن هذه الحملة قد فشلت فقد كسب الموفق شيئًا هامًّا إذ عرف عدوه جيدًا ووقف على دخائله.

---

(1) الطبرى: جـ9 ص491 بيروت.
(2) الطبرى: جـ9 ص490 بيروت.
(3) الطبرى: جـ9 ص492 بيروت.
(4) الطبرى: جـ9 ص494 – ص495 بيروت.
(5) ابن الأثير: جـ5 ص366 بيروت. رجع الموفق إلى سامراء يوم الجمعة 26 ربيع الأول 259هـ / يناير 873م تاركًا المولد خلفًا له على واسط.

أخذ الزنج بعد أن تخلصوا من الجيش العباسى يعيثون فى المناطق المجاورة وأرسل على بن محمد قوات هائلة إلى الأهواز بقيادة على بن أبان ثم دخل على بن أبان الأهواز فى 6 رجب 259هـ / بداية مايو 873م[1]. ولم تلبث الخلافة أن أرسلت هذه المرة شخصية قوية هى موسى بن بغا التركي[2] فخرج من سامراء فى 17 ذى القعدة سنة 259هـ / سبتمبر 873م يساعده عبد الرحمن بن مفلح الذى ذهب إلى الأهواز، واستحق ابن كنداج الذى قاد جبهة البصرة وإبراهيم بن سيما الذى وافى بازاورد[3]. ودارت عدة معارك أظهر فيها قواد الخلافة شجاعة كانت وقتية واستطاع الزنج التحصن بالآجام ومناطق القصب والحلفاء وحاولت هذه الجيوش الضغط على الزنج من عدة جهات، كما حاولت قطع التموين عنهم لكنها لم تحصل على نتيجة نهائية مطمئنة[4]. واستمرت الحرب سجالاً بضعة عشر شهرًا اتخذ موسى خلالها واسط مركزًا له حتى صرف عن حرب الزنج وتولاها مسرور البلخي[5].

علاقة الزنج بالصفاريين:

يرجع ظهور يعقوب بن الليث الصفار على مسرح الأحداث إلى خلافة المتوكل سنة 237هـ / 851 – 852م، وكان يعقوب فى أول أمره أحد قادة صالح بن النضر الكنانى الذى اشتهر بالتطوع فى قتال الخوارج، وقد تغلب على سجستان سنة 237هـ وكان يعقوب من المخلصين فى خدمته حتى جعله صالح فى مقام النائب عنه، وقد استعاد طاهر بن عبد الله أمير خراسان سجستان من صالح بن النضر وأعادها لطاعته[6].

وسرعان ما تغلب على هذه المدينة درهم بن الحسين زعيم المطوعة الذى ظهر عجزه،

---

(1) الطبرى: جـ9 ص503 بيروت، ابن الأثير: جـ5 ص367 بيروت.

(2) كان بغا من قواد المعتصم وأتاحت له شجاعته ومقدرته أن يتزوج من بيت الخلافة. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ3 ص40.

(3) الطبرى: جـ9 ص504 بيروت.

(4) Noldeka, p.161.

(5) الطبرى: جـ9 ص506، ابن الأثير: جـ5 ص368 بيروت.

(6) ابن الأثير: جـ5 ص91، ص337، ص338 بيروت، النويرى: نهاية الأرب جـ23 ورقة 193 مخطوط بدار الكتب رقم 551 معارف عامة.

فولى جنده قائده يعقوب بن الليث، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا فيه من السياسة وحسن التدبير فتولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج والشراة وهزمهم هزيمة منكرة ولم يلبث أن اشتدت شوكته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها[1]. واستولى على كرمان[2] وشيراز.

وفى سنة 259هـ / 872 – 873م استولى يعقوب على نيسابور فى عهد الخليفة المعتمد وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته وأسقط دولة الطاهريين[3]، وفى سنة 260هـ / 873 – 874م دخل طبرستان وفى سنة 261هـ / 874 – 875م بدأت أطماعه تظهر جليًّا مما أدى إلى معادلة الخليفة له ولعنه إياه فى الأمصار[4].

على أن ذلك لم يحل بين يعقوب بن الليث وبين تحقيق مأربه فأرغم الخليفة على أن يعترف له بولاية خراسان وفارس وطبرستان وجرجان والرى وأذربيجان وقزوين وفى سنة 262هـ / 874 – 876م دخل رامهرمز[5] وطمع أن "يصير إلى باب السلطان"[6] ونجح فعلاً فى تهديد الخلافة وتعدى واسط ووصل إلى دير العاقول[7]، حتى اضطر الخليفة إلى الخروج بنفسه لصده وقد استنكر جند الصفار حرب الخليفة فتقاعسوا؛ مما أدى إلى هزيمة قائدهم سنة 262هـ / 875 – 876م[8].

وهكذا نرى أن الظروف خدمت صاحب الزنج إلى أبعد الحدود فقد كان الصفار هو الخطر المباشر على الدولة، لذلك وجهت الخلافة كل همها للقضاء عليه. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد يئس ابن بغا من حرب الزنج وتضايق من الوضع الراهن،

---

(1) ابن الأثير: جـ5 ص291 بيروت، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ2 ص312، النويرى: نهاية الأرب (مخطوط) جـ23 ورقة 193.

(2) ابن الأثير: جـ5 ص340 حوادث سنة 255هـ.

(3) ابن الأثير: جـ5 ص368 –369 بيروت.

(4) الطبرى: جـ9 ص512 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص7 بيروت.

(5) رامهرمز: مدينة مشهورة فى خوزستان. ياقوت معجم البلدان جـ4 ص122.

(6) الطبرى: جـ9 ص516 بيروت.

(7) بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخًا على شاطئ دجلة. معجم البلدان جـ4 ص154.

(8) ابن الأثير: جـ6 ص7 – 8 بيروت.

فاستقال من حرب الزنج ومن ولاية المشرق أيضًا سنة 261هـ / 875م فانتقلت الولاية والقيادة لأبى أحمد الموفق[1].

ركز الموفق همه كله لحرب الصفار، فاستغل الزنج انسحاب قوات الخليفة من دجلة الأدنى ومدوا نفوذهم إلى الشمال؛ حيث عاونتهم القبائل العربية فى البطائح جنوب واسط[2]، وأعاد الزنج هجومهم على الأهواز فدخلوها للمرة الثالثة وأفرطوا فى القتل والنهب والسلب حتى قيل إن عدد القتلى بلغ خمسين ألفًا[3].

عاد يعقوب بن الليث منهزمًا إلى خوزستان، ونزل جنديسابور، وأراد صاحب الزنج أن ينتهز ذلك الموقف ويعقد محالفة مع يعقوب ضد الخلافة وأرسل له لكى يحثه على الرجوع إلى بغداد ويعده بالمساعدة، غير أن يعقوب رفض ذلك العرض وقال لكاتبه اكتب إليه: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون). وبعث بالكتاب إليه[4]. ويتبين لنا إسلام يعقوب بن الليث على المذهب السنى حينما رفض التحالف مع صاحب الزنج.

على أن موت يعقوب فى شوال سنة 265 هـ / [5] يونية 879م قلب الأمور رأسًا على عقب، فإن خلفه وأخاه عمرًا كان أقل صلابة منه فاستطاع الموفق إقناعه بعقد الصلح ومنحه كثيرًا من الامتيازات ليتفرغ تمام التفرغ لحملته الكبرى على الزنج، وبذلك ضمن الموفق تأييد الصفاريين، ومن ثم بدأت كفة الدولة العباسية ترجع فى حروبها مع الزنج.

ويتبادر إلى الذهن سؤال. ترى لو قدر للصفاريين أن يتحدوا مع الزنج فأى مصير كان ينتظر العباسيين على أيديهم؟ إن الإجابة على ذلك صعب للغاية. فإن المتتبع لحركة الصفار التوسعية من ناحية، وقوة الزنج من ناحية أخرى يستطيع أن يزعم بأن الدولة العباسية كانت ستواجه منعطفًا خطيرًا باتحاد عدويها خاصة وأن كلا الحركتين كانتا تهدفان إلى تغيير النظام القائم وتعتمد على تأييد طبقات العامة، لكن هذا الاتحاد لم يتم، واستطاع

---

(1) Noldeka, p. 162.
(2) Noldeka, p. 162.
(3) Noldeka, p. 162.

(4) ابن الأثير: جـ6 ص8 بيروت.
(5) ابن الأثير: جـ6 ص21 بيروت ويذكر المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص445، وما بعدها أن وفاته فى ذى القعدة سنة 265هـ.

الموفق أن يعالج كلًّا من عدويه على حدة، فلما فرغ من الصفاريين ركز جهوده للقضاء على الزنج.

الموفق وابن طولون:

تؤخذ على الموفق غلطة من صنع يديه كان لها أبعد الأثر فى استفحال خطر الزنج، تلك هى عداؤه مع أحمد بن طولون[1] والى مصر. فلو أن الموفق استمال ابن طولون الذى لبى نداءه أول الأمر بما يعينه على حرب الزنج، إذن لاستطاع أن يوجه كل جهوده لمحاربة هؤلاء الثائرين والقضاء عليهم قبل أن يضطرب المشرق ويتقاعس ولاته عن الانصياع للسلطان ودفع ما عليهم من الخراج[2].

كانت المهمة التى أُنِيطت بالموفق مهمة شاقة صعبة، فقد نفدت موارد الشرق من جراء حروب الزنج، وتثاقل الناس عن حملة الخراج حين علموا بخروجهم فى حين كان الخليفة منهمكًا فى لهوه وصيده وجواريه بحيث ضاعت هيبة الخلافة واستبد العمال بالولايات.

اضطر الموفق إلى الالتجاء إلى ابن طولون فشكا إليه حاجته إلى المال خاصة وقد تأخرت أموال مصر، إذ حملت إلى المعتمد نفسه[3]، فأنفذ تحرير خادم المتوكل إلى أحمد بن طولون يأمره بحمل الأمور والطراز والرقيق والخيل والشمع وفى نفس الوقت كتب المعتمد سرًّا يقول لابن طولون "إن الذى حرك إخراج نحرير إليك أبو أحمد، وقد أنفذ نحريرًا عينًا عليك ومعه كتب إلى سائر قوادك بالتضريب عليك[4].

على أن ابن طولون بعث مع رسول الموفق مبلغًا كبيرًا من المال وشيعه بنفسه إلى العريش، ولعله كان يدرك أن الخليفة السليب السلطة سيبدد هذه الأموال على لهوه

---

(1) كانت ديار مصر قد أقطعها باكباك من قواد الأتراك، وكان مقيمًا بحاضرة الخلافة فاستخلف بها من ينوب عنه، وكان طولون والد أحمد بن طولون أيضًا من الأتراك ومن أنسبائه فالتمس باكباك من يستخلفه بمصر فأشير عليه بأحمد ابن طولون فولاه المعتز بالله سنة 254هـ. محمد كرد على: خطط الشام جـ1 ص172 – 173 بيروت 1389 هـ / 1919م.

(2) ابن الداية: سيرة أحمد بن طولون ص19 برلين 1894م.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) ابن الداية: ص19.

وعبثه، كما كان يعلم حق العلم أن الحاكم الحقيقى للخلافة إنما هو الموفق وليس المعتمد، وكأن الموفق لم يكتفِ بما أرسله ابن طولون فكتب إليه كتابًا جافًّا شديد اللهجة يطلب منه المزيد، وحاول أن يصرف ابن طولون عن ولايته فلم يفلح، وهكذا أصبحت الخصومة لا مناص منها بين هذين الرجلين. وزاد العداوة اشتعالا ذلك الكتاب العنيف الذى رد بن ابن طولون يقول فيه: إن فى ولايته مائة ألف جندى قد يستعين بهم فى حرب الموفق إن أعوزه الأمر ويستطرد قائلاً: أنه يستكثر من العدد والعمال لصيانة الدولة والدفاع عنها[1]، فأثار هذا الكتاب حفيظة الموفق وأوعز أبو أحمد إلى موسى بن بغا بعزل ابن طولون عن مصر وتقليدها ماجور التركى والى دمشق[2]، وحين رفض هذا الأخير أن يقاوم ابن طولون سار ابن بغا بنفسه إلى الرقة لقتاله[3]، واتخذ ابن طولون للأمر عدته فبنى حصنًا منيعًا فى الجزيرة وصنع أسطولاً بحريًّا ضخمًا[4]. وأقام ابن بغا بالرقة عشرة أشهر يستعد للقتال، لكن الظروف ساءت فعاد إلى العراق حيث توفى معتلًّا فى صفر سنة 263 هـ / سبتمبر أكتوبر 879م.

لقد ازداد نفوذ ابن طولون وتوسعت سلطته حين استتب له الأمر فى الثغور الشامية، بعدما عزله الموفق عنها، وحدث أن توفى والى الشام فاستولى ابن طولون على الرملة ودمشق وحمص ما بين سنتى 264 – 265هـ ودخل أنطاكية سنة 265 هـ 878 – 879م. ثم استولى على طرسوس[5]، ثم حدثت اضطرابات فى مصر[6]، كما حدث مثلها فى الشام فسار إلى دمشق حيث ورد كتاب المعتمد بالالتجاء إليه[7].

---

(1) ابن الداية: جـ21 راجع نص الكتاب من ص 21 - 24.
(2) المقريزى: الخطط جـ1 ص 319 بولاق 1270هـ.
(3) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام. معدودة فى بلاد الجزيرة؛ لأنها من جانب الفرات الشرقى، معجم البلدان: جـ4 ص272.
(4) المقريزى: خطط جـ1 ص319.
(5) الطبرى: جـ9 ص 543، المقريزى: خطط جـ1 ص 320.
(6) يذكر الطبرى: جـ9 ص545 أن العباس بن أحمد بن طولون انتهز فرصة خروج أبيه إلى الشام بعد أن استخلفه على مصر، وحمل ما فى بيت مال مصر من الأموال والأثاث وغير ذلك ثم مضى إلى برقة ومنها إلى طرابلس حيث اصطدموا بقوات إبراهيم الثانى بن أحمد الأغلبى التى هزمتهم أقبح هزيمة وكاد العباس أن يؤسر فعاد إلى برقة حيث أرسل إليه والده قوة تمكنت من القبض عليه وحملوه إلى ابن طولون حيث أمر بضربه وحبسه وقطع أيدى وأرجل أصحابه، ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار المغرب جـ1 ص 111 – 113، ابن الأثير: جـ6 ص21 بيروت.
(7) الطبرى: جـ9 ص 545 بيروت، المقريزى: خطط جـ1 ص320.

إن قصة التجاء الخليفة إلى ابن طولون تدلنا على مقدار ما كان يلاقيه المعتمد من العنت والاضطهاد على يد أخيه الموفق، لذلك انتهز فرصة انشغال الموفق بحرب الزنج فخرج من سامراء متظاهرًا بالصيد فى جمادى الأولى سنة 269 هـ / نوفمبر – ديسمبر 822 وأقام يتصيد بالكحيل وأرسل ابن طولون من ينتظره بالرقة إلا أن الموفق أرسل من يحبط مؤامرة الخليفة. فلم يكد الهارب السيئ الطالع يضع قدميه فى عمل إسحق بن كنداج عامل الموصل والجزيرة حتى حمل إلى سامراء محجورًا عليه[1].

استغل ابن طولون حجر الموفق على الخليفة فأثار حفيظة الناس ضده ووفق إلى عقد اجتماع حضرة القضاة والفقهاء خلع فيه الموفق عن ولاية العهد ودعا الناس إلى حربه لحجره على الخليفة، واستمر العداء بين الطولونيين والموفق، حتى تم الصلح فى عهد خمارويه حيث تضمن كتاب الصلح تولية خمارويه وأولاده من بعده على مصر والشام ثلاثين سنة[2].

نهاية حركة الزنج:

نستطيع أن نعتبر سنة 265هـ / 879م بداية قوة العباسيين وأفول نجم الزنج كقوة عظيمة هددت المناطع الشرقية من أملاك الدولة العباسية طول العشر سنوات التالية.

فإن انتهاء أمر الصفاريين ترك للموفق مجالاً لتركيز قواه وضرب الزنج ضربة قاصمة بعد أن دخلوا واسط والنعمانية وأصبحوا على بعد سبعين ميلاً جنوب بغداد، وأخذ الموفق بعد سنة 265هـ يحشد جهوده وكل موارده لإنهاء هذه "الثورة السوداء" مستفيدًا من الدروس التى تعلمها من طوال الفترة الماضية[3].

وكل الموفق أوكل أمر طرد الزنج إلى ابنه أبى العباس أول الأمر فى ربيع الآخر سنة 266هـ / نوفمبر – ديسمبر 879م، واستعرض أبو أحمد جيش ابنه وهو فى منتهى الرضا وكان هذا الجيش من عشرة آلاف من الفرسان والرجالة "فى أحسن زى وأجمل هيئة

---

(1) الطبرى: جـ9 ص 620 – 621 بيروت، المقريزى: خطط جـ1 ص320 - 321.

(2) محمد كرد على: خطط الشام جـ1 ص177 – 178 بيروت 1969م.

(3) Noldeka, p. 164.

وأكمل عدة"[1]. وكان يرافق هذا الجيش أسطول مكون من الشذاءات والسميريات والمعابر كلها متقنة الصنع[2]، وتحرك أبو العباس نحو جرجرايا بعد أن عبأ جيشه تعبئة دقيقة ثم استقر فى فم الصلح[3] قريبًا من العدو.

كان أبو العباس شابًّا فى الثالثة والعشرين من عمره لذلك استصغر الزنج شأنه[4] وقرروا مجابهته بكل قواتهم دفعة واحدة لإخافته، إلا أن أبا العباس حقق الثقة التى وضعت فيه واستطاع أن يرغم قائد الزنج سليمان بن جامع على الانسحاب والتقهقر فى أول اصطدام له معه وصلى الجمعة فى واسط[5].

أخذ أبو العباس يعد نفسه وقواته لملاقاة الزنج ثانية رافضًا مشورة قواده بالإقامة فى واسط، أما الزنج فأخذوا يعدون أنفسهم بدورهم، فحشد سليمان بن جامع أصحابه وقسمهم ثلاث فرق، سلكت كل واحدة منها طريقًا لكن هذا التنظيم انهار أمام عزيمة أبى العباس حيث انتصرت قوات أبو العباس فى اللقاء الثانى مع الزنج وعادت إلى معسكره محملة بالغنائم[6].

أظهر أبو العباس فى حرب الزنج حنكة وجرأة نادرتين، فقد كان يستطع المواضع والمسالك بنفسه، كما أنه اتبع سياسة ناجحة فى اجتذاب الزنج حين أخذ يضم قوادهم الذين يهزمهم إلى جيشه[7]، كما طهر كثيرًا من المواضع والقرى واستنقذ كثيرًا من الأسرى

---

(1) الطبرى: جـ9 ص557 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص26 بيروت.

(2) Noldeke, p. 165.

(3) فم الصلح: نهر كبير فوق واسط، معجم البلدان جـ6 ص399.

(4) ابن الأثير: جـ6 ص27 بيروت.

(5) بعد أن استأمن إليه خلق كثير. ابن أبى الحديد: جـ8 ص344. يذكر نولدكه أن قوات الزنج المحاربة لأبى العباس كانت زهاء العشرين ألفًا.

(6) Noldeka, p. 165.

(7) الطبرى: جـ9 ص558 – 561 بيروت.

Noldeka, p. 165.

تحرج موقف صاحب الزنج من هجرة قواده وأعوانه، وتميز أبو العباس بشجاعة تدعو إلى الإعجاب ففى أحد المعارك وجد أن عشرين سهمًا قد تعلقت بثيابه.

والسبايا من النساء اللاتى كن فى أيدى الزنج وردهن إلى أهلهن[1] كما جمع كثيرًا من الأموال والغنائم واستحوذ على عدد هائل من الأسرى وتضخم أسطوله بما انضاف إليه من سفن العدو[2]. وجملة القول أن أبا العباس انتصر فى جميع الوقائع التى اشتبك فيها مع العدو[3]. فكانت بداية طيبة تبشر بالنصر النهائى.

لم يلبث الموفق أن ساند ابنه أبا العباس فى حربه ضد الزنج فى صفر سنة 267هـ / أكتوبر 880م وحضر بنفسه، خاصة حين اتصل بعلمه أن صاحب الزنج قد أمر بتركيز كل قواتهم ومواجهة أبى العباس بكل عنف، وأخذ الموفق منذ أن حضر إلى ميدان القتال ومعه جيش عظيم وأسطول ضخم[4] يعد الخطط الدقيقة لحرب الزنج، وأثمر ذلك الاتحاد عن احتلال الموفق مدينة (المنيعة) التى بناها الزنج على مقربة من واسط فى أوائل ربيع الأول سنة 367هـ / أكتوبر 880م كما حرر خمسة آلاف من الأسرى نساء وأطفالاً[5].

ولم يلبث الموفق أن أباح مدينة الزنج المحتلة لناس فنهبوها، وهدم سورها وطُمت خنادقها وأحرق ما كان بقى فيها من السفن[6]، ثم تقدم الموفق بعد ذلك إلى طهيثا حيث تقع "المنصورة" وهى الحصن الثانى للزنج فى ربيع الآخر سنة 267هـ / نوفمبر 880م حيث نشبت المعركة مع الزنج وفيها قتل الجبائى، وكان أعظم أصحاب قائد الزنج وأكثرهم طاقة له[7] ثم تقدم الموفق حتى سور المدينة، وكان سليمان بن جامع قد حفر أمام مدينة المنصورة خمسة خنادق وجعل أمام كل خندق سورًا، لكن هذا التحصين لم يقف فى وجه الموفق وأصحابه ولم يلبث أن اقتحم المدينة[8]. واستنقذ عددًا هائلاً من النساء

---

(1) ابن الأثير: جـ6 ص27 – 28 بيروت.
(2) الطبرى: جـ9 562 ص566 بيروت.
(3) النجوم الزاهرة جـ3 ص42.
(4) الطبرى: جـ9 ص566 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص28 وما بعدها.
(5) ابن أبى الحديد: جـ8 ص345.
(6) ابن الأثير: جـ8 ص28 – 29 تأثر صاحب الزنج بهذه الهزيمة وتألم أشد الألم حتى إنه يقول وهو يصف الكتاب الذى نقل إليه الخبر أنه "ورد بقاصمة الظهر" الطبرى: جـ9 569 بيروت.
(7) الطبرى: جـ9 ص572. وما بعدها، ابن الأثير: جـ6 ص26 – 30 بيروت.
(8) ابن كثير: البداية والنهاية جـ11 ص40.

والصبيان[1]، بعد أن فر سليمان بن جامع قائد الزنج، وأقام الموفق بطهيثا سبعة عشر يومًا وأمر بهدم سور المدينة وطم خنادقها وردم أنهارها[2]، كما أخذ يطارد الهاربين من الزنوج حتى إذا ما وقع أحدهم فى يده عفا عنه، وضمه إلى جيشه[3].

ترك الموفق حملته فى واسط تحت إمرة ابنه هارون، وسار باتجاه الأهواز يوم الجمعة الأول من جمادى الآخرة سنة 267هـ / 6 يناير 881م ليطهرها وينقذ سكانها من شرور المهلبى قائد الزنج هناك، أما ابنه الآخر أبو العباس فقد سبقه إلى الأهواز.

اضطرب صاحب الزنج حين بلغته أنباء الهزائم التى منى بها أعوانه كما أصابه هلع شديد من قدوم الموفق، فكتب إلى المهلبى – وكان فى الأهواز مع ثلاثين ألفًا – يأمره بترك كل ما معه من المؤن والأثاث وأن يوافيه فى الحال، ولما كان صاحب الزنج ينوى تركيز كل قواته فى مكان واحد، فقد أمر بهبوذ بن عبد الوهاب بترك أعماله والتوجه إليه، وكان يلى الغندم[4]. والباسبان[5] فوقع كل ما فى هذه المناطق من الحبوب والتمر والمواشى فى يد الموفق فكان ذلك قوة له على الزنج وضعفًا لهؤلاء[6] إذ إنهم بدأوا يقاسون قلة الغذاء وصعوبة التموين. ومن هنا نجد أن الحرب الاقتصادية والسيطرة على المؤن ومواردها أصبحت وسيلة من الوسائل الفعالة التى استخدمها الموفق فى حرب الزنج، واستطاع فى الوقت نفسه فتح السدود والثغور التى أنشأها الزنج فى دجلة والأنهار الأخرى لعرقلة سير السفن، ثم دخل إلى جند يسابور ومنها إلى تستر حيث أعاد الأمور إلى نصابها فى هذه النواحى، كما اتصل بمحمد بن عبيد الله الثائر الكردى، وعقد معه صلحًا فأمن جانبه، وهكذا أخذت مدن الأهواز تنهار سريعًا أمام هجمات الموفق فاستولى على المنطقة كلها وكشف الزنج عنها[7].

---

(1) قدره الطبرى جـ9 ص573 بعشرة آلاف وابن الجوزى: المنتظم جـ5 ص58 بخمسة عشر ألفًا.
(2) البداية والنهاية جـ11 ص41.
(3) الطبرى: جـ9 ص574 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص30 بيروت.
(4) الغندم: موضع بالأهواز معجم البلدان: جـ6 ص401.
(5) الباسبان: قرية بخوزستان. معجم البلدان: جـ2 ص36.
(6) الطبرى: جـ9 ص576 بيروت.
(7) تاريخ ابن الوردى جـ1 ص239.

بناء الموفقية:

اهتم أبو أحمد الموفق بقضية التموين اهتمامًا كبيرًا، فكتب إلى عمال النواحى يطلب الميرة، فلم تلبث القوافل أن وفت بها مما رفع معنوية الجنود وحسنت أحوالهم. وكتب كثير من الزنج إلى أبى أحمد يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك ووافاه ألف رجل من العدو فأحسن إليهم وضمهم إلى قواده وأجرى لهم الأرزاق، وكان لذلك أثره فى إضعاف قوة الزنج وتقوية الجيش العباسى، ثم كتب أبو أحمد إلى ولديه أبى العباس وهارون بالانحدار إلى نهر المبارك فى فرات البصرة لتجتمع كل قواته فى مكان واحد والتقى الجميع هناك فى 15 رجب سنة 267هـ / 18 فبراير 881[(1)].

أصبح نفوذ الزنج محدودًا على مدينة المختارة، وقبل أن يشن الموفق هجومه الكبير كتب إلى صاحب الزنج يدعوه إلى التوبة عما ارتكبه فى حق الإسلام والمسلمين ويعلمه أن التوبة له مبسوطة والأمان له موجود فإن هو نزع عما عليه من الأمور التى يسخطها الله ودخل فى جماعة المسلمين محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه وكان له به الحظ الجزيل فى دنياه[(2)]. لكن صاحب الزنج ازداد نفورًا وإصرارًا رغم موقفه السيئ[(3)]، لكن بعض قواده كانوا أقل شجاعة منه، فقد انضم بعضهم إلى الموفق الذى رحب بهم أجمل ترحيب، وكان من أثر إنعامه على المنضمين إليه بسخاء أن أغرى هؤلاء أصحابهم على هجران جيش الزنج، ما دام لم يعد لهم مطمع فى الفوز أو الكسب من وراء هذه الثورة التى بدأت فى طريقها إلى الفشل ووجد صاحب الزنج أن خيرة قواده قد خانوه فغدا قليل الثقة بالآخرين[(4)].

كانت المختارة التى يشمل حصارها كل الفترة المتبقية من الحرب مدينة منيعة محاطة بالحصون والخنادق وتحميها الجداول والسدود فضلاً عما كان على سورها من المجانيق

---

(1) الطبرى: جـ9 ص576 – 577 بيروت.
(2) الطبرى: جـ8 ص580 – 581، ابن الجوزى: المنتظم: جـ5 ص59، ابن الأثير: جـ6 ص31 بيروت.
(3) ولعله كان يتوقع فى كل لحظة قيام عصيان فى بغداد أو سامراءء أو ظهور ثائر خطر فى بعض المقاطعات فينفك حصار الموفق عنه.

Noldeka, p. 166.
(4) Noldeka, p. 167 .

والعرادات وآلات الحصار المختلفة[1]. وأشرف أبو أحمد على هذه المدينة فهاله ما رأى من مناعتها، كما راعه كثرة عدد الزنج الذين لم يكتفوا بتحصينات مدينتهم، بل استمروا فى إنشاء وسائل دفاع جديدة طيلة الحصار. وكان جيش الزنج يتكون من ثلاثمائة ألف محارب على حين كان جيش العباسيين حوالى الخمسين ألفًا[2]، إلا أن جيش الموفق كان يتميز بالتجهيز التام والتغذية الجيدة فضلاً عما كان ينضاف إلى هذا الجيش من قوات الزنج المستسلمة، ما يأتيه من إمدادات[3].

لم يكن الموفق ينوى الاستيلاء على (المختارة) بهجوم مفاجئ نظرًا لحصانة هذه المدينة، ولما كانت هذه المدينة مفصولة عنه بنهر فقد قرر أن يتخذ معسكرًا ومقرًّا وفى أواخر رجب سنة 267هـ / 881م اختار أبو أحمد مكانًا على جانب دجلة الشرقية، فرحل إليه الناس وأصلحت الطرق وأنشئت القناطر[4] وبقى أبو أحمد فى هذا المكان يعد العدة حتى منتصف شعبان سنة 267هـ[5].

وفى منتصف شعبان سنة 267هـ / إبريل 881م انتقل الموفق إلى معسكر جديد بإزاء مدينة الزنج على جانب دجلة وبنى هناك مدينة سماها الموفقية[6]، وهدف الموفق من بناء هذه المدينة أن يكون قريبًا من المختارة أولاً وقطع الإمدادات والمؤن عن الزنج ثانيًا. ولم تلبث هذه المدينة أن ازدهرت بسرعة وبنى فيها الموفق مسجدًا جامعًا[7]. واتخذ دورًا للضرب فأصدر الدنانير والدراهم للمعاملات التجارية[8].

وهكذا أدت هذه الثورة السوداء المدمرة فى جملة ما أدت إلى قيام مدينتين عظيمتين اتسع فيهما العمران وكثر البناء وراجت التجارة، فقد رأينا كيف أنشأ على بن محمد مدينة المختارة وأحاطها بالخنادق والأسوار وحكم منها حيث أرسل الولاة والعمال والقضاة إلى

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية جـ11 ص41 مكتبة المعارف – بيروت الطبعة الثانية 1977م.
(2) المصدر نفسه: جـ11 ص41.
(3) Noldeka, p. 168.
(4) ابن الأثير: جـ6 ص31 بيروت.
(5) الطبرى: جـ9 ص584 بيروت.
(6) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان (مخطوط) جـ6 ص9 ورقة 201 دار الكتب رقم 551.
(7) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان (مخطوط) جـ6 ص9 ورقة 201 دار الكتب رقم 551.
(8) الطبرى: جـ9 ص586 بيروت.

المناطق الخاضعة له كما أصدر فيها نقودًا بدولته ما زالت منها قطعتان ذهبيتان فيهما أكبر القيمة فى التدليل على قيام هذه المدينة[1].

أدرك الموفق بثاقب بصره أن الوسيلة الفعالة لإيذاء الزنج وشل حركتهم هى الحصار الاقتصادى، ففى الوقت الذى أمن تموين جيشه فرض على الزنج حصارًا اقتصاديًّا شديدًا ونجح فى قطع سبل الاتصال بينهم وبين الخارج، وساعد وصول أسطول جديد من الساحل الفارسى على كثرة واردات الجيش العباسى، وفقد الزنج سبل تموينهم حتى غدوا يحصلون على قوتهم بأشق المجهودات[2]؛ ومن ثم أخذوا يشعرون بقلة الطعام كما انقطع ورود الخبز إليهم، فكثر انضمامهم إلى جيوش العباسيين، وهو ما كان يعمل الموفق على تحقيقه. وفى السنة التالية (268هـ) شدد الموفق الحصار الاقتصادى ومنع وصول الميرة والتموين إليهم "حتى استأمن إليه خلق كثير"[3].

كذلك هاجم رشيق أبو العباس جماعة الأعراب من بنى تميم[4]. الذين كانوا يحملون إلى المختارة الطعام والإبل والغنم عن طريق الأنهار، واستولى رشيق على ما كانوا يحملون من المؤن، وبذلك انسدت على صاحب الزنج كل المسالك[5]. وكان من نتيجة هذا الحصار أن سرى الضعف بين صفوف الزنج وأضر بهم الجوع[6] فتفرقوا فى القرى والأنهار يبحثون عن القوت من السمك والتمر فأخذ أبو أحمد يتصيدهم أسرًا وقتلاً حتى

---

(1) توجد إحدى هاتين القطعتين فى المتحف البريطانى والأخرى فى باريس والقطعة الأولى أقدم من الثانية بثلاث سنين مما يدل على أن الحياة العامة فى دولة الزنج استغرقت بضع سنين، كما نستدل منها على أن الزنج استعملوا النقود فى التبادل التجارى.

(2) الطبرى: جـ9 ص594 – 595 بيروت.

كان سمك البطيحة يأتى لمعسكر صاحب الزنج بوفرة، وكان الأعراب يحملون الميرة إليه فأنشأ الموفق سوقًا أيضًا فى البصرة للأعراب حمل إليه التمر الذى كانوا يتصلون بالزنج للحصول عليه بمبادلة ما لديهم من البضائع، كما منع جلب السمك من الزنج منعًا باتًّا، الطبرى: جـ9 ص604 – 605 بيروت.

(3) المصدر نفسه ص602 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص37 بيروت.

(4) وهم الذين ساعدوا الزنج فى دخول البصرة. الطبرى: جـ9 ص607.

(5) نكل الموفق بهؤلاء الأعراب وقتل بعضهم لكى يتحاشى الباقون مساعدة الزنج فى جلب الغذاء. الطبرى: جـ9 ص607 بيروت.

(6) يروى ابن الجوزى: المنتظم جـ5 ص63 أنهم أكلوا لحوم الناس ونبشوا القبور فأكلوا لحوم الموتى.

تضعضعت صفوف صاحب الزنج وانفض من حوله كثير من أعوانه، بل إن ابنه فكر فى هجره والالتحاق بأبى أحمد فلم يجد أبوه بدًّا من قتله[1].

سقوط المختارة:

استمر حصار المختارة من سنة 267 – 270هـ / 880 – 884م أى حتى نهاية حركة الزنج. ففى ربيع الآخر سنة 268هـ / نوفمبر 881م عبر أبو أحمد الموفق إلى المختارة ومعه ابنه أبو العباس وخيرة قواده وضم إلى كل منهم المهندسين والعمال فأمرهم أن يعملوا على هدم سور المدينة دون أن يدخلوها، فتمكنوا من هدم أجزاء كثيرة من السور فعلاً، ودخلوا المدينة مخالفين بذلك أوامر قائدهم الأعلى، فكانت النتيجة وبالاً عليهم، إذ تشعبت بهم المسالك وارتبكوا واستطاع الزنج هزيمتهم وملاحقتهم حتى النهر ومنى جيش الموفق بخسائر فادحة نتيجة عصيانهم الأوامر[2].

حاول الموفق أن ينقل معسكره إلى الجانب الغربى من دجلة، إلا أن صاحب الزنج حال بينه وبين تنفيذ ذلك، فاكتفى الموفق بمحاولة هدم السور[3]، واقتصر الأمر فى هذه المرحلة على غارات خاطفة لإحداث أكبر قدر ممكن من الخسائر فى الجانب الزنجى ولإلقاء الرعب بين صفوفهم، وتمكن الموفق من هدم المسجد الجامع فى مدينة الزنج وحمل منبره إلى الموفقية[4]. واستمر الموفق يهاجم السور ويهدمه حتى انهارت دواوين الزنج وانتهبت خزائنهم[5].

وفى الوقت الذى أشرف فيه العباسيون على الانتصار خدمت الظروف الزنج فقد أصيب الموفق بسهم فى صدره أطلقه عليه عبد رومى اسمه قرطاس[6]، أعاقه عن القيادة فانسحب إلى الموفقية، ووقفت العمليات الحربية فترة أتاحت للزنج فترة من الراحة والاستعداد وتنظيم صفوفهم المبعثرة. وما كاد الموفق يتماثل للشفاء فى شعبان سنة

---

(1) الطبرى: جـ9 ص10 – 11 بيروت.
(2) الطبرى: جـ9 ص602 – 603 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص37 بيروت.
(3) الطبرى: جـ9 ص603 بيروت.
(4) الطبرى: جـ9 ص618 – 619، ابن الأثير: جـ6 ص41 بيروت.
(5) Noldeka, p. 168.
(6) وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة 269هـ / ديسمبر 882م.

269هـ / يناير 883م ويعاود حرب الزنج حتى انشغل بأخبار هروب المعتمد من سامراء إلى الرقة قاصدًا الالتجاء إلى ابن طولون، فحال دون نجاح مؤامرة الخليفة واستطاع إعادته إلى سامراء[1].

وفى شعبان سنة 269هـ / يناير 883م هاجم الموفق المختارة من جديد وتمكن أصحابه من إحراق بعض قصور صاحب الزنج واستنقاذ عدد كبير من النساء الأسيرات[2]، وكاد موقف صاحب الزنج يسوء لولا أن استعمل الحيلة فأجرى الماء على الأراضى التى يسلكها الجيش العباسى، كما حفر الخنادق لإعاقة تقدم الجيش الفاتح، وقد حاول الموفق ردم هذه الخنادق فدارت معركة عنيفة كثر فيها القتلى والجرحى[3]. وتمكن الموفق من إحراق دار صاحب الزنج[4] الذى خرج هاربًا لا يلوى على شيء مخلفًا وراءه أمواله وأمتعته طعمة للنيرن ولجنود الموفق[5]، واستنقذوا فى هذه العملية كثيرًا من النساء المسترقات، وكاد النصر يتم للجيش العباسى لولا أن دهم المرض الموفق[6]، فتوقفت الحرب مدة شهرين حتى أوائل شوال سنة 269هـ / مارس 882م حيث أفاد الزنج من هذه الهدنة وقاموا ببناء قنطرة ضخمة على نهر أبى الخصيب لعرقلة مرور السفن، كما بنوا جسرين ضخمين على النهر نفسه، إلا أن الموفق استطاع إزالة القنطرة وبرجين حجريين بُنِيا على فوهة النهـر بمجـرد أن شفـى من مرضـه[7].

ومن الجدير بالذكر أنه كلما ساء موقف صاحب الزنج، كلما زاد عدد المستأمنين إلى الموفق، فقد استأمن سنة 268هـ / 881 – 882م جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجان وهو

---

(1) الطبرى: جـ9 ص620 – 621 استغل الزنج الظروف السيئة التى أرغمت العباسيين على تخفيف ضغطهم على أعدائهم فأعادوا بناء ما تهدم من سور المدينة.
(2) الطبرى: جـ9 ص622 وما بعدها، ابن الأثير: جـ6 ص42، بيروت.
(3) بذل الزنج قصارى جهدهم لدفع الخطر عن قصر زعيمهم خاصة ومدينتهم عامة واستعانوا بالحجارة والنشاب والمقاليع والمجانيق والعرادات والرصاص المذاب، ابن الجوزى: المنتظم جـ5 ص67.
(4) الطبرى: جـ9 ص623 –625 بيروت.
(5) ابن الجوزى: جـ5 ص67.
(6) الطبرى: جـ9 ص627 بيروت.
(7) ابن الأثير: 6 ص46 بيروت.

أحد ثقات صاحب الزنج فتبعه خلق كثير[1]. وفى سنة 269هـ / 882 – 883م استأمن محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنج ووزيره[2]، بل إن (أنكلاى) ابن صاحب الزنج نفسه طلب الأمان وكاد يلحق بأبى أحمد لولا أن علم والده فأثناه عن ذلك[3]. وأرسل سليمان بن موسى الشعرانى من قادة الزنج الرئيسيين يطلب الأمان فرفض الموفق طلبه، لما أتاه من أعمال القسوة، وحين أجابه الأمير العباسى إلى طلبه تبعه كثير من قواد الزنج، واتبع معهم الموفق سياسة المسامحة والإحسان مما كان له أثره على أتباعهم من الزنج فتركوا معسكرهم لاجئين إلى الجيش العباسي[4]. ومن أهم هؤلاء اللاجئين شبل بن سالم أحد قواد الزنج الذى أسند إليه الموفق مهمة مهاجمة معسكر صاحب الزنج فى فرقة من الزنج المستأمنين[5].

نهاية حركة الزنج ومقتل صاحبها:

وفى شهر ذى القعدة سنة 269هـ / إبريل 883م كان الهجوم الشامل للجيش العباسى الذى تمكنت قواته من دخول دار صاحب الزنج وإحراقها، وحملت نساءه وأولاده إلى الموفقية[6]، وهرب صاحب الزنج إلى قلعة أخرى هى دار المهلبى أحد قواده وهناك دارت معركة حامية بين وبين أبى العباس انتهت بنصر مؤزر للعباسيين الذين عادوا محملين بالأموال والأسرى والنساء اللاتى وقعن فى أسر صاحب الزنج من المسلمات "فضعف أمره وداخله الضعف"[7].

وفى أوائل ذى الحجة (من نفس السنة) وصلت إلى أبى أحمد نجدة مؤلفة من عشرة آلاف رجل بقيادة كاتبه صاعد بن مخلد، كما أن لؤلؤًا ـ أحد أتباع ابن طولون ـ كتب يستأذن أبا أحمد فى القدوم عليه لإعانته فى حرب الزنج – وقدم فعلاً فى جيش كبير من

---

(1) الطبرى: جـ9 ص601، ابن الأثير: جـ6 ص37 بيروت.
(2) ابن الجوزى: المنتظم جـ5 ص87.
(3) الطبرى: جـ9 ص642، ابن الأثير: جـ6 ص47 بيروت.
(4) ابن الأثير: جـ6 ص47 بيروت.
(5) الطبرى: جـ9 ص643 بيروت.
(6) المنتظم جـ5 ص67.
(7) الطبرى: جـ9 ص648 – 649 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص48 بيروت.

الفراغنه[1] والأتراك والروم والبربر والسودن فى أوائل محرم سنة 270هـ / يوليو 883م. وكان أبو أحمد قد أرجأ القتال حتى قدومه، وكان للفرقة التى قدم بها لؤلؤ أثر عظيم فى إنهاء القتال بفضل شجاعتهم وثباتهم[2].

لم يتوقف أمر المشاركة فى قتال الزنج على لؤلؤ فقد تطوع أحمد بن دينار عامل أيذج ونواحيها (من كور الأهواز) مع جمع عظيم من الفرسان كما تطوع ألف رجل من أهل البحرين بقيادة رجل من عبد القيس وهى القبيلة التى ينتمى إليها صاحب الزنج[3] مما يدل على عدم اقتناعهم بصدق دعوته.

لم يلبث الموفق بما اجتمع لديه من قوات إسلامية أن شن هجومًا واسعًا على مواضع الزنج، واحتشد جيش الزنج للقاء الجيش الزاحف حيث دارت معركة هائلة انهزم فيها الزنج واستولى الجيش الفاتح على مدينة الزنج بأسرها وأطلق سراح من فيها من الأسرى ولاذ صاحب الزنج بالفرار يتبعه بقية قوانه إلى نهر السفياني[4]، فتبعهم لؤلؤ مقتحمًا النهر بفرسه يتبعه أصحابه وأخذ يطارد صاحب الزنج حتى أمره أبو أحمد بالعودة.

وفى أوائل صفر سنة 270هـ / أغسطس 883م بدأ أبو أحمد زحفًا جديدًا وكان الزنج قد عادوا إلى مدينتهم وأقاموا بها، وفى هذا الهجوم أسر سليمان بن جامع أبرز قواد صاحب الزنج واثنين من قواده الآخرين[5]، ثم جاء البشير بقتل على بن محمد صاحب الزنج وحمل أحد أصحاب لؤلؤ رأسه فسجد الناس شكرًا وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء فى أهل البلاد التى دخلها الزنج.. أن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم[6].

لقد كان لمقتل صاحب الزنج أثر رائع ومؤثر على نفس الموفق الذى خر ساجدًا لله

---

(1) نسبة إلى فرغانة وهى من بلاد ما وراء النهر.

(2) الطبرى: جـ9 ص649 – 650 بيروت. لقد كان للؤلؤ فخر قتل صاحب الزنج حتى قيل إنه هو الذى كسب النصر وليس أبو أحمد.

(3) الكبرى: جـ9 ص654 بيروت. وقد أمر الموفق أن يخلع عليهم وإقامة الأنزال لهم.

(4) الطبرى: جـ9 ص655 – 656 بيروت.

(5) المنتظم: جـ5 ص70؛ ابن الأثير: جـ6 ص52 ويذكر أن ذلك كان أواخر صفر.

(6) الطبرى: جـ9 ص659 – 660، ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ1 ص240.

حين قدم غلام لؤلؤ يحمل رأس الثائر الجبار وسجد معه بقية قواده؛ وطيف برأسه كى يشاهده أولئك الذين نكبوا وأوذوا على يديه سنين طويلة[1].

استسلم أثر سقوط المختار حوالى خمسة آلاف زنجى وبقيت جماعة منهم بقيادة درمويه الزنجى أخذت تعيث فى قرى البطيحة تقتل وتسلب متخذة من ذلك وسيلة للعيش دون أن تدرى المصير الذى آل إليه زعيم حركتهم، وحين سمع درمويه بالخبر طلب الأمان فأجابه الموفق إلى ذلك هو ومن معه[2]. أما الباقين من الزنج فقد هاموا فى الصحراء يقتلهم الجوع والعطش.

ضعف سلطة الوزراء أواخر القرن الثالث الهجرى:

يعتبر ظهور نظام الوزارة[3] فى العصر العباسي[4] من سمات التطور الحضارى للدولة الإسلامية. وقد ارتبط هذا النظام منذ نشأته بنظام الخلافة، ونما وتطور حسب سلطة الخلفاء وميولهم واتجاهاتهم السياسية[5].

وبدأت مسئولية الوزير وأعماله تتضح مع ظهور هذا المنصب، وإن كانت لم تتبلور فى صورتها الكاملة، لأن العباسيين فى بداية عهدهم لم يحددوا سلطات الوزير، ومجال نفوذه بصورة واضحة، وإنما اقتصر الأمر على وضع أساس نظام الوزارة، ثم أخذ هذا النظام يتطور تدريجيًّا، حيث أصبح الوزير فى أواخر العصر العباسى الأول يشرف على جميع

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية جـ11 ص44.

(2) الطبرى: جـ9 ص660 – 662 بيروت، ابن الأثير: جـ6 ص53 ويذكر أن درمويه أظهر ما كان فى يده من الأموال والأمتعة وردها إلى أربابها.

(3) لم تكن الوزارة مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين فى عهد بنى أمية، وكان ذوو الآراء من مستشارى الملك يقومون مقام الوزراء وكان الواحد منهم يسمى كاتبًا أو مشيرًا.
ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية ص180، آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ1 ص113 ترجمة: محمد عبد الهادى أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1366هـ / 1947م.

(4) كان أبو سلمة الخلال أو من تلقب بالوزارة حين قلده أبو العباس السفاح وزارته.
ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية. ص155 دار بيروت للطباعة والنشر 1385هـ / 1966م.

(5) الفخرى: ص155، بدر عبد الرحمن محمد: بنو الفرات فى العراق فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ص12 الأنجلو 1987م.

الرسائل الرسمية، فضلاً عن إيرادات الدولة ومصروفاتها، ويختص إلى جانب ذلك تعيين الموظفين وعزلهم، وإسداء المشورة إلى الخليفة.

وعلى الرغم من السلطات الواسعة التى منحت لبعض وزراء تلك الفترة فإن خلفاء هذا العصر احتفظوا بمكانتهم، وظلت لهم الكلمة العليا فى إدارة شئون الدولة، واستطاعوا بما لهم من نفوذ أن يحدوا من سلطة الوزراء، وكان الوزير عرضة للعزل إذا حاول أن يظهر سلطانه، أو يتخطى الحدود المرسومة له.

كان من أثر ازدياد نفوذ الأتراك فى مستهل القرن الثالث أن ضعفت سلطة الوزراء، وقل شأن الوزارة، وأصبح الوزراء يخشون على أنفسهم من بطش الأتراك، وليس أدل على ذلك مما يرويه صاحب الفخري[1] عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير الخليفة العباسى المتوكل (232 – 247هـ / 847 – 861م) وقد اشتهر هذا الوزير بالتعفف وكرم الأخلاق، حتى إنه رفض أن يأخذ مائتى ألف دينار وثلاثين سفطًا من الثياب المصرية حملها إليه صاحب مصر، وأمر بحملها إلى خزانة الديوان[2].

وقد حاز هذا الوزير محبة الجند، فلم يخالفوا له أمرًا، ومن مظاهر حبهم إياه حمايتهم له عند مقتل المتوكل واجتماعهم على بابه وقولهم له: "أنت أحسنت إلينا فى حال وزارتك وأقل ما يجب علينا أن نحتفظ بك ونحرسك فى مثل هذه الفتنة"[3].

كان الخلفاء فى تلك الفترة غالبًا ما يختارون وزرائهم من بين الكتاب وأبناء الوزراء، ويرجع ذلك إلى ما تتمتع به هذه الطبقة من خيرات فى الشئون الإدارية والمالية، مما يؤهلها لشغل منصب الوزارة، حتى انحصرت فى تلك الفترة فى أسر معينة مثل أسرة آل خاقان[4]، التى تولى منها منصب الوزارة أربعة وزراء فى سبعين عامًا، وأسرة بنى الفرات[5]، التى تقلد منها الوزارة أربعة وزراء فى خمسين سنة، كذلك أسرة بنى وهب[6]، التى توارث عشرة من أفرادها أرقى مناصب الدولة وتقلد أربعة منهم منصب الوزارة.

---

(1) ابن طباطبا ص217، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلامى السياسى جـ3 ص435.
(2) ومجاملة منه فتح أحد الأسفاط وأخذ منها منديلاً لطيفًا وضعه تحت فخذه. ابن طباطبا ص217.
(3) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك جـ11 ص27، ص67، ص86 بيروت.
(4) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص37.
(5) وصف ابن طباطبا فى كتابه الفخرى ص238 مطبعة المعارف 1923م. بنى الفرات بقوله: "وبنو الفرات من أجل الناس فضلاً وكرمًا ونبلاً ووفاء ومروءة".
(6) يذكر ابن طباطبا ص266 عن بنى وهب "أنهم من رؤساء الناس وحذاقهم وفضلائهم وكرمائهم، وكانت دولتهم فاخرة، وأيامهم مشرقة".

ويمكننا القول أنه ابتداء من خلافة المنتصر (247 – 248 – 861 – 862م) بدأت الوزارة تدخل فى دور جديد، فحل محل كبار الوزراء ذوى الثقافة العالية والشخصية القوية وزراء لا يتميزون بالكفاية فى إدارة شئون الدولة، باستثناء قلة كان لها دور لا يستهان به فى تسيير أمور الدولة، ويظهر هذا الانتقال بصورة واضحة بعد أن ولى أحمد بن الخصيب الوزارة للمنتصر بن المتوكل، الذى كان مقترًا فى صناعته مطعونًا فى عقله على حد قول صاحب الفخري[1].

ازدادت سلطة الأتراك فى عهد الخليفة المستعين (248 – 252هـ / 862 – 866م) وصار الوزير يعين من قبلهم، فإن وافق هواهم رضوا عنه، وإن خالفهم فى شيء عزلوه وأقاموا غيره، فلم يتعرضوا فى أول عهد هذا الخليفة لوزيره ابن الخصيب، لكنهم ما لبثوا أن غضبوا عليه واستصفوا أمواله[2]. ولم ينعم بالوزارة أكثر من شهرين.

أدى ازدياد نفوذ الأتراك إلى تدخلهم فى شئون الوزارة، وليس أدل على ذلك ما حدث مع أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وزير الخليفة المستعين؛ الذى كان من أشهر كتاب عصره، وأقدرهم فى إدارة أمور الدولة، واستطاع أن يضبط الأموال ويضيق على الأمراء، فهددوه بالقتل، وأرغموه على الهرب، فلم يستوزر المستعين بعده أحدًا، وإنما كان يعين كتابًا يقومون بأعمال الوزراء[3].

وقد تجلى تدخل الأتراك فى شئون الوزارة بصورة واضحة منذ عهد الخليفة المعتز (252 – 255هـ / 866 – 869م)، كما ضاعت هيبة الوزارة لضعف شأن الخلافة، فكان على الوزير أن يلبى رغبات كبار الأتراك ليبقى فى منصبه وإلا عزل وتعرض للإساءة إليه. وكان من بين الوزراء الذين تعرضوا لنقمة الأتراك أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري[4] وزير المعتز، فقد أساء إليه الأتراك وتربصوا به وقبضوا عليه واستصفوا أمواله.

---

(1) ابن طباطبا ص217.
(2) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ3 ص283 بولاق 1284هـ (سبعة أجزاء).
(3) الفخرى: ص220، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ3 ص435.
(4) الفخرى ص222.

ولما ولى المعتمد الخلافة، واستبد بالأمور أخوه أبو أحمد الموفق طلحة[1] ضعف شأن الوزارة، واستمر الحال على ذلك حتى عهد الخليفة المقتدر (295 – 320هـ / 908 – 933م) الذى ساءت أحوال الخلافة العباسية فى أيامه، واضطربت أمور دولته من جراء السياسة التى أتبعها فى تعيين وزرائه يؤيد ذلك قول المسعودي[2] "لم يقف على أحوال الملك، فكان الأمراء والوزراء والكتاب يديرون دفة الأمور. ليس له فى ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة".

بنو الفرات وبداية ظهورهم:

لما مات الموفق اجتمع القواد وبايعوا ابنه أبا العباس بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد ولقب المعتضد بالله، واجتمع عليه أصحاب أبيه، وتولى ما كان أبوه يتولاه[3]. ويروى المسعودي[4] تفصيل ذلك فيذكر أن أبا العباس كان محبوسًا فلما خرج أبوه الموفق إلى الجبل خلفه بدار الخلافة الوزير إسماعيل بن بلبل، وكان مضيقًا عليه إلى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلاً، فوصل بغداد يوم الخميس ثانى صفر سنة 278هـ / 16 مايو 891م[5]. فلما اشتدت علة الموفق وأرجف بموته وجه إسماعيل بن بلبل إلى "بكتمر" وكان موكلاً بالمعتضد بالمدائن[6] أن ينصرف بالمعتضد والمفوض إلى الله (ابن المعتمد)، إلى بغداد، فدخلها فى يومه، واتصل بإسماعيل صلاح الموفق، فانحدر ومعه المعتضد والمفوض، على أنه لم يلبث أن اضطرب القواد والموالى، وانتهبت دار إسماعيل بن بلبل، وفتحت الجسور وأبواب السجون وتوفى الموفق ليلة الخميس لثلاث يقين من صفر سنة 278هـ فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس وخلع المفوض من ولاية العهد، وقام إسماعيل بن بلبل فى الوزارة بعد شغب كثير ببغداد[7].

---

(1) الفخرى: ص226 – ص227.
(2) التنبيه والإشراف ص328.
(3) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ6 ص69 بيروت حوادث سنة 278هـ.
(4) مروج الذهب: جـ2 ص492 – ص493 طبعة التحرير.
(5) يذكر صاحب كتاب التوفيقات الإلهامية ص310 أن أول صفر السبت 15 مايو 891م.
(6) على أقل من مسيرة يوم. مروج الذهب جـ2 ص492.
(7) مروج الذهب جـ2 ص492 – ص493.

لم يلبث أن قبض على[1] إسماعيل بن بلبل[2] ووجه إلى عبد الله بن سليمان بن وهب فأحضر وخلع عليه ورد إليه أمر كتابه وذلك يوم الثلاثاء بقين من صفر سنة 278هـ / 10 يونية 891م[3]. وطلب بنى الفرات فاختفوا[4].

بويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله صبيحة الليلة التى مات فيها المعتمد على الله عمه يوم الثلاثاء لاثنى عشر ليلة بقيت من رجب سنة 279هـ / 26 أكتوبر 891م. ولما أفضت الخلافة إلى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلاد، فولى غلامه بدر الشرطة وعبيد الله بن سليمان الوزارة[5].

على الرغم مما كان يتمتع به عبيد الله بن سليمان من أمانة وتقى وورع إلا أنه لم تكن لديه القدرة على إدارة شئون الدولة مثلما كان لابن بلبل، الذى عمل على تنمية موارد السواد، التى تضاعفت فى سنة واحدة. لذا فقد كان عبيد الله بن سليمان فى موقف لا يحسد عليه، إذ كان مطالبًا بقائمة كبيرة من المصروفات التى لا قدرة له على الوفاء بها. لذلك لجأ إلى مساعديه، الذين لم يجدوا حلاً للمشكلة إلا أن يطلب من الخليفة العفو عن أحمد وعلى ابنى الفرات، اللذاين كانا فى السجن، عقب فتنة ابن بلبل، وبإمكانهما أن يكشفا له الطريقة التى يمكن أن يخرج بها من أزمته المالية[6].

---

(1) كان إسماعيل بن بلبل مكروهًا من الناس بسبب تشدده معهم فى جباية الأموال التى كان ينفقها على صنائعه من بنى شيبان فثقل ذلك عليهم وكثر الدعاء عليه، وقد عذب عذابًا شديدًا، إذ جعل فى عنقه غلًّا فيه رمانة حديدية وزنها مائة وعشرون رطلاً، وألبس جبة صوف وعلق معه رأس حمار ميت فلم يزل على ذلك حتى مات، ودفن بغله وقيوده، وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزائنه وفرقت على الجند. المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص493.

(2) المصدر السابق: جـ2 ص493.

(3) مروج الذهب جـ2 ص493 انظر أيضًا

Harold Bowen: The life and Times of Ali IBN isa p.27 (Cambridge 1929).

(4) ابن الأثير: الكامل جـ6 ص69 بيروت.

(5) مروج الذهب جـ2 ص495، الكامل جـ6 ص73. وقد عمل عبيد الله بن سليمان كوزير للمعتمد بعد وفاة والده سليمان.

Harold Bowne: p. 28.

(6) كان أحمد وأخوه على ابنا الفرات من المؤيدين لإسماعيل بن بلبل، واللذان استترا عقب القبض على نصيرهم، إلا أنه لم يلبث أن كشف أمرهم وألقيا فى السجن.

Harold Bowen: Ali IBN isa p. 29.

نشأ بنو الفرات فى قرية من إقليم النهروان الأعلى يقال لها بابك (بابلى) قريبة من صريفين[1]، وكان أبوهما محمد بن موسى، تولى أعمالاً جليلة، وأكبر أولاده أبو العباس أحمد[2]. ولا نعرف على وجه التحديد عمر أحمد، غير أن عليًّا الأصغر كان فى الثامنة والثلاثين وقد تركوا أباهم فى سعة من العيش قبل أن يعملوا فى خدمة الدولة، ولم يقطعوا الصلة بأهليهم هناك، فكانوا يدعونهم للقدوم إلى بغداد كلما دعت الحاجة إلى ذلك[3].

كان أبو العباس أحمد بن الفرات أخو أبى الحسن على أكتب أهل زمانه وأضبطهم للعلوم والآداب[4]، وعينه إسماعيل بن بلبل مشرفًا على الديوان (ديوان السواد) وكان ابن بلبل يعتبر الأخوين أحمد وعلى من أقدر العمال فى وزارته[5].

وقام أحمد بن الفرات بعمل نائب الوزير، ثم أصبح اليد اليمنى لعبيد الله بن سليمان، وصار لأحمد وأخيه على سلطة مطلقة حتى وصف عبيد الله الوزير بالببغاء، إذ إن كل كلمة كانت تصدر منه بإيحاء من أحمد وعلى، وارتفعت منزلة أحمد لدى المعتضد، حينما أشار عليه بالعدول عن بعض مشروعاته الإنشائية والتى كان من الممكن أن تضيع فيها الأموال بلا جدوى[6].

أصبح أحمد بن الفرات مشرفًا على ديوان المالية، وأظهر كفاية فى إدارته، وتضاعف

---

(1) هلال بن المحسن الصابى، تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص11 – 12، تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج دار إحياء الكتب العربية.

(2) وأبو عبد الله عيسى من خيار المسلمين والزهاد جاور بمكة، وواصل بها الصوم والصلاة، ومات فى وزارة أخيه أبى الحسن على. الصابى: تحفة ص12، الهمذانى: تكملة تاريخ الطبرى ص246. ملحق بالجزء الحادى عشر من تاريخ الطبرى طبعة دار سويدان - بيروت.

(3) Harold Bowen: Ali IBN isa p. 30.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3 ص424. تحقيق / إحسان عباس. وللبحترى قصيدة فيه أولها:

بت أبدى وجدًا وأكتم وجدًا لخيال قد بات لى منك يهدي

انظر ديوان البحترى جـ1 ص569.

(5) Harold Bowen: p. 30.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ3 ص422.

Harold Bowen: p. 30.

الدخل أكثر مما كان عليه منذ مائتى سنة، ولكى يسهل مهمة الإشراف على هذا الديوان الواسع أنشأ ديوانًا جديدًا سماه "ديوان الدار" ألحق به ابنه وبعض المساعدين وعلى رأسهم محمد بن داود وابن أخيه على بن عيسى[1].

استمرت رئاسة أحمد بن الفرات لديوان المشرق وديوان المغرب حتى شوال من سنة 286هـ / أكتوبر / نوفمبر 899م حين قلد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمد بن داود بن الجراح وديوان المغرب على بن عيسى[2].

وفى سنة 288هـ / 901م توفى عبيد الله بن سليمان، فولى المعتضد ابنه أبا الحسن القاسم بن عبيد الله الوزارة[3]، ولم يلبث المعتضد أن توفى فى ربيع الآخر سنة 289هـ / فبراير – مارس 902م فجلس القاسم بن عبيد الله فى دار السلطان فى الحسني[4]، وأذن للناس بالدخول، فعزوه فى المعتضد وهنئوه بما جدد له من أمر المكتفى، وتقدم الكتاب والقواد فى تحديد البيعة للمكتفى بالله فبايعوا[5].

وفى رجب سنة 290هـ / يونية 903م خلع على ابنى الوزير القاسم بن عبيد الله، فولى الأكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات، والأصغر كتابة أبى أحمد بن المكتفى، وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصراني[6].

علا شأن القاسم بن عبيد الله فى أيام المكتفى (289 – 295هـ / 502 – 908م)، فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفى بالعباس بن الحسن فاستوزره ويقول الصولى: من أعجب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الأمور أننى رأيت العباس بن الحسن فى أول

---

(1) Harold Bowen: Ali IBN isa p. 31-32.

(2) الطبرى: الأمم والملوك جـ10 ص73 حوادث سنة 286هـ، ابن الأثير: الكامل جـ6 ص93 بيروت.

(3) ابن الأثير: جـ6 ص99.

(4) الحسنى: قصر فى دار الخلافة منسوب إلى الحسن بن سهل، وهو المعروف بالتاج وبه منازل الخلفاء ببغداد. ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ2 ص260 بيروت.

(5) الطبرى: جـ10 ص86 - 87.

(6) وكان القاسم بن عبيد الله اتهم الحسين بن عمرو أنه سعى به إلى المكتفى، خاصة وأن الحسين بن عمرو كاشف القاسم بن عبيد الله بحضرة المكتفى، فلم يزل القاسم يدبر عليه ويغلظ قلب المكتفى حتى أمر بعزله. الطبرى: جـ10 ص99 –103.

الأربعاء قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيد الله وقد حضر إلى داره وقبل يد ولده، ثم فى آخر اليوم المذكور مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره، فجاء ولد الوزير القاسم فقبل يده[1].

ومع ما تمتع به العباس بن الحسن من دهاء ومكر وأدب وافر، فقد كان ضعيفًا فى الحساب، ولم تكن سيرته محمودة، وكان عاكفًا على لذاته والأمور مهملة وكان يقول لنوابه بالأعمال أنا أوقع إليكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة[2].

لما ثقلت العلة على الخليفة المكتفى فى عام 295هـ / 907م كان الوزير أبو أحمد العباس بن الحسن راكبًا من داره يومًا ومعه كما جرت العادة أحد الكتاب الأربعة[3] الذين يتولون الدواوين، فشاوره فيمن يرشح للخلافة بعد المكتفى، وكان الوزير يميل إلى ابن المعتز، فأجابه الكاتب، وهو أبو الحسن على بن محمد ابن الفرات: أنه يجب ألا يولى هذا الأمر من عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا، ومن لقى الناس ولقوه وعرف الأمور وحنكته التجارب، فقال الوزير: صدقت والله يا أبا الحسن، فمن نقلد؟ فأشار ابن الفرات بتقليد جعفر بن المعتضد (الخليفة المقتدر) "فإنه صبى لا يدرى أين هو وعامة سروره أن يصرف من المكتب" فمالت نفس الوزير إلى ذلك[4]، وعمل على تقليد المقتدر وكان صبيًا فى الثالثة عشر[5].

لم يلبث الخليفة المكتفى أن توفى سنة 295هـ / 908م[6] وبويع جعفر ابن المعتضد

---

(1) ابن طباطبا: الفخرى ص232 - 233.

(2) المصدر نفسه: ص233.

(3) وهم أبو عبد الله بن محمد بن داود بن الجراح، وأبو الحسن محمد بن عبدان، وأبو الحسن على بن محمد بن الفرات وأبو الحسن على ابن عيسى. مسكويه: تجارب الأمم جـ1 ص2 تصحيح ونشر هـ.ف. أمدروز مطبعة شركة التمدن الصناعية 1332هـ / 1914م، ابن الأثير: الكامل جـ6 ص119 بيروت.

(4) يضاف إلى ذلك وصية المكتفى، فإنه أوصى لما اشتد مرضه بتقليد أخيه جعفر الخلافة. مسكويه: جـ1 ص3، ابن الأثير: جـ6 ص119.

(5) آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ1 ص12.

(6) كانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يومًا وكان عمره ثلاثًا وثلاثون سنة وأمه أم لود تركية اسمها جيجك. ابن الأثير: جـ6 ص118 – 119، بيروت.

ولقب المقتدر بالله[1]، فلما بويع استصغره الوزير أبو أحمد العباس بن الحسن، وعزم على خلعه وتقليد الخلافة أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله .... فراسله فى ذلك واستقر الحال وانتظر الوزير قدوم "بارس"[2] حاجب إسماعيل بن أحمد السامانى صاحب خراسان، وكان قد أذن له فى القدوم، وأراد الوزير أن يستعين على ذلك ويتقوى به على غلمان المعتضد، فتأخر "بارس" واتفق أنه وقع بين أبى عبد الله بن المعتمد وبين ابن عمرويه صاحب الشرطة منازعة فى ضيعة مشتركة بينهما فأغلظ له ابن عمرويه فغضب ابن المعتمد غضبًا شديدًا، وأغمى عليه وتوفى فى اليوم التالى فأراد الوزير البيعة لأبى الحسين بن المتوكل فمات أيضًا بعد خمسة أيام وقم أمر المقتدر[3].

---

(1) ولد سنة 282هـ وكنيته أبو الفضل وأمه أم ولد يقال لها "شغب".الطبرى: الأمم والملوك جـ10 ص129 بيروت.

(2) هو "بارس الكبير" حاجب إسماعيل بن أحمد، وكان والى طبرستان حين توفى إسماعيل سنة 295هـ وولى ابنه أحمد بن إسماعيل الذى كانت علاقته سيئة ببارس فسار إلى طبرستان فجمع "بارس" أموالاً كثيرة من خراج الرى وطبرستان وجرجان واستولى عليها، وكتب "بارس" إلى الخليفة المكتفى يستأذنه فى المسير إليه فأذن له فأتاه إلى بغداد فى أربعة آلاف فارس فوصلها بعد وفاة المكتفى وتولى المقتدر الخلافة فطمع فى أمواله فسمه فمات. الكرديزى: زين الأخبار ص148 فارسى، ابن الأثير: الكامل جـ6 ص118، فأميرى: تاريخ بخارى ص112.

(3) ابن الأثير: جـ6 ص199 - 120.

الدولة البويهية

(أ) ظهور بنى بويه:

كان من أثر استفحال نفوذ الأتراك أن ضعفت الخلافة العباسية بحيث لم يعد للخليفة العباسى منذ بداية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) سلطان إلا على بغداد وضواحيها[1]، مما أدى إلى استقلال بعض الولاة بولاياتهم، وعدم استقرار الأمور فى ولايات الدولة العباسية، فقامت فى طبرستان[2] سنة 301هـ (913 – 914م) ثورة بقيادة الحسن بن على الزيدي[3] الملقب بالأطروش[4]، الذى دعا أهالى طبرستان وبلاد الديلم

---

(1) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص49.

(2) كانت منطقة الجبال العالية الممتدة فى حذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين مما فى شرق قومس وشمالها تعرف بطبرستان، و"طبر" فى لغة أهل تلك البلاد معناها "الجبل" و"ستان" بمعنى ناحية" فطبرستان تعنى ناحية الجبل أو بلاد الجبل. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص409، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس.

(3) هو الحسن بن على بن محمد بن على بن أبى طالب. المسعودى: مروج الذهب جـ4، ص294 وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثانى ص309 مادة الأطروش: أن اسمه: أبو محمد الحسن بن على ابن الحسن بن على بن عمر بن زين العابدين. ولد بالمدينة حوالى سنة 230هـ (844م) وتوفى عام 304 بمدينة آمل وهو عامل على طبرستان، وكان يلقبه الزيدية وأهل الدين بالإمام الناصر الكبير.

(4) كانت طبرستان هى مركز الأطروش ومنها كان يقوم بجولاته فى الأقاليم المجاورة، وقد حدث أن ذهب إلى خراسان ودخلا سرًّا يدعو الناس إليه فسجنه محمد بن عبد الله الخجستانى ونالته مكاره كثيرة ثقل فيها سمعه ومن ثم لقب الأطروش.
هلال بن الصابى: المنتزع من التاجى ورقة (5) فيلم بدار الكتب رقم 235، النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ23، ص99، مخطوط بدار الكتب رقم 551 معارف عامة.

إلى الإسلام[1]، فأسلم على يده عدد كبير على المذهب الزيدي[2]، واستطاع أن يستميلهم إلى جانبه، وظلوا مخلصين له طوال حياته[3] كذلك نجح الحسن بن على الزيدى فى القضاء على النظام الإقطاعى الذى كان سائدًا فى بلاد الديلم. وظلت طبرستان بيد أسرته حتى سنة 314هـ (927م) [4] حين فتح مرداويج بن زيار[5] الديلمى هذا الإقليم وأسس الدولة الزيارية التى امتد نفوذها من غربى إيران حتى الأهواز[6].

لم يقنع مرداويج بن زيار بتأسيس تلك الدولة التى اتسعت رقعتها، بل أراد أن يستولى على بغداد ويبطل دولة العرب[7] حتى إن الخليفة المقتدر العباسى (295 – 320هـ) (908 – 932م) لم يجد بدًّا من الاعتراف بسلطانه، شأنه فى ذلك شأن المتغلبين على بعض

---

(1) كان بعض أهالى طبرستان يعبد الأوثان ويدين بالمجوسية، وقد أقام الحسن بن على الزيدى ثلاث عشرة سنة بينهم. انظر: أنولد: (سيرتوماس): الدعوة إلى الإسلام ص182 ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى مكتبة النهضة العربية.

(2) محمد حسين الزبيدى: العراق فى العصر البويهى، ص29.

(3) عبد العزيز الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة، ص72 – 73، بغداد 1945.

(4) يذكر حمزة الأصفهانى أن وفاة الأطروش كانت فى شعبان سنة 304هـ (يناير 917م)، تاريخ سنى ملوك الأرض، ص175، مطبعة الحياة، بيروت.

Ibn Isfandiyar: History of Tabaristan. P. 204 (London 1905).

(5) مرداويج بن زيار: أحد قواد أسفار (الأصفر) بن شيرويه أمير قزوين، دفعته أطماعه إلى الثورة على أميره واستولى بمعونة شيعته من الديلم الجبليين على قزوين واستولى على الرى وأصفهان من يوسف بن أبى الساج (والى العباسيين)، كما استولى على طبرستان وجرجان وهمذان. ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ8، ص66، 67، المطبعة الكبرى 1290هـ،حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى، ص69.

(6) حسن أحمد محمود: المرجع نفسه، ص69. عبد العزيز الدورى: المرجع نفسة، ص73، 243.

(7) ابن الأثير: جـ8، ص65، 72، 73، ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص253، مطبعة الموسوعات 1317هـ.

كان مرداويج فارسى الأصل متعصبًا للفرس، وقد جعل عسكره صنفين منهم جيلى وديلم وهم خواصه وأهل بلده الذين فتح بهم الرى ونواحيها، وصنف أتراك وأهل خراسان.

أبو بكر الصولى: أخبار الراضى بالله والمتقى لله، ص62، نشر ج. هيورث. دن، مطبعة الصاوى 1354هـ - 1935م.

ولايات الدولة الإسلامية، وأقره على ما بيده من بلاد، بعد أن تعهد مرداويج بدفع جزية سنوية[1].

كان بنو بويه من بلاد الديلم أو من بلاد جيلان التى تقع فى الجنوب الغربى من بحر قزوين[2] وكان جد هذه الأسرة بويه بن فناخسرو الملقب بأبى شجاع صيادًا فقيرًا ويروى بعض المؤرخين أنهم ينتسبون إلى كسرى فارس "بهرام جور بن يزدجرد"[3] بينما يذكر البعض الآخر بأنهم من ولد يزدجرد بن شهريار[4]، وهناك من ينسبهم إلى العرب فيزعم أن جدهم الأعلى هو "بهرام بن الضحاك بن الأبيض ابن معاوية بن الديلم بن باسل بن ضبة بن أد"[5]. إلا أن القلقشندى يضعف هذه النسبة[6]، وينفى حمزة الأصفهانى (المتوفى سنة 371هـ) نسبتهم إلى ملوك الساسانيين والعرب وينسبهم إلى الديلم[7].

انضم بويه إلى الأطروش، ووجد فى معاركه متنفسًا لمواهبه الحربية، فاكتسب بذلك مكانة خاصة لديه. ويبدو أن إسلام بويه واعتناقه مذهب الزيدية كان سابقًا على قدوم الأطروش إلى بلاد الديلم. يتضح هذا من أسماء ولديه على والحسن وكل منهما ولد قبل وجود الأطروش ببلاد الديلم[8].

---

(1) ابن الأثير: المصدر نفسه والصفحات، حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية، ص70.
(2) محمد حسين الزبيدى: العراق فى العصر البويهى، ص29.
(3) هلال بن الصابى: المنتزع من التاجى ورقة(1)، وقد أيد هذا الرأى ابن الأثير جـ8 ص91، بينما تورد دائرة المعارف الإسلامية: مادة بويه. أنهم لا ينتسبون إلى الملك الساسانى "بهرام جور" بل إلى كبير وزرائه "مهرنوس".
(4) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ4 ص426 بولاق 1284هـ.
(5) أبو الريحان البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص38. نشر إدوارد سخاو ليبزج 1876م وأعادت طبعه مطبعة المثنى ببغداد سنة 1923م.
(6) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ1 ص267.
(7) نسبهم إلى قبيلة اسمها "شيرذيل آوندان" تاريخ سنى ملوك الأرض ص175، عبد العزيز الدورى، دراسات فى العصور العباسية ص244.
(8) النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ24، ص268 مخطوط بدار الكتب رقم 699.

ذكر ابن الجوزي[1] والذهبي[2] أن بويه خرج بأولاده إلى خراسان مغاضبًا "لما كان ابن كاكي" بعد أن ظلت العلاقات بينهما وطيدة حتى أواخر سنة 312هـ / 925م، ثم ساءت بسبب الحرب التى شنها أبو الحسن بن كاكى ضد على بن بويه[3]، فاعتزل بويه خدمة "ماكان" وذهب بأولاده إلى خراسان.

استطاع أولاد بويه على والحسن وأحمد – وكانوا جنودًا مغامرين – أن يصلوا إلى مراكز متقدمة فى جيش "ماكان بن كاكي" الديلمى لحنكتهم العسكرية، غير أن "ماكان" لم يلبث أن حلت به الهزيمة على يد مرداويج بن زيار، فلما رأى على بن بويه وأخوه الحسن ما حل "بماكان" من الهزائم أمام مرداويج[4]، استأذناه فى ترك خدمته قائلين "نحن فى جماعة وقد صرنا ثقلا عليك وعيالًا وأنت مضيق، والأصلح لك مفارقتنا إياك لنخفف عنك مؤنتنا ويقع كلنا على غيرك، فإذا تمكنت عاودناك"[5].

فارق على بن بويه وأخوه الحسن ومعهما بعض القواد "ماكان ابن كاكي" وانضموا إلى مرداويج بن زيار بطبرستان، فأكرمهم وأحسن إليهم[6]، وأراد أن يكافئهم على انضمامهم إليه وأن يستفيد من جهودهم، فأسند إليهم بعض الأعمال، وكان من نصيب على بن بويه ولاية الكرج[7]، ولما كان من المحتم أن يمر على بن بويه ومن معه من القواد على الرى

---

(1) المنتظم فى أخبار الملوك والأمم جـ6 ص208 حيدر أباد الدكن 1357هـ.

(2) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام جـ18 ص140 مخطوط بدار الكتب رقم 396 تاريخ.

(3) Ibn Isfandiyar: History of Tabaristan. P. 210.

(4) التحق أبناء بويه بجيش "ماكان" فى وقت تحسن العلاقات بين "ماكان" ومرداويج بن زيار منذ أن اتفقا على قصد أسفار بن شيرويه، ثم ساءت العلاقات بين "ماكان" ومرداويج بعد أن قتل أسفار وسار مرداويج إلى "ماكان" بجيوشه فهزمه. مسكويه، تجارب الأمم جـ5 ص275، ابن الأثير جـ8 ص92.

(5) مسكويه: جـ5 ص277، ابن الأثير: جـ8 ص92.

(6) مسكويه: جـ5 ص277.

(7) الكرج: بفتح أوله وثانيه تقع بين همذان وأصفهان وهى إلى همذان أقرب وبين الكرج وهمذان نحو ثلاثين فرسخًا، وهى التى نسميها "جورجيا" الآن. ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ7 ص230، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقة ص216.

أولاً، حيث كان وشمكير بن زيار (أخو مرداويج) ومعه عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد[1] وزيره ومستشاره، فقد اتبع على بن بويه سياسة حكيمة قبل توليه أمور الكرج، فأحسن إلى أبى عبد الله الحسين (العميد)، ونجح فى إقامة صداقة متينة معه[2]. وكان لذلك أثره فى نفس مرداويج الذى ساورته الشكوك من ناحية هؤلاء القواد وخشى عدم ولاءهم له[3]، وأرسل إلى أخيه وشمكير يأمره بمنع هؤلاء القواد من الخروج من الرى وردهم إليه[4]، غير أن على بن بويه تمكن بمساعدة (العميد) له من الوصول إلى ولايته والفوز بها[5].

لما أحس مرداويج بالخطر الذى يتهدده من ناحية على بن بويه، بعث جماعة من القواد لمحاربته، فاستمالهم على بن بويه إليه، الأمر الذى أثار مرداويج، فكتب إليه يستدعيه، فماطله إلى أن جبى ضرائب البلاد التى يتولى حكمها[6]، ثم فارقها إلى أصبهان فاستولى عليها[7]، ثم لم يلبث أن رحل عنها بعد أن جبى أموالها شهرًا[8] .

---

(1) وهو والد الوزير والكاتب أبى الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه فى فارس. ابن الأثير: جـ8 ص92.

(2) مسكويه: جـ5 ص278، ابن الأثير: جـ8 ص92.

(3) وذلك لقرب عهدهم بصحبة عدوه "ماكان بن كاكي". النويرى: نهاية الأرب جـ24 ص278 (مخطوط).

(4) مسكويه: جـ5 ص278، ابن الأثير: جـ8 ص92. وكانت الكتب التى تصل إلى وشمكير تعرض أولاً على العميد، فيقف عليها، ثم يعرض على وشمكير جملها، فلما علم العميد بكتاب مرداويج إلى أخيه، تقدم سرًّا إلى على بن بويه ليبادر بالإسراع إلى ولايته، وفى اليوم التالى عرض الرسالة على وشمكير، فأمر برد على بن بويه الذى كان على مرحلة بعيدة من الرى. ابن الأثير: جـ8 ص92.

(5) مسكويه: جـ5 ص278، ابن الأثير: جـ8 ص92.

(6) مقدار ما جباه منها خمسمائة ألف درهم.

(7) مسكويه: جـ5 ص277 –279. ابن الأثير: جـ8 ص93.

(8) يذكر النويرى: نهاية الأرب جـ24 ص270 أن على بن بويه مكث بأصبهان شهرًا ويذكر ابن الأثير: جـ8 ص93. أنه جباها شهرين. أرجان: مدينة كبرى تقع على بعد ستين فرسخًا من شيراز والأهواز. ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ1 ص180ن.

وتوجه إلى أرجان[1] واستولى عليها سنة 321هـ (933م) من غير حرب[2]، وجبى خراجها فبلغ جملة ما حصله منها مليونى درهم[3]، ولما خشى أن يجتمع عليه مرداويج وأخوه وشمكير اللذان اتفقا على محاربته، استقر رأيه على الرحيل عن النوبندجان[4] إلى اصطخر[5] ومنها إلى البيضا[6]، ثم دخل شيراز سنة 322هـ / 934م[7]، وبذلك دانت له بلاد فارس بالولاء والطاعة[8]، كما تمكن أخوه أحمد ابن بويه من الاستيلاء على كرمان[9].

لما نجح على بن بويه فى بسط سلطته على إقليم فارس، أراد أن يضفى على تلك السلطة الصبغة الشرعية، فكتب إلى الخليفة الراضى بالله (322 – 329هـ / 934 – 940م) ووزيره أبى على ابن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة، ويطلب أن يقطع ما بيده من البلاد مقابل ألف ألف درهم[10].

---

(1) أرجان: مدينة كبرى تقع على بعد ستين فرسخًا من شيراز والأهواز. ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ1 ص180.

(2) ابن قد ذكر أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر جـ2 ص83 أن ذلك سنة 320هـ وهو خطأ واضح.

(3) مسكويه: جـ5 ص280، ابن الأثير: جـ8 ص93. ويذكر ابن الجوزى: المنتظم جـ6 ص270 أنه استخرج منها مائتى ألف دينار.

(4) النوبندجان: مدينة بناحية أنبوران فى إقليم فارس ويقال لها أيضًا النوبنجان على بعد فرسخين من بداية شعب بوان الذى يعده العرب إحدى جنات الدنيا الأربع لسترنج: بلدان الخلافة ص300.

(5) كان أبو طالب النوبندجانى قد أرسل إلى على بن بويه الرسائل يطلب منه الذهاب إلى شيراز، موضحًا له أن النفوس نافرة من ياقوت وأن الناس قد استثقلوا وطأته لتهوره فى جباية الأموال. مسكويه: جـ5 ص280.

(6) البيضاء: على مسافة ثمانية فراسخ من شيراز، وسميت البيضاء لبياض قلعتها، وينطقها الفرس (بيزا) ياقوت: معجم البلدان جـ2 ص33، لسترنج: بلدان الخلافة ص316.

(7) مسكويه: جـ5 ص296، ص298، ابن الأثير جـ8 ص95.

(8) مسكويه: جـ5 ص299، ابن الأثير: جـ8 ص95.

(9) مسكويه: جـ5 ص298 – 299، ابن الأثير: جـ8 ص96 دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع مادة بويه.

(10) ابن الأثير: جـ8 ص95، العينى: عقد الجمان جـ18 ص246 مخطوط بدار الكتب رقم 1584 وقد ذكر مسكويه: جـ5 ص299، وابن الجوزى: المنتظم جـ6 ص271 أن المبلغ المقاطع عليه ثمانية آلاف

لم يسعَ الخليفة الراضى إلا أن يجيب طلب على بن بويه، وأنفذ الوزير إليه اللواء والخلع[1] فى شوال سنة 322هـ (سبتمبر 934م) وأمر الرسول وهو أبو عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي[2] ألا يسلم اللواء والخلع إلا بعد أن يتسلم المال المتفق عليه فلما قرب الرسول من شيزار، خرج إليه على بن بويه قبل أن يدخل شيراز، وطالب الرسول أن يسلم إليه الخلع واللواء، فسلمها إياه ولم يأخذ منه المال الذى وعد بأدائه[3].

اتسع نفوذ على بن بويه حتى غدا فى سنة 323هـ / 935م مسيطرًا على مدينة شيراز، كما بسط نفوذه شمالاً حيث مدينة أرجان، وأصبح على مقربة من مناطق نفوذ مرداويج بن زيار (المقيم بأصبهان) وله بمدينة الأهواز – شمال أرجان – جيش كبير[4].

وعلى أن مرداويج بن زيار ما لبث أن اغتيل سنة 323هـ (935م) [5]، على يد غلمانه الأتراك الذين كان يسيء معاملتهم ويفضل الديلم عليهم[6]، وكان من نتيجة قتل مرداويج أن اضطر جيشه بالأهواز إلى الانسحاب[7]، وتراجعت حامياته بعسكر مكرم[8] وتستر[9] وجنديسابور[1].

ألف درهم.

(1) ابن الجوزى: جـ6 ص271.

(2) مسكويه: جـ5 ص300.

(3) مسكويه: جـ5 ص300. ومما يذكر أن على بن بويه أخذ يماطل المالكى ويضرب له المواعيد حتى اعتل المالكى ومات سنة 323هـ ولم يدفع له على بن بويه من المال شيئًا. تجارب الأمم جـ5 ص300.

(4) مسكويه: جـ5 ص316.

(5) ابن طباطبا: الفخرى ص253، الكرديزى، زين الأخبار ص153، ابن الأثير: جـ8 ص99.

(6) ذكر الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص20، 21 أن رئيس الغلمان الأتراك كان يعرف "ببجكم" وأن قتل مرداويج كان من تدبير ابن ياقوت.

(7) مسكويه: جـ5 ص302.

(8) عسكر مكرم: مدينة من مدن الأهواز فى إقليم الجبال. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص272.

(9) تستر: وتبعد ستين ميلًا شمال الأهواز. لسترنج: ص269.

والسوس[2]، وأصبحت مدينة أصبهان خالية ليس هناك من يحميها أو يدافع عنها[3].

انتهز ياقوت فرصة مقتل مرداويج وأراد الاستيلاء على الأهواز، واتجه إلى محاربة على بن بويه، وفى الوقت نفسه أرسل على بن بويه أحد قادته من[4] أرجان إلى رامهرمز[5] يريد الأهواز، غير أنه ما لبث أن انسحب إلى أرجان[6].

بقى ياقوت بقواته فى عسكر مكرم حتى أتاه أبو عبد الله البريدي[7]، ثم زحفا نحو أرجان، وأتى على بن بويه[8] بنفسه لمباشرة الحرب، حيث تم له النصر، وخيف على الأهواز منه، فراسله أبو عبد الله البريدى فى طلب الصفح فاستجاب له، وكاتب الوزير أبا على بن مقلة فيما قرره من أمر الصلح فأمضاه، وعاد على بن بويه إلى شيراز، وغدا بذلك الحاكم الفعلى لتلك النواحى، حيث أرسل إليه اللواء والعهد[9].

امتد نفوذ بنى بويه على كثير من أرجاء فارس، فسار الحسن بن بويه إلى أصبهان، وتمكن من الاستيلاء عليها، وأزال عنها وعن بعض بلاد الجبل نواب وشمكير[10]، أما الأخ الثالث أحمد بن بويه، فقد اتجه إلى كرمان[11]، وكان المتغلب عليها

---

(1) جنديسابور: وتقع على ثمانية فراسخ شمال غربى تستر. لسترنج: ص273.
(2) السوس: فى إقليم الجبال وهى سوسة القديمة قرب نهر كرخه. لسترنج: ص274.
(3) مسكويه: جـ5 ص316.
(4) مسكويه: جـ0 ص303.
(5) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحى خوزستان على مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز. ياقوت: جـ4 ص212، لسترنج: بلدان الخلافة ص278.
(6) مسكويه: جـ5 ص303.
(7) قلد الخليفة الراضى ياقوت وابنه المظفر أعمال الحرب والمعاون بالأهواز وتولى كتابته أبو عبد الله محمد البريدى مضافة إلى ما إليه من أعمال الخراج والضياع بالأهواز، مسكويه: جـ5 ص301، ابن الأثير: جـ8 ص99.
(8) مسكويه: جـ5 ص303.
(9) مسكويه: جـ5 ص303، ابن الأثير: جـ8 ص99.
(10) ابن الأثير: جـ8 ص108.
(11) كرمان: ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، تقع مكران شرقيها وفارس

محمد بن إلياس بن إليسع الصفدى، الذى اضطر إلى الرحيل إلى سجستان[1]، وبذلك خلت كرمان لأحمد بن بويه[2].

(ب) دخول بنى بويه بغداد:

ساءت الأوضاع السياسية فى العراق فى الفترة الواقعة من سنة 324هـ حتى دخول بنى بويه بغداد سنة 334هـ / 945م، فقد عجز الوزراء فى عهد الخليفة الراضى (322 – 329هـ / 934 – 940م) عن إدارة شئون البلاد، لازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم فى أمور الدولة، مما دعا الخليفة الراضى إلى استمالة محمد بن رائق – وكان يلى واسط والبصرة – وقلده الإمارة ورياسة الجيش، وجعله أمير الأمراء[3]، ورد إليه أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحى، وفوض إليه تدبير المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وأنفذ إليه اللواء والخلع[4].

كان لهذا العمل الذى قام به الخليفة الراضى أثره على الوزارة، فبطل أمرها منذ يومئذ، فلم يكن الوزير ينظر فى شيء من أمر النواحى ولا الدواوين، ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط، وبطلت الدواوين. فكان ابن رائق وكاتبه ينظران فى الأمور جميعها، وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون، وبطلت بيوت المال، وتغلب أصحاب الأطراف، وزالت عنهم الطاقة[5].

وليس أدل على ضعف شأن الوزير فى عهد الراضى، أن أمير الأمراء أصبح يتدخل فى تعيين الوزراء وعزلهم. فقد أشار ابن رائق إثر تقليده هذا المنصب على الخليفة الراضى بأن

غربيها وخراسان شماليها وبحر فارس جنوبها. ياقوت: جـ7 ص241.

(1) ابن الأثير: جـ8 ص113، النويرى: نهاية الأرب جـ24 ص275 (مخطوط).

(2) مسكويه: جـ5 ص353، ابن الأثير: جـ8 ص113.

(3) يبدو أن محمد بن رائق لم يكن أول من تلقب بأمير الأمراء فقد ذكر مسكويه: جـ5 ص188 أنه لما ظهرت الوحشة بين الخليفة المقتدر ومؤنس الخادم قلد هارون بن غريب إمرة الأمراء سنة 316هـ.

(4) مسكويه: جـ5 ص351.

(5) مسكويه: جـ5 ص352، ابن الأثير: جـ8 ص112.

يولى الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارة، حتى يصبح مطلق التصرف فى أموال الدولة[1].

على أن نفوذ ابن رائق لم يلبث أن ضعف فى سنة 326هـ من جراء منافسة الأمراء له، فقد حاربه أبو عبد الله البريدى صاحب الأهواز، كما خرج عليه أحد قواده واسمه (بجكم) ودخل بغداد سنة 327هـ وآلت إليه إمرة الأمراء واستولى بذلك على جميع شئون الدولة زهاء سنتين (327 – 329هـ) وقد وصف الصولى حالة بغداد فى الوقت الذى تقلد فيه "بجكم" إمرة الأمراء فقال: إن العامة عاثوا فى الأرض فسادًا، وانقضوا على الحمامات العامة وأخذوا ثياب من فيها، وكثرت المصادرات، وتفاقم شر اللصوص، فهاجموا البيوت بالأسلحة، وشكا الناس بلا جدوى إلى "بجكم" ما أحله بهم أصحابه من بلاء وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت حالة العراق، بحيث لم تنته هذه المصائب إلا بوفاة "بجكم"[2].

أدى موت "بجكم" إلى اضطراب عسكره وضعفهم، وإلى تقوية البريديين، بانضمام الديالمة الذين كانوا فى صفوف "بجكم"، وتمكن أبو الحسين البريدى من دخول بغداد فى جيش كثيف من الأتراك والديلم، واستولى على دار الخلافة، وصرف ابن ميمون عن الوزارة وأعمل السلب والنهب فى دار الخلافة[3]، غير أن البريديين لم يستمروا طويلاً فى بغداد فقد عاد الخليفة المتقى (329 – 333هـ / 940 – 944م) بعد ثلاثة أشهر وعشرين يومًا من الموصل إلى حاضرة خلافته فى شوال سنة 330هـ (يونية 942م) بصحبة ناصر الدولة بن حمدان أمير الأمراء الجديد وأخيه سيف الدولة بن حمدان[4] ولم تتمتع بغداد فى ظل الحمدانيين (330 – 331هـ) بالأمن والاستقرار، فقد كثر بها اللصوص، وهاجموا دور الأغنياء، فضلاً عما فرضه ناصر الدولة من الضرائب، وارتفاع الأسعار[5]، كما أن ناصر

---

(1) السيوطى: تاريخ الخلفاء ص26. (م3 – الحياة السياسية).
(2) أخبار الراضى بالله والمتقى لله ص133 - 135.
(3) مسكويه: جـ6 ص9 - 11.
(4) الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص201 – 202، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص158، مطبة الحلبى 1305هـ.
(5) مسكويه: جـ6 ص28. خرج الخليفة من بغداد إلى الموصل بصحبة ابن رائق وهناك قتله ناصر الدولة ابن حمدان. ابن الأثير: جـ8 ص135.

الدولة استأثر بالسلطة دون الخليفة وأساء معاملته، وضيق عليه فى نفقاته[1]، ولم يحتفظ ابن حمدان بمنصبه طويلًا، فرحل إلى الموصل، وأتاح بذلك الفرصة للخليفة المتقى للاستنجاد بتوزون التركي[2].

دخل توزون[3] – أحد قواد الأتراك – بغداد فى رمضان سنة 331هـ (مايو 943م) بعد أن مهد له الخليفة المتقى ذلك، ولقبه أمير الأمراء خلفًا لناصر الدولة[4] وكانت سياسة توزون ترمى إلى مصالحة البريديين فى واسط والتفرغ لمحاربة الحمدانيين ولكن الخليفة لم يقره على هذه السياسة[5].

على أن البريديين سرعان ما استولوا على واسط، فطردهم توزون منها، ثم استولى على تكريت[6]، واتخذ ابن شيرزاد – الذى هرب من البريديين – كاتبًا له، ثم سار ابن شيرزاد إلى بغداد ودخلها فى المحرم سنة 332هـ[7]، فعزم الخليفة على الخروج من حاضرة خلافته[8]. يقول ابن الأثير فى سبب الخلاف بين الخليفة المتقى وتوزون أمير الأمراء أن جماعة من حاشية المتقى كتبوا إلى ابن حمدان لينفذ إليه عسكرًا يسير بصحبة المتقى إليه، وقالوا للمتقى: قد رأيت ما فعل بك البريدى بالأمس، أخذ منك خمسمائة ألف دينار، وأخرجت على الأجناد مثلها، وقد ضمنك البريدى من توزون بخمسمائة ألف دينار أخرى زعم أنها فى يدك من تركة "بجكم" وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك إلى البريدى، فانزعج لذلك (المتقى) وعزم على الذهاب إلى ابن

---

(1) الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص235 - 236.

(2) Muir: The caliphate. Its rise, Decline, and fall p. 513 (London 1915).

(3) وكان البريدى قد ولاه شرطة الجانب الشرقى من بغداد.
مسكويه: جـ6 ص25 – 27، ابن الأثير: جـ8 ص134.

(4) مسكويه: جـ6 ص41.

(5) الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص247.

(6) تكريت: مدينة على بعد ثلاثين ميلًا من شمال سامراء، على ضفة دجلة العربية، وكانت تعد آخر مدينة فى حد العراق. لسترنج: ص81..

(7) الصولى: ص244 - 245.

(8) المصدر نفسه: ص247.

حمدان[1] يقول السيوطى: "فسار المتقى بأهله إلى تكريت وخرج ناصر الدولة بجيش كبير من الأعراب والأكراد لقتال توزون فالتقيا بعكبرا[2]، فانهزم ابن حمدان والخليفة إلى نصيبين[3].

ولما اتصل بتوزون خبر هروب الخليفة من بغداد وتغيره عليه وعمله على التخلص منه، صالح البريدى، ثم قصد بغداد، وسار سيف الدولة الحمدانى إلى تكريت حيث يقيم الخليفة، ولحق به أخوه ناصر الدولة بن حمدان، وعلى مقربة من تكريت وقعت الحرب بين الحمدانيين وتوزون التى انتهت بانتصاره عليهم، ثم سار الحمدانيون بصحبة الخليفة إلى الموصل[4].

كان من أثر انتصار توزون على الحمدانيين فى تكريت أن تشجع للمسير إلى الموصل لاستخلاصها منهم، وكتب إلى الخليفة يستميله، فلم يصغِ إليه الخليفة لأنه لم يكن يثق به، وسار الحمدانيون بصحبة المتقى إلى نصيبين، ثم سار الخَليفة إلى الرقة، ولحق به سيف الدولة، وأرسل المتقى إلى توزون، يذكر أنه استوحش منه لاتصاله بالبريدى، وأنهما صارا يدًا واحدة، فإن آثر رضاه يصالح سيف الدولة وناصر الدولة ليعود إلى بغداد ... فتم الصلح وعقد الضمان على ناصر الدولة لما بيده من البلاد ثلاث سنين على أن يدفع فى كل سنة ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم[5].

لم تكن أحداث العراق خافية عن أحمد بن بويه، فسار جيشه إلى واسط واستولى عليها، ولما علم بذلك توزون صالح ناصر الدولة، وعاد مسرعًا إلى بغداد[6] لمواجهة أحمد بن بويه، الذى كان يعد العدة للزحف على بغداد فى ذى القعدة سنة 332هـ (يونية / يولية

---

(1) الكامل: جـ8 ص142.
(2) تاريخ الخلفاء ص262.
(3) عكبرا: بضم العين وتسكين الكاف وفتح الباء: بليدة من نواحى دجيل بينها وبين بغداد شمالاً عشرة فراسخ. ياقوت الحموى: معجم البلدان ، جـ6 ص203.
(4) الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص252 – 255، ابن الأثير: جـ8 ص144.
(5) ابن الأثير: جـ8 ص144.
(6) الذهبى: تاريخ الإسلام جـ19 ص78 (مخطوط).

944م)[1]، وعلى الرغم من أنه بلغ مشارف بغداد، وكاد أن يستولى عليها بعد عدة معارك، إلا أنه اضطر إلى الانسحاب إلى الأهواز[2].

ويبدو أن أحمد بن بويه إنما قصد بغداد بناء على دعوة من الخليفة المتقى الذى راسله حين كان فى واسط[3]، وقد كشف الصولى عن مكاتبات دارت بينهما، فذكر أنه لما وصلت جيوش أحمد ابن بويه إلى بغداد سنة 332هـ، كانت رسائل المتقى إليه تتلى على الناس، وفيها يحث الخليفة المتقى الأمير البويهى على السير إلى بغداد[4].

لم تلبث الأمور أن تطورت لصالح بنى بويه، بعد أن خلت بغداد ممن يستطيعون الوقوف فى وجههم، فقد قتل "بجكم" سنة 329هـ، ولحق به ابن رائق فى السنة التالية، وفى سنة 332هـ توفى أبو عبد الله البريدي[5]، وقد اختلفت الكلمة بعده على الرياسة بين أخيه أبى الحسين وولده أبا القاسم، ثم انعقدت الرياسة لأخيه، إلا أنه لم يلبث أن خلعه الجنود، ونصبوا مكانه ابن أخيه أبى القاسم، فاستجار بالقرامطة، الذين قدموا معه إلى البصرة، ولما لم يستطيعوا هزيمة أبى القاسم، عقدوا بينه وبين عمه صلحًا[6].

أما فيما يتعلق بالخليفة المتقى، فإنه لما أحس بضجر بنى حمدان من إقامته بالموصل أرسل إلى توزون فى طلب الصلح، كما كاتب ابن طغج الإخشيد (والى مصر) شاكيًا حاله، واستقدمه، فأتى إليه والتقيا فى الرقة[7]. وعرض الأخشيد على الخليفة أن يأتى معه إلى مصر، لكن الخليفة مال إلى مصالحة توزون، بعد أن تعهد بحمايته، وعاد المتقى إلى بغداد، ورجع الإخشيد إلى مصر فى منتصف المحرم سنة 333هـ (سبتمبر 944م)[8] غير أن توزون

---

(1) الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص261.
(2) الصولى: المصدر نفسه ص261، ص264، ابن الأثير: جـ8 ص119 - 120.
(3) الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص263 - 263.
(4) المصدر نفسه: ص258 - 259.
(5) مسكويه: جـ6 ص58.
(6) ابن الأثير: جـ8 ص145.
(7) الرقة: تقع فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال إلى الفرات، قال عنها المقدس أنها قصبة ديار مضر. أحسن التقاسيم ص141، لسترنج: ص132 - 133.
(8) مسكويه: جـ6 ص67 – 68، ابن الأثير: جـ8 ص148 - 149.

لم يلبث أن قبض على الخليفة وسمله وأحضر أبا القاسم عبد الله بن المكتفى ولقبه المستكفى بالله[1].

ظل توزون مستأثرًا بالسلطة دون الخليفة العباسى إلى أن توفى ببغداد فى المحرم سنة 333هـ، وخلفه فى إمرة الأمراء كاتبه أبو جعفر ابن شيرزاد[2]، الذى لم يستطع أن يدير الأمور لفساد الأحوال فى بغداد، فزاد فى أرزاق الجند زيادة كثيرة ضاقت بها موارده، وأخذ فى المصادرات، وفرض على الكتاب والعمال والتجار وسائر طبقات الناس مالًا لأرزاق الجند، كما أثقل كاهل التجار بالضرائب، حتى اضطروا إلى الهرب من بغداد[3].

شجعت الأحداث التى كانت تجرى فى بغداد أحمد بن بويه على معاودة الكرة لدخول بغداد، فكتب "ينال كوشه"[4] ـ الذى كان يتولى أعمال واسط ـ والقواد فى بغداد إلى أحمد بن بويه يطلبون إليه المسير للاستيلاء على الأمور فى بغداد، بعد أن ضاقوا بتنافس الأمراء وتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية فى العراق، فسار أحمد بن بويه من الأهواز إلى بغداد، فاضطرب الأتراك وعبروا دجلة إلى الجانب الشرقى، وساروا إلى الموصل وبقى الديلم فى بغداد[5].

نزل أحمد بن بويه بباب الشماسية – فى الجانب الشرقى من بغداد – يوم السبت الحادى عشر من جمادى الأولى سنة 334هـ (يناير 946م) [6]، فبعث إليه الخليفة الإمدادات والتحف[7]، وأرسل أحد رجاله وهو أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى، فاجتمع بابن

---

(1) ابن الأثير: جـ8 ص148 - 149.
(2) مسكويه: جـ6 ص82، ابن الأثير: جـ8 ص160، ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول ص289.
(3) مسكويه: جـ6 ص83 - 84.
(4) ينال كوشه: أحد الغلمان الأتراك، وكان ابن شيرزاد قد عينه حاكمًا على واسط. مسكويه: جـ6 ص84، ابن الأثير: جـ8 ص160، ابن خلدون: العبر جـ3 ص420.
(5) الذهبى: تاريخ الإسلام جـ19 ص91 (مخطوط) ابن الجوزى: المنتظم جـ6 ص340.
(6) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول القسم الأول ص27 تحقيق زيادة طبعة 1956، العينى: عقد الجمان: جـ19 ص27 (مخطوط).
(7) الذهبى: جـ19 ص91، العينى: جـ19 ص27.

شيرزاد وفاوضه، ثم قصد دار الخلافة، وقابل المستكفى بالله، فأظهر المستكفى سرورًا بقدوم أحمد بن بويه[1].

قابل أحمد بن بويه الخليفة المستكفى فى اليوم التالى، وأخذت عليه البيعة له، واستحلفه بأغلظ الأيمان، ثم لبس أحمد خلع الخليفة، وعقد له لواء إمرة الأمراء ولقبه "معز الدولة" ولقب أخاه عليًّا "عماد الدولة" ولقب الحسن "ركن الدولة" وأمر أن تنقش ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[2].

---

(1) مسكويه: جـ6 ص85.

(2) مسكويه: جـ6 ص85، ابن الأثير: جـ8 ص161، الذهبى: تاريخ الإسلام جـ19 ص91 (مخطوط)، العينى: عقد الجمان جـ19 ص27 (مخطوط).

الدولة الحمدانية فى الموصل

ظهر الحمدانيون فى منطقة الجزيرة سنة 281هـ / 894م حينما استولى حمدان بن حمدون[1] على ماردين، غير أن الخليفة المعتضد ما لبث أن أخرجه منها[2]. ورغم ذلك واصل الحمدانيون جهودهم لتوسيع نفوذهم فى الجزيرة، مما حمل الخلافة العباسية على الاستعانة بهم فى حكم هذه المنطقة، فعيَّن المكتفى أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان حاكمًا على الموصل ونواحيها سنة 293هـ، كما استعان الخليفة بابنه الحسن بن عبد الله بن حمدان فى القضاء على ثورات القرامطة فى منطقة الجزيرة وبلاد الشام، ونجح فى ذلك[3].

لم يحاول الخليفة المقتدر (295 – 320هـ / 908 – 932م) صرف الحمدانيين عن ولاية إقليم الموصل بعد مقتل أبيهم[4]، ولما ولى المتقى لله الخلافة (329 – 333هـ / 940 – 944م) سطع نجم بنى حمدان فى أفق الدولة العباسية. فقد خلع الخليفة على الحسن بن عبد

---

(1) لم يظهر اسم حمدان بن حمدون على مسرح السياسة للدولة العباسية إلا سنة 254هـ / 868م حينما قام مساور بن عبد الحميد الشارى، وهو من الخوارج، بالاستيلاء على الموصل، فتصدى له السن بن أيوب التغلب، يشد من أزره حمدان بن حمدون مع هارون الشارى، ودخلا الموصل فاتحين، غير أن حالة الموصل تقلق الخلافة العباسية، ويزداد خطره، فيخرج إليه الخليفة المعتضد سنة 281هـ فيسترد منه الموصل ويحتل قلعة ماردين، ويضيق عليه السبل حتى يسلم نفسه إليه فيوضع فى السجن. ابن الأثير: جـ7 ص66، 151، الطبرى: حوادث سنة 281هـ، 282هـ.

(2) الطبرى: الأمم والملوك جـ13 ص2141، بيروت 1965.

(3) عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبرى ص6 – 8.

(4) قتل أبى الهيجاء بعد اشتراكه فى المؤامرة التى هدفت إلى خلع المقتدر وتنصيب القاهر سنة 317هـ. غريب بن سعد: نفس المصدر ص74.

الله الحمدانى ولقبه "ناصر الدولة"[1]، كما خلع على أخيه أبى الحسين ولقبه "سيف الدولة"[2].

ولى ناصر الدولة إمرة الأمراء فى بغداد سنة 330هـ / 941م[3]، ولكنه لم يستطع أن يقر النظام بها، فرحل عن بغداد إلى الموصل فى السنة التالية[4]، وبذلك مهد السبيل لدخول توزون بغداد[5] بعد انتصاره على البريد بين واسط والبصرة[6].

ولما رحل ناصر الدولة إلى الموصل، اتفق مع توزون على أن تكون الأعمال فى مدينة الموصل إلى أعالى الشام خاضعة له، وأن تكون أعمال السن[7] إلى البصرة لتوزون وما يفتحه من وراء ذلك، وألا يعرض أحد منهما لعمل الآخر[8]، لكنهما ما لبثا أن فُوجِئَا بعد هذا الاتفاق بتقدم جيوش الديلم من الشرق ودخول بنى بويه بغداد[9].

لما استقرت الأمور لمعز الدولة بن بويه فى بغداد، رأى أن دولة الحمدانيين فى الموصل تشكل خطرًا عليه، ومن ثمَّ قامت الحرب بين معز الدولة بن بويه (ومعه الخليفة المطيع لله)[10] وناصر الدولة بن حمدان عند عكبرا[11] فى سنة 334هـ، وفُوجِئَ معز الدولة

---

(1) دخل البريديون بغداد سنة 330هـ، وفر الخليفة إلى الموصل مع أمير الأمراء محمد بن رائق، وتمكن الحسن بن حمدان من إعادة الخليفة إلى بغداد بعد فرار البريدين منها. ابن الأثير: جـ8ص135– 136.

(2) ابن الأثير: نفس المصدر والصفحة، المسعودى: مروج الذهب جـ2 ص376.

(3) يذكر ابن الأثير: جـ8 ص143 أن ناصر الدولة تمكن هو وأخوه سيف الدولة من الانتصار على البريديين فى عدة مواقع.

(4) أبو بكر الصولى: أخبار الراضى والمتقى ص240، 242. فقد قامت الوحشة بين الخليفة المتقى وناصر الدولة بسبب تضييق ناصر على الخليفة فى نفقاته وانتزاعه ضياعه، وعزم ناصر الدولة على الرحيل إلى الموصل ورفض طلب الخليفة بالانتظار ريثما يستعد للرحيل معه.

(5) الصولى: المصدر نفسه.

(6) Muir: The caliphate. P. 583.

ويبرر ميورترك الحمدانيين بغداد بعدم استطاعتهم فرض نفوذهم على الأتراك فى بغداد التى أصبحت مرعى خصبًا للفوضى ومصادرة الأهالى

(7) السن: بلدة على ميل تحت ملتقى الزاب الأسفل بدجلة. لسترنج: بلدان الخلافة ص120.

(8) ابن العديم: زبدة الحلف فى تاريخ حلب جـ1 ص104 (تحقيق د. سامى الدهان دمشق 1901م).

(9) مسكويه: جـ6 ص85، ابن الأثير: جـ8 ص161.

(10) ابن الجوزى: المنتظم جـ6 ص265.

(11) مسكويه: جـ6 ص89، ابن الأثير: جـ8 ص162.

بانصراف ابن شيرزاد عنه راجعًا إلى بغداد مع أبى العطف جبير بن عبد الله بن حمدان ابن أخى ناصر الدولة، فتحرج موقف معز الدولة الذى لم ييأس وسار إلى تكريت فنهبها[1]، ثم عبر مع قواته إلى الجانب الغربى من دجلة وتقدموا إلى بغداد وبإزائهم على الشاطئ الشرقى ناصر الدولة بن حمدان وجنوده الأتراك[2].

استطاع معز الدولة أن يخدع ناصر الدولة وجيشه بانضمام جماعة من جنده مستأمنين إلى ناصر الدولة، لكنهم ما لبثوا أن انقلبوا على جيش ناصر الدولة وأوقعوا به الهزيمة[3]، فعهد ناصر الدولة إلى فرض الحصار على معز الدولة وجيشه لإرغامه على الاستسلام، فمنع عنه الميرة والعلف، حتى ندرت الأقوات بالجانب الغربى واشتد الغلاء، بينما نعم أهل الجانب الشرقى برخص الأسعار[4].

لجأ معز الدولة إلى خديعة ناصر الدولة مرة ثانية عندما قام بتقسيم جيشه للعبور إلى الجانب الشرقي[5]، فعهد إلى وزيره أبى جعفر الصيمرى والى خاله أصفهدوست الديلمى بالعبور من موضع يقال له "الثمانين"، وأظهر أنه يريد العبور من جهة "قطربل" فى الشمال الغربى من بغداد، ولما علم بعبور أصحابه عاد إلى مكانه الأول، ونقل بقية جيشه إلى الجانب الشرقى، بعد أن أوقع الاضطراب والفوضى فى جيش ناصر الدولة وألجأه إلى الفرار[6] إلى عكبرا، فلما استقر بها راسل معز الدولة يلتمس الصلح فى المحرم سنة 335هـ (سبتمبر 946م)، ولما علم الأتراك بما فعله ناصر الدولة ثاروا عليه، وحاولوا الفتك به، فهرب منهم إلى الموصل، ثم استقر الصلح بينه وبين معز الدولة سنة 335هـ[7]، على أن يكون لناصر الدولة من حد تكريت إلى الشمال، على ألا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئًا مما كان يحمله من المال، وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والفاء به[8].

---

(1) لأنها كانت لناصر الدولة. مسكويه: جـ6 ص89 - 90.
(2) المصدر نفسه جـ6 ص90.
(3) المصدر نفسه.
(4) مسكويه: جـ6 ص91 – 93، ابن الأثير: جـ8 ص162.
(5) مسكويه: جـ6 ص92 - 93.
(6) المصدر نفسه ص93 - 94.
(7) مسكويه: جـ6 ص94، ابن الأثير: جـ8 ص163.
(8) مسكويه: جـ6 ص108.

على أن معز الدولة ما لبث فى سنة 337هـ أن سار قاصدًا الموصل لمحاربة الحمدانيين. فلما علم بذلك ناصر الدولة رحل عن الموصل إلى نصيبين[1] فملكها معز الدولة وأخذ أموال أهلها[2]، وأراد معز الدولة أن يستولى على جميع بلاد ناصر الدولة، لكنه شغل بمد أخيه ركن الدولة بالعساكر، واضطر إلى مصالحة ناصر الدولة، واستقر الصلح بينهم على أن يؤدى ناصر الدولة عن الموصل وديار مضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم، ويقيم الخطبة فى بلاده لعماد الدولة وعز الدولة وبختيار بن معز الدولة[3]، وضمانًا لتنفيذ شروط الصلح أخذ معز الدولة معه الفضل والحسين ابنا ناصر الدولة رهينة، وعاد إلى بغداد فى ذى الحجة سنة 337هـ (يونيه 949م) [4].

وفى سنة 345هـ انتهز ناصر الدولة فرصة تمرد روزبهان الديلمى ـ أحد قواد معز الدولة ـ فأرسل ابنه أبا المرجى جابر ومعه أحد إخوته إلى بغداد، فلما علم الخليفة المطيع بتقدم الحمدانيين خرج من بغداد ولحق بمعز الدولة فى واسط، فأرسل معز الدولة الحاجب سبكتكين من واسط إلى بغداد لحفظها ومنع الحمدانيين من دخولها، وبعد أن هزم معز الدولة روزبهان وأسره، عاد إلى بغداد وعهد إلى سبكتكين بمطاردة أبى المرجى الذى رحل إلى الموصل، وفى العام التالى (346هـ) سار معز الدولة إلى الموصل، فأرسل إليه ناصر الدولة يطلب الصلح على ألف ألف درهم فى السنة، فرضى معز الدولة بذلك[5]، غير أن ناصر الدولة فسر رضاء معز الدولة بالصلح بعدم مقدرته على محاربته، فامتنع عن أداء المال المطلوب منه[6]، ورأى معز الدولة فى سنة 347هـ أن يتجهز للسير إلى الموصل، فأرسل إليه ناصر الدولة يترضاه، فرد عليه معز الدولة بكتاب توعده فيه وهدده بالمسير إلى بلاده[7]، فكان من نتيجة ذلك أن اتفق ناصر الدولة مع معز الدولة على أن يعجل له بدفع ألفى ألف درهم، ويتعهد بدفع مثلها كل سنة، غير أن ناصر الدولة عاد إلى

---

(1) نصيبين: من أعظم مدن الجزيرة، تقوم فى أعالى نهر الهرماس لسترنج: بلدان الخلافة ص124.
(2) ابن الأثير: جـ8 ص171 – 172، وكان ذلك فى رمضان سنة 337هـ (مارس 949م).
(3) مسكويه: جـ6 ص115، ابن الأثير: جـ8 ص172.
(4) المصدران السابقان.
(5) انظر ابن الأثير: جـ8 ص185 - 186.
(6) انظر ابن الأثير: جـ8 ص187.
(7) مسكويه: جـ6 ص169.

العصيان، واتبع أسلوبًا جديدًا فى محاربة ناصر الدولة، بأن أخلى له مدينة الموصل من الأموال والمواد الغذائية، ومنع دخول الطعام والعلف إليها، ومنع من يخرج منها لطلب ذلك[1]، كذلك لجأ إلى الخديعة ليجبر معز الدولة على الرحيل عن ممتلكاته، فأمر بتسريح جيشه وصرفه، وانسحب هو إلى أخيه سيف الدولة بحلب، بعد أن انضم جيشه إلى معز الدولة، فكان من نتيجة ذلك أن الأمور لم تستقر لمعز الدولة، بسبب مضايقة أبناء ناصر الدولة، وإغارات الأعراب، فضلًا عن حاجته إلى المال لينفقه فى جيشه[2].

أراد معز الدولة الخروج من ضائقته المالية، فأرسل إلى كافور الأخشيدى فى مصر يطلب إرسال مال إليه، فرد كافور رسوله خائبًا[3]، ووجد ناصر الدولة الفرصة مواتية للصلح، وتوسط فى ذلك أخوه سيف الدولة الحمدانى، وعرض على معز الدولة أن يقوم بضمان البلاد نيابة عن أخيه، فتم الصلح فى محرم سنة 348هـ (مارس 959م)، وعقد الضمان على سيف الدولة على الموصل وديار ربيعة بألفى ألف درهم وتسعمائة ألف درهم فى السنة[4].

استمر السلام بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بعد عقد هذا الصلح خمس سنوات، فلما تأخر ناصر الدولة فى أداء ما عليه من الأموال حتى سنة 353هـ أرسل إلى معز الدولة يطلب تعديل شروط الصلح، على أن يؤدى ما عليه عن سنتى 353، 354هـ ألفى ألف درهم يعجل منها مائتى ألف درهم، والباقى يقسط على ثلاث سنوات، فرضى معز الدولة بذلك، وعرض ناصر الدولة أن يزيد فى مال الضمان عشرة آلاف دينار مقابل

---

(1) نفس المصدر ص171.

(2) نفس المصدر ص175.

(3) كان كافور يرغب فى إحراج مركز معز الدولة فأخر رسوله مدة وبث جواسيسه ليتعرف أخبار معز الدولة حتى إذا ما جاءته الأخبار بأنه تخلص من ورطته سارع إلى إمداده بالمال مجاملة له واستبقاء لصداقته، أما إذا جاءته الأخبار باستمرار حالة الضيق ضن عليه بالمال إجهازًا عليه. مسكويه: جـ6 ص172.

(4) مسكويه: جـ6 ص174 – 175. الذهبى: تاريخ الإسلام حوادث سنة 347هـ (مخطوط)، ويعلل ابن الأثير إجابة معز الدولة ناصر الدولة إلى الصلح بعد تمكنه من البلاد أن الأموال ضاقت عليه، وتقاعد الناس فى حمل الخراج بحجة عدم تمكنهم من الوصول إلى غلاتهم وطلبهم الحماية من الأعراب أصحاب ناصر الدولة، فأنف معز الدولة من ذلك. الكمال: جـ8 ص188 - 189.

أن يشترك معه ابنه أبو تغلب فضل الله الغضنفر فى الضمان وأن يحلف لهما معز الدولة على ذلك[1]، فأبى معز الدولة قبول هذا الشرط خشية أن يكون ذلك بمثابة اعتراف منه بشرعية اشتراك أبى تغلب مع أبيه فى الحكم، وممهدًا لولايته الحكم بعده[2].

لم يكد معز الدولة يعلن رفض هذا الاقتراح حتى وصل إليه المبلغ الذى اتفق على تعجيله فى جمادى الآخرة سنة 353هـ (يونيه 964م) ويبدو أن ناصر الدولة لم يصل إلى علمه وقت إرسال الأموال بفشل "الباهلي" رسوله فى مفاوضات زيادة الضمان مقابل اشتراك أبى تغلب معه فى الحكم، وتأهب معز الدولة للمسير إلى الموصل للقضاء على ناصر الدولة إذ أدرك من محاولاته أنه يرمى إلى توسيع سلطانه، وجعل الحكم وراثيًا فى أبنائه، غير أن ناصر الدولة رحل إلى نصيبى، ودخل معز الدولة الموصل فى شعبان سنة 353هـ (أغسطس 964م)، ثم بارحها إلى "بلد" ثم توجه إلى الموصل خوفًا من أن يكون ناصر الدولة قد عزم على الرجوع إليها[3].

كان أبو تغلب واخوته أبناء ناصر الدولة قد دخلوا الموصل فى غياب معز الدولة عنها، ووقع بينهم وبين أصحابه قتال شديد، لكنهم هزموا ولم يتمكنوا من الاستيلاء على هذه المدينة، فانصرفوا عنها، بعد أن أحرقوا السفن التى كانت لمعز الدولة وأصحابه فى دجلة، كما أحرقوا السفن التى كانت لهم فى "بلد"، وسر معز الدولة لهزيمة أبناء ناصر الدولة وأقام ببرقعيد[4] يتلمس أخبار ناصر الدولة، ولما بلغه أنه نزل بجزيرة ابن عمر سار إليها، وفى الطريق لحق به حمدان ابن ناصر الدولة مستأمنًا إليه[5] كما قدم عليه فى "بلد" أبو الهيجاء حرب بن أبى حمدان طالبًا الأمان وساروا جميعًا إلى نصيبين، وفيها جاء أبو جعفر العلوى النصيبينى برسالة من ناصر الدولة يلتمس فيها الصلح، فلم يجبه إلى طلبه وفى هذا الوقت كان أبو تغلب قد وصل إلى الموصل غير أنه اضطر إلى تركها بعد أن أبلغه قدوم

---

(1) مسكويه جـ6 ص204.
(2) عبد الحميد على عثمان عبيد: الحمدانيون فى الموصل وحلب ص65، رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة.
(3) مسكويه: جـ6 ص204، 205، عقد الجمان: حوادث سنة 353هـ ص171.
(4) برقعيد: بلدة كبيرة على طريق نصيبين مما يلى باعيناثا، ويضرب المثل بأهل برقعيد فى اللصوصية. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص130.
(5) مسكويه: جـ6 ص205.

معز الدولة إليها وتصميمه على عدم مغادرتها إلا بعد إخضاعهم وتوقيع صلح يحقق رغباته، فكان ذلك مما حمل أبا تغلب على أن يرسل إليه يلتمس منه الصلح، واستقر الرأى بعد تبادل المراسلات بينهما على أن يتولى أبو تغلب الموصل وديار ربيعة والرحبة والبلاد التى كان والده يدير شئونها مقابل أدائه ستة آلاف ألف ومائتى ألف درهم فى السنة ابتداء من سنة 354هـ إلى سنة 357هـ وأن يدفع أبو تغلب عن بقايا سنة 353هـ ستمائة ألف درهم معجلة وأن يطلق سراح الأسرى الذين وقعوا فى أيديهم ويرسلوهم إلى الحديثة[1] عند وصول معز الدولة إليها[2].

دب الخلاف بين أفراد البيت الحمدانى، حينما رأى بعضهم مهاجمة البويهيين فى العراق بعد وفاة معز الدولة سنة 356هـ (967م) [3]، وتولية ابنه عز الدولة بختيار بسبب ما بلغهم من سوء سياسته[4]، لكن والدهم ناصر الدولة نصحهم بالتريث وقال لهم: "لا تعجلوا، فإن معز الدولة قد خلف لابنه شيئًا من المال سيفرقه على جنده ولستم بمستظهرين عليه، ولا متمكنين من دولته، إلا بعد أن تفنى حيله، وتخلوا يده من المال، فإذا كان ذلك فسيروا إليه، وكاثروه بالمال، وأفسدوا عليه قلوب الرجال، فإنكم تملكونه لا محالة"[5]، غير أن هذا القول لم يلق قبولًا من أبناء ناصر الدولة، واختلفت كلمتهم، وأدى هذا الخلاف بينهم إلى القبض على ناصر الدولة وسجنه سنة 356هـ[6].

عمد أبو تغلب إلى مداراة عز الدولة بختيار وتجديد عقد الضمان معه والتماس العهد والخلع، ليستظهر بذلك على إخوته المخالفين، فأرسل لذلك كاتبه أبا الحسن على بن

---

(1) الحديثه: على فرسخ فوق ملتقى الزاب الأعلى وتسمى حديثة الموصل تمييزًا لها عن حديثة الفرات. لسترنج: بلدان الخلافة ص119.

(2) مسكويه: جـ6 ص206.

(3) توفى معز الدولة 27 ربيع الأول سنة 356هـ (14 فبراير 967م).

(4) ابن الأثير: جـ8 ص208.

(5) راجع تجارب الأمم جـ6 ص238، ابن الأثير: جـ8 ص208.

(6) سجن ناصر الدولة فى قلعة أردمشت فى 24 جمادى الأولى سنة 356هـ (9 مايو 967م) ثم لم يلبث أن نقل إلى قلعة كواش حينما حاول ناصر الدولة الخروج من الأسر بعد أن وقع الكتاب الذى أرسله إلى ابنه حمدان فى يد إخوته. مسكويه: جـ6 ص255، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ11 ص267.

عمرو بن ميمون إلى بغداد لتجديد عقد الضمان مقابل ألف ألف ومائتى ألف درهم[1]، أما حمدان بن ناصر الدولة، فسار بعد وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة إلى الرقة، واستولى عليها، ثم خرج منها إلى نصيبيين وضمها إلى حوزته، ولما علم بالقبض على والده عظم ذلك عليه، وغضب لما وقع من إخوته، فجمع من أطاعه من أهله وإخوته، وطالب أبا تغلب وإخوته بالإفراج عن أبيهم، واشتبك الأخوان فى قتال لم ترجح فيه كفة أحدهما على الآخر. ثم اصطلحا، وعاد كل منهما إلى بلاده، غير أن أبا تغلب أساء معاملة أخيه حمدان، وصادر ضياعه، ثم أرسل إليه أخاه أبا البركات لمحاربته، فلما اقترب منه طلب معظم أصحاب حمدان الأمان، مما اضطر حمدان إلى الخروج من بلاده منهزمًا والمسير بأولاده ونسائه مستأمنا إلى عز الدولة بختيار فى شهر رمضان سنة 258هـ (يوليه 968م) فأكرم وفادته وتوسط فى الصلح بينه وبين أخيه، وأرسل النقيب أحمد الموسوى والد الشريف الرضى سفيرًا فى الصلح بين ولدى ناصر الدولة، حيث تم الصلح بين الأخوين وعاد حمدان إلى الرحبه[2]، ثم تجدد النزاع فى عنف وشدة بين أبى تغلب وحمدان واضطر حمدان إلى السير إلى بغداد لاجئًا من جديد إلى عز الدولة بختيار[3].

كان أبو تغلب ينقم على البوهيين لازدياد نفوذهم، ويرجو إزالة سلطانهم فى العراق، فلما قصد بختيار بلاد الموصل لمعاونة حمدان عليه، انتهز فرصة ابتعاد بختيار عن بغداد وخلوها من جنده وقصدها وكاد يستولى عليها، غير أن الحرب بينهما انتهت بإقرار الصلح سنة 363هـ على أن يضمن أبو تغلب البلاد على ما كانت معه، وأن يطلق اختيار ثلاثة آلاف "كر" غلة عوضًا عن مؤنة سفره، وأن يرد على أخيه حمدان أملاكه وإقطاعه[4]، ولما ولى عضد الدولة أمور العراق، واستولى على الموصل وديار ربيعة وديار مضر سنة 368هـ ساءت العلاقة بينه وبين أبى تغلب[5] الذى عول على قصد دمشق، بعد

(1) ابن الأثير: جـ8 ص208.
(2) الرحبة: تقع بين الرقة وبغداد على قرب نهر يقال له سعيد كان يخرج من يمين الفرات جنوبى قرقيسياء. لسترنج: بلدان الخلافة ص137.
(3) ابن الأثير: جـ8 ص213 - 214.
(4) نفس المصدر: ص226 - 228.
(5) فقد رفض عضد الدولة إجابة طلبه فى ضمان بلاده. ابن العميد: تاريخ المسلمين ص236 – 237، ابن الأثير: جـ8 ص250 - 253.

أن فقد بلاده فامتنعت عليه، وتصدى له "دغفل بن مفرج الطائي" (أمير الرملة) والفضل بن صالح قائد جيش العزيز بالله الفاطمى بدمشق وأحلا به الهزيمة فى صفر سنة 369هـ (أغسطس 979م) [1].

على أن الحمدانيين ما لبثوا أن استعادوا الموصل وما يليها من البلاد فى سنة 379هـ على يد أبى طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة وأخيه أبى عبد الله الحسين[2]، لكنهم لم يبقوا فيها أكثر من سنة، فقد طمع الأكراد فى إزالة دولتهم، وعلى الرغم من قتل "باذ الكردي" أحد زعمائهم فإن ابن أخته أبا على بن مروان تمكن من الانتصار على أبى عبد الله الحسين أخى أبى تغلب بن ناصر الدولة[3]، وفى سنة 380هـ (990م) قتل أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بنى عقيل[4]، أبا طاهر بن ناصر الدولة واستولى على الموصل، فأقره بهاء الدولة البويهى عليها. وبذلك زال سلطان الحمدانيين نهائيًّا من الموصل وحلت محلها دولة العقيليين[5] التى ظلت قائمة حتى سنة 489هـ.

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ1 ص141.

(2) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص174 - 175.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ3 ص209.

(4) كان بنو عقيل من رعايا الحمدانيين، يؤدون إليهم الإتاوة ويخرجون معهم فى الحروب ولكن سرعان ما تطلعوا إلى السيطرة على الموصل، بعد أن تطرق الضعف إلى دولة بنى حمدان. خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل فى الموصل ص50 - 51.

(5) أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص178 – 179، استولى أبو الدرداء من الحمدانيين سنة 279هـ على مدينتى نصيبين وبلد وضم إليهما الموصل سنة 380هـ ولكنه طرد منها على يد بنى بويه سنة 381هـ إلى أن استولى أخوه المقلد بن المسيب على الموصل سنة 386هـ وأقره بهاء الدولة على هذه البلاد وما يليها.

Lauo poole: Muhammadan Dynasties pp. 116-117.

الدولة السامانية

ينتسب السامانيون إلى أسرة فارسية عريقة فى المجد، يرجع أصلها إلى بهرام جوبين[1] الذى يعتبر من أنجب أبناء فارس[2].

اتصل سامان[3] ـ جد هذه الأسرة ـ بالدولة الإسلامية فى عهد هشام بن عبد الملك، فوفد على "أسد بن عبد الله القسرى"[4] والى خراسان، واعتنق الإسلام على يديه، وسمى ابنه أسدًا تبركًا به[5].

ظهر أولاد أسد بن سامان فى عهد الخليفة المأمون الذى عرف منزلتهم[6]، فولى

(1) ذكر ياقوت الحموى أن السامانيين ينسبون إلى بهرام جور. معجم البلدان جـ5، ص12 وذهب ابن الأثير: الكامل جـ7، ص99، والسمعانى: الأنساب ورقة رقم 286 (مخطوط) والكرديزى: زين الأخبار ص145 – 146 والبيرونى: الآثار الباقية، ص39 إلى أن السامانيين ينسبون إلى بهرام جوبين.

(2) كريستينسن: إيران فى عهد الساسانيين، ص427 – 429، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة 1957.

(3) سمى: "سامان" نسبة إلى قرية بناها هذا الجد بنواحى بلخ وسماها سامان، وإن كانت دائرة المعارف الإسلامية تردد أن الاسم مركب من "سامان خداه" بمعنى حاكم سامان، النرشخى: تاريخ بخارى ص86 – 87. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص128، ترجمة للفارسية عباس إقبال وترجمه عن الفارسية مكى طاهر، مطبعة البصرى، بغداد 1968، دائرة المعارف الإسلامية، جـ11، ص76.

(4) وكان يلقب "ناصر المظلومين".أرمينيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص93، ترجمه أحمد محمود الساداتى.

(5) النسرشخى: تاريخ بخارى، ص86 – 87، ترجمة أمين عبد المجيد، ونصر الله الطرازى. فامبرى: تاريخ بخارى، ص93، لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص128.

(6) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص82.

نوح بن أسد[1] سمرقند[2] فى سنة 204هـ / 819م وأحمد بن أسد فرغانه[3]، ويحيى بن أسد الشاش[4] (طشقند) وأشروسنة[5]، وإلياس على هراة[6]، ولما ولى طاهر بن الحسين بلاد خراسان أقرهم فى هذه الأعمال[7].

أقر العباسيون أبناء أسد بن سامان على ولاياتهم، فظل نوح بن أسد حاكم سمرقند فى ولايته إلى أن توفى سنة 228هـ / 842م[8]، حيث خلفه أخوه أحمد[9]، أما يحيى بن أسد فظل يحكم الشاش وأشروسنه حتى سنة 251هـ / 865م، كما ظل إلياس بن أسد يلى هراة إلى وفاته سنة 252هـ / 866م[10].

---

(1) كان نوح عاملًا على بخارى من قبل المأمون، وهو الذى أهدى إليه طولون أبا أحمد بن طولون فأهداه إلى المأمون. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ3، ص311 - 312.

(2) سمرقند: وتقع على بعد مائة وخمسين ميلًا شرقى بخارى. ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ3، ص134، لسترنج: بلدان الخلافة، ص506.

(3) فرغانة: كان يعرف إلى وقت قريب بخانية خوقند، وكانت قصبته مدينة "أخسيكث" التى سماها العرب فرغانة، وتقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية، وبين فرغانة وسمرقند مائة وخمسة وعشرون ميلًا، ويقول ياقوت: "فرغانة قرية من قرى فارس".معجم البلدان جـ6، ص364، لسترنج: بلدان الخلافة، ص521.

(4) الشاش: غرب فرغانة على ضفة نهر سيحون اليمنى، ذكرت بأسماء كثيرة منها الشاش وينطقها الفرس (جاج) وتاشكنت المحرف من الشاش إلى تاش وتاشقند وتاشكنت ومعناها "مدينة الحجر" مع أن الحجر لا يكاد يوجد بتلك المنطقة. لسترنج: بلدان الخلافة، ص523 – 524، بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا، ص83.

(5) أشروسنة: وتكتب: أسروسنة، وسروسنة، وستروشنة، وتقع شرقى سمرقند، وكانت قصبتها "بنجكث". لسترنج، ص517 - 518.

(6) وكان ذلك مكافأة لهم على جهودهم فى مساندة الخلافة العباسية فى القضاء على ثورة رافع بن الليث الذى خرج على أبيه هارون الرشيد الذى مات قبل أن يقضى عليه، وبعد أن فشل قائد المأمون خزيمة بن الخازم فى القضاء عليه أيضًا. فامبرى: تاريخ بخارى، ص90 - 91.

(7) النرشخى: تاريخ بخارى، ص74، الكرديزى: زين الأخبار، ص16 – 17، ابن الأثير: جـ7،ص99.

(8) السمعانى: الأنساب، ورقة 286 (مخطوط).

(9) فامبرى: تاريخ بخارى، ص94.

(10) السمعانى: الأنساب، ورقة 286 (مخطوط).

علا شأن أحمد بن أسد من بين إخوته، وصار يلى حكم فرغانة وقسما من الصفد وسمرقند[1]، وكان لأحمد بن أسد سبعة أولاد، اشتهر منهم نصر بن أحمد وإسماعيل بن أحمد، فلما توفى أحمد سنة 250هـ / 864م خلفه ابنه نصر[2]، ثم أصبح واليًا على بلاد ما وراء النهر من قبل الخليفة المعتمد سنة 261هـ / 874م[3]، ولم يلبث أن ولى أخاه إسماعيل بن أحمد[4] على بخاري[5].

أقام إسماعيل بن أحمد فترة من الزمن فى بخارى، ثم سار إلى سمرقند بدون إذن من أخيه، واعتبر نصر هذا التصرف إهانة له، فساءت العلاقات بينهما[6].

عمل إسماعيل بعد قدومه إلى بخارى على تحسين علاقته مع رافع بن هرثمة[7]، حتى إنه لما طلب من رافع أن ينزل له عن خوارزم أجابه إلى ما أراد، واتخذ الوشاة من سياسة إسماعيل فى التقرب من رافع بمثابة تحالف ضد نصر بن أحمد فأخبراه بأن هدف إسماعيل من صداقته لرافع هى إخراجه من بلاد ما وراء النهر[8]، ورأى نصر من ناحيته أن يختلق سببًا لإثارة أخيه إسماعيل، فاتهمه بالتقصير فى دفع الخراج إليه، واتخذ من ذلك مبررًا

---

(1) السابق نفسه.

(2) فامبرى: تاريخ بخارى، ص94.

(3) ابن الأثير: الكامل، جـ7، ص99.

يذكر فامبرى أنه قد تم لبلاد ما وراء النهر ولتركستان وحدتها بالمرسوم الذى أصدره الخليفة المعتمد بتولية نصر إمارة بلاد ما وراء النهر، وجعل له كل البلاد الممتدة من شواطئ جيحون حتى أقصى بلاد المشرق. تاريخ بخارى، ص95.

(4) ابن الأثير: جـ7، ص99.

(5) غزا حسين بن طاهر أمير خوارزم بخارى سنة 259هـ فأعمل السلب والنهب، فاستند أهلها بنصر السامانى، فَسَيَّر إليهم أخاه إسماعيل الذى دخل بخارى وخطب فيها باسم نصر فى غرة رمضان سنة 260هـ (يونية 873م). النرشخى: تاريخ بخارى، ص107 – 109. فامبرى: تاريخ بخارى، ص94 - 95.

(6) يذكر النرشخى أن القطيعة استمرت بين الأخوين حتى شفع له ابن عمه محمد بن نوح وعبد الجبار بن حمزة، تاريخ بخارى، ص110.

(7) وكان ثائرًا إقطاعيًّا فصار عاملًا للخليفة على خراسان. فامبرى: تاريخ بخارى، ص96.

(8) دائرة المعارف الإسلامية، جـ11، ص78، فامبرى: تاريخ بخارى، هامش ص95.

لمهاجمته بجيشه، مما اضطر إسماعيل إلى الفرار إلى بيكند[1] عبر فاراب[2]، حيث أوفد رسولًا إلى حليفه رافع بن هرثمة، الذى سار بدوره فعبر جيحون متوجهًا صوب بخارى، غير أن رافع خشى أن يعود الوئام بين نصر وإسماعيل فيتفقا عليه، ومن ثم عمد إلى التوسط بينهما[3] فتصالحا، وكانت شروط الصلح تقضى بأن يكون أمير بخارى إسحاق بن أحمد، ويكون إسماعيل عاملًا على الخراج، وأن يدفع كل سنة خمسمائة ألف درهم.. ثم عاد نصر بن أحمد إلى سمرقند فى سنة 273هـ / 885م.

على أن الحرب بين الأخوين ما لبثت أن تجددت، ولما يمض على الصلح خمسة عشر شهرًا، فبادر نصر بالعدوان فى سنة 275هـ / 888م بحجة أن إسماعيل لم يرسل شيئًا من الأموال التى اتفق عليها، غير أن إسماعيل احتاط بإمدادات من خوارزم[4]، وانجلت المعركة بانهزام إسحاق بن أحمد والى بخارى من قبل نصر بن أحمد، وسار إلى فاراب[5].

عاد نصر بن أحمد مرة ثانية لقتال إسماعيل، لكن إسماعيل تمكن من إحراز النصر على جيش فرغانة بقيادة أبى الأشعث فى النصف الثانى من عام 275هـ / 888م، وكاد نصر يلقى حتفه على يد جماعة من الخوارزميين[6]، ولما حمل إلى إسماعيل قال له: أيها الأمير إنها إرادة الله التى شاءت أن أراك اليوم وأنت فى الأسر"، فأجابه نصر بقوله: "بل هى إرادتك أنت إذ خرجت على سيدك وأذنبت بذلك فى حق الله عز وجل". هنالك أقر إسماعيل بجرمه وسأله أن يصفح عنه وعرض عليه أن يسيره من فوره إلى مقر

---

(1) بيكند: بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى، وكانت منيعة، فقد بلغ عدد الرباطات (جمع رباط) بها نحو ألف رباط. ياقوت: معجم البلدان، جـ2، ص329 - 340.

(2) فاراب: ولاية وراء نهر سيحون فى تخوم بلاد الترك، ويذكر لسترنج أنها على ضفة سيحون الشرقية، ويُنْسَب إليها أبو نصر الفارابى المتوفى سنة 339هـ. بلدان الخلافة الشرقية، ص528، ياقوت: جـ6، ص322.

(3) النرشخى: تاريخ بخارى، ص113 – 114، فامبرى: تاريخ بخارى، ص96 – 97، ابن الأثير: الكامل جـ7، ص100.

(4) فامبرى: ص97.

(5) النرشخى: ص114 - 115.

(6) فامبرى: ص97.

ولايته، واستقر الرأى بينهما على مسير نصر إلى سمرقند[1]، وظل إسماعيل نائبًا عنه فى بخارى[2].

بسط إسماعيل بن أحمد سلطانه على خوارزم وبلاد ما وراء النهر عام 280هـ / 893 ـ 894م عقب وفاة أخيه، وظل مقيمًا فى بخارى[3] وأقره الخليفة المعتضد فى إمارته فى المحرم سنة 280هـ[4].

اتسعت رقعة الدولة السامانية فى عهد إسماعيل بن أحمد حتى غدت بخارى حاضرة كل ولايات آسيا الوسطى، ذلك أن سلطانه امتد شمالًا حتى مشارف صحراء قراقروم وشرقًا حتى وديان تيان شان، وجنوبًا حتى الخليج الفارسى وحدود الهند الشمالية وغربًا إلى ما وراء العراق العجمى[5]. وأصبح عمال إسماعيل هم أصحاب الأمر والنهى فى مرو ونيسابور والرى وآمل وقزوين وأصفهان وشيراز، غير أن الحروب التى خاض غمارها لتثبيت ذلك الملك الواسع، أنهكت قواه فتوفى سنة 295هـ وهو فى الحادية والستين من عمره بعد أن حكم أربعة وثلاثين سنة[6].

لم يظهر بعد إسماعيل بن أحمد أمير قدير من السامانيين، ولكن حسن إدارتهم واستقرار حكمهم فى بلاد ما وراء النهر، مكنهم من المحافظة على ملكهم مدة مائة سنة. فقد أقر الخليفة المكتفى أحمد بن إسماعيل على ولاية أبيه، وخلع عليه فى ذى القعدة سنة 295هـ[7] وبدأ عمله بعد توليه زمام الحكم بالقبض على عمه إسحاق بن أحمد (أمير سمرقند)، وحبسه فى بخارى؛ إذ كان يتوقع تآمره عليه[8]، ثم سار إلى طبرستان، وكانت قد ساءت علاقته مع واليها "بارس الكبير"[9]، الذى جمع أموالاً كثيرة من خراج الرى وطبرستان

---

(1) وذلك قبل أن تصل أنباء الحادث إلى سمرقند، فلا تتعرض هيبته فيما وراء النهر إلى شىء من المهانة. النرشخى: تاريخ بخارى، ص115، 116، فامبرى: تاريخ بخارى، ص98.

(2) ابن الأثير: الكامل، جـ7، ص99، 100.

(3) بعد أن عهد بحكومة سمرقند إلى أحد أبناء نصر. فامبرى: ص98.

(4) النرشخى: تاريخ بخارى، ص116 – 117، فامبرى: ص98.

(5) فامبرى: ص104.

(6) فامبرى: تاريخ بخارى، ص104، 110.

(7) الكرديزى: زين الأخبار، ص148.

(8) الكرديزى: زين الأخبار، ص148.

(9) فامبرى: تاريخ بخارى، ص112.

وجرجان واستولى عليها، بعد وفاة إسماعيل، فلما خلفه ابنه أحمد عمل على استرداد هذه الأموال من "بارس"، فلما سار إليه كتب "بارس" إلى الخليفة المكتفى يستأذنه فى المسير إليه فأذن له فاتجه "بارس" إلى بغداد فى أربعة آلاف فارس[1].

لم يغضب الأمير السامانى أحمد بن إسماعيل لهرب عامله "بارس" بقدر ما غضب لخروج أمواله من يده[2]، وعين أبا العباس بن عبد الله واليًا على خراسان. وكان يتميز بكفايته الإدارية حتى إن الناصر الأطروش[3] العلوى لم يستطع فى أيامه مناوءة السامانيين[4].

أولى أحمد بن إسماعيل طبرستان عناية خاصة، فولى عليها محمد بن نوح، فأحسن السيرة فيها وأكرم من بها من العلويين، وراسل زعماء الديلم وهادنهم واستمالهم ثم ما لبث أن عزله الأمير السامانى، وولى طبرستان "سلاما" الذى لم يحسن سياسة أهلها، فثار عليه الديلم، ومع أنه قاتلهم وهزمهم إلا أن أحمد بن إسماعيل عزله وأعاد "محمد بن نوح" إليها فدانت له بالطاعة[5].

ولى طبرستان بعد وفاة محمد بن نوح، أبو العباس محمد بن إبراهيم سنة 298هـ فلم يحسن سياسة أهلها، مما أغضب الديلم لتنكره لرؤسائهم، فانتهز الحسن بن على الأطروش الفرصة وأثار الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه فأطاعوه[6]، لذلك أنفذ أحمد بن إسماعيل السامانى فى سنة 298هـ جيشًا بقيادة "محمد بن إبراهيم" إلى طبرستان لكن الديلم بقيادة الأطروش أوقعوا به عند شالوس[7] فى جمادى الآخرة سنة 301هـ

---

(1) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص3.

(2) بينما كان "بارس" فى طريقه إلى بغداد توفى الخليفة المكتفى وخلفه المقتدر الذى طمع فى الأموال التى هرب بها "بارس" وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن تمكن من قتله.
فامبرى: تاريخ بخارى، ص112.

(3) قدم الأطروش على طبرستان فى عهد الداعى الحسن بنزيد العلوى.
المسعودى: مروج الذهب، جـ4، ص294، دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص309.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص112.

(5) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص28 - 29.

(6) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص29.

(7) شالوس: مدينة بجبال طبرستان بينها وبين الرى ثمانية فراسخ وبين شالوس وآمل عشرون فرسخًا.
ياقوت: معجم البلدان، جـ5، ص216.

(ديسمبر 913م) [1] وقتل من أصحاب "محمد بن إبراهيم" نحو أربعة آلاف رجل، وحاصر الأطروش الباقين، ثم أمنهم واستولى على طبرستان، وخرج محمد بن إبراهيم إلى الرى سنة 301هـ[2].

لما توفى أحمد بن إسماعيل خلفه ابنه أبو الحسن نصر (الذى لقب فيما بعد بالسعيد) وكان فى الثامنة من عمره[3]، وقد استصغر الناس الأمير الجديد واستضعفوه واعتقدوا أن أمره لا ينتظم مع وجود عم أبيه إسحق بن أحمد بن أسد ـ صاحب سمرقند ـ الذى استمال أهالى بلاد ما وراء النهر ـ عدا بخارى ـ إليه، وأرسل هو وبعض أمراء البيت السامانى إلى الخليفة العباسى المقتدر يسأله كل منهم إمرة ناحية من نواحى خراسان، لكن الخليفة أقر نصرًا على بلاد أبيه، وأقر اللقب الـذى تلقـب به وهو السعـيد[4].

واجه الأمير السعيد فى بداية حكمه خطر عمه إسحق الذى كان ينافسه فى حكم بلاد الدولة السامانية[5]، فاتجه بعد أن مكن لنفسه فى سمرقند إلى بخارى أملاً فى الاستيلاء عليها، وتولى ابنه إلياس قيادة الجيش. ورأى السعيد أن الأمر يتطلب عملاً سريعًا،فبعث قائد جيوشه "حمويه بن على" لمحاربة إسحق الذى انهزم فى أول الأمر، وتمكن جيش السعيد من دخول سمرقند والتغلب على جيش إسحق الذى انتهت حياته فى بخارى[6]. وهدأت الأحوال فى خراسان وما وراء النهر بعد وفاته. وأقيمت الخطبة باسم السعيد فى فارس وكرمان وطبرستان وجرجان[7].

على أن الأمور لم تستقر لنصر الثانى، فقد ثار عليه قائده أحمد بن سهل[8] فى نيسابور

---

(1) ابن الأثير: جـ8، ص29، دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص310.

(2) ابن الأثير: جـ8، ص29.

(3) ابن الأثير: جـ8، ص27.

(4) قام بضبط بلاده أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى، فأحسن سياسة الدولة وإدارة شئونها. الكرديزى: زين الأخبار، ص150، ابن الأثير: جـ8، ص27، النويرى: نهاية الأرب، جـ23، ص175 (مخطوط).

(5) فامبرى:تاريخ بخارى، ص113، الكرديزى: زين الأخبار، ص150

(6) زين الأخبار، ص151، ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص28.

(7) النرشخى: تاريخ بخارى، ص92.

(8) هو أحمد بن سهل بن هاشم بن جبله، التحق بخدمة عمرو بن الليث الصفار فى أول الأمر إلى أن صار واليه على مرو، ثم غضب عليه عمرو واعتقله بسجستان ولكنه تمكن من الهرب إلى مرو، =

واستولى عليها وأسقط خطبة نصر[1]، وسار من نيسابور إلى جرجان، واستولى عليها، ثم عاد إلى خراسان وقصد مرو وضمها إلى حوزته وبنى عليها سورًا وتحصن بها، فأرسل إليه السعيد نصر الجيوش مع حمويه بن على من بخارى فوافى مرو الروز[2]، وأقام بنواحيها وحاصرها[3].

تحصن ابن سهل بمرو، ولم يفلح "حمويه" فى إخراجه من حصنه[4]، فأرسل إليه بعض قواده لاستمالته، فمال إليهم وخرج معهم من مرو إلى حمويه فى رجب سنة 307هـ(نوفمبر / ديسمبر 919م)، ثم دارت بين الفريقين عدة معارك انتهت بهزيمته وأسره[5].

كان دعاة الإسماعيلية فى فارس وشرق الدولة الإسلامية يبذلون جهودًا كبيرة لجذب كبار الأمراء إلى زعيمهم عبيد الله المهدى، ومن بين هؤلاء الدعاة أبو عبد الله محمد بن النسفى وكان عالمًا أديبًا اشتهر بحرية الرأى، استطاع أن يضم إلى الإسماعيلية كثيرًا من أهالى خراسان، ولم يكتف بما أحرزه من نجاح فى هذا الإقليم، بل عبر نهر جيحون واتجه إلى بخارى حيث لقى معاونة من كبار رجال الدولة السامانية، وبفضل هؤلاء استطاع النسفى الوصول إلى نصر الثانى بن أحمد السامانى الذى رحب بمبادئه ودعاه لمقابلته، وكان السعيد نصر الثانى من أكبر معارضى المذهب الإسماعيلى فى بادئ الأمر، فقبض على أستاذ النسفى الحسين بن على المروزى وسجنه وظل مسجونًا حتى توفى[6]، غير أن النسفى استطاع بدهائه وحسن سياسته أن يستميل السعيد نصر الثانى إلى جانب الخليفة

= وبعد أن ألحق إسماعيل السامانى الهزيمة بعمرو بن الليث، التحق بخدمة إسماعيل بن أحمد ودخل فى طاعته فأكرمه وظل كذلك حتى عهد السعيد نصر بن أحمد. الكرديزى: زين الأخبار، ص151 – 152، ابن الأثير: جـ8، ص40 - 41.

(1) النويرى: نهاية الأرب، جـ23، ص176 (مخطوط).

(2) الكرديزى: زين الأخبار، ص152، ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص41.

(3) نهاية الأرب جـ23، ص176، زين الأخبار، ص152، الكامل، جـ8، ص41.

(4) نهاية الأرب جـ23، ص176، الكامل، جـ8، ص41.

(5) نهاية الأرب، جـ23، 176، زين الأخبار، ص152، الكامل، جـ8، ص41.

(6) حسن إبراهيم حسن طه أحمد شف: عبيد الله المهدى، ص248 – 249، جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص83.

الفاطمى عبيد الله المهدى ليبرهن له على إخلاص نصر للدعوة الإسماعيلية، وفى ذلك يقول ابن النديم[1]: "لما تمكن الحسين بن على المروزى من بلاد خراسان حبسه نصر بن أحمد، فمات فى حبسه، فخلفه النسفى، واستغوى نصر بن أحمد وأدخله فى الدعوة وأغرمه دية المروزى مائة وتسعة عشر دينارًا فى كل دينار ألف دينار، وزعم أنه ينفذها إلى صاحب المغرب القائم بالأمر، وكان ذلك سنة 330هـ / 941م.

وليس أدل على ميل السعيد نصر الثانى بن أحمد السامانى إلى الدعوة الإسماعيلية من ذلك الكتاب الذى أرسله إلى عبيد الله المهدى يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بإمداده بالرجال، وقد قال فى كتابه: "أنا فى خمسين ألف مملوك يطيعوننى وليس على المهدى بهم كلفة ولا مئونة، فإن أمرنى بالمسير سرت إليه ووقفت بسيفى ومنطقى بين يديه وامتثلت لأمره"[2].

ازداد نفوذ النسفى فى عهد السعيد نصر الثانى حتى أصبح صاحب الأمر والنهى فى دولته فاستغل هذا المركز لمضاعفة جهوده فى نشر الدعوة الإسماعيلية مما أثار عليه حفيظة كبار رجال الدولة السامانية من السُّنيين، وخاصة بعض القواد والعلماء الذين أخذوا يكيدون له ولأنصار المذهب الإسماعيلى[3].

لما وقف الأمير نصر الثانى على الخطر المحدق به، نزل عن الإمارة سنة 331هـ لابنه نوح[4] الذى وجه اهتمامه إلى القضاء على الدعوة الإسماعيلية وأنصارها فى بلاده فدعا الفقهاء لمناظرة النسفى، فلما تغلبوا عليه بحججهم أمر بقتله وقتل كثيرين من القواد الذين دخلوا فى المذهب الإسماعيلى[5].

---

(1) الفهرست، ص266، جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ص83. ازداد إعزاز نصر بن أحمد للنسفى بعد أن استجاب لدعوته ولم يعد يطيق فراقه لحظة، نظام الملك الطوسى: سياسة نامه، ص266، ترجمة السيد محمد العزاوى.

(2) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص417.

(3) نظام الملك: سياسة نامه، ص226 - 271.

(4) سياسة نامه، ص266 – 271. ذكر ابن الأثير: جـ8، ص142 أن نصر بن أحمد استمر فى الحكم إلى أن مات سنة 331هـ دون أن يشير إلى حادثة التنازل عن الإمارة، كذلك أورد النرشخى: تاريخ بخارى، ص142 أن نصرًا مات مقتولًا فى عام 330هـ دون بيان سبب قتله.

(5) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص84، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص275 -

توفى السعيد نصر بن أحمد سنة 331هـ (943م) بعد أن امتد حكمه زهاء ثلاثين عامًا قضاها فى كفاح متواصل لتأمين الدولة فى الداخل والخارج، ساعده فى ذلك المخلصون من قادته ووزرائه من أمثال حمويه بن على ومحمد بن المظفر بن محتاج وابنه أحمد والبلعمى والجيهانى ومحمد بن حاتم المصعبى وأبو الفضل محمد بن محمد الذى اشتهر بلقب حاكم الشهيد[1]، ويصف ابن الأثير[2] نصر بن أحمد بأنه كان على جانب عظيم من حسن الخلق وكان حليمًا عاقلاً.

ولى نوح بن نصر السامانى بلاد خراسان وما وراء النهر فى شهر شعبان سنة 331هـ (أبريل 943م) [3]، وكان نصر قد جعل ولاية العهد من بعده لابنه الأصغر، لكن خلفه فى الحكم أخوه الأكبر نوح الذى لقب بالأمير الحميد[4]. وقد استهل إمارته بالعفو عن بعض الأمراء الذين كان يحقد عليهم فى حياة أبيه ليتألف القلوب من حوله[5]، غير أن هؤلاء الأمراء ما لبثوا أن استغلوا ضعف الدولة السامانية، وطمعوا فيها، واستقل كل منهم بناحية، فواجه الأمير نوح بن نصر من جراء ذلك مصاعب كثيرة، فسار إلى نيسابور فى رجب سنة 333هـ وقبض على أميرها أبى على الأصفهانى وهزم المتمردين وبدد شملهم وأسند حكم نيسابور لإبراهيم بن سيمجور الدواتى[6]، كما أن أبا إسحق أحمد سار إلى بخارى وأظهر العصيان، فعاد الأمير نوح إلى بخارى واشتبك مع أبى إسحق أحمد، فانهزم نوح بن نصر، ودخل أبو إسحق بخارى ظافرًا منتصرًا سنة 335هـ وبايعه جميع أهلها وأقيمت الخطبة باسمه على منابر بخارى، على أنه لم ينعم بالحكم طويلاً؛ إذ

.277

(1) الكرديزى: زين الأخبار، ص154.

(2) الكامل: جـ8، ص142.

(3) النرشخى: تاريخ بخارى، ص129، الكرديزى: زين الأخبار، ص154، ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص142.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص115.

(5) فامبرى: ص115.

(6) الكرديزى: زين الأخبار، ص155.

خرج عليه جنده، وأعلنوا ولاءهم للأمير نوح بن نصر، وبذلك خمدت هذه الفتنة[1].

ومن الصعوبات التى واجهت الأمير الحميد نوح، خروج القائد السامانى أبى على بن محتاج الذى تمكن من صد ركن الدولة الحسن بن بويه عن الرى[2]، وخلت له هذه المدينة. ورأى على بن بويه أن يستغل الخلاف بين الأمير نوح وابن محتاج لصالحه فأرسل إلى الأمير نوح يعرفه عدم أهمية الرى بالنسبة له وسأله أن يضمنه أعمالها عشر سنين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج زيادة مائة ألف دينار فى كل سنة، على أن يقرضه مال سنة، وتعهد على بن بويه بأن يعاون الأمير نوح ضد ابن محتاج حتى يظفر به[3]، فأنفذ نوح بن منصور رسوله على بن موسى المعروف بالرزاز إلى عماد الدولة على بن بويه، وذلك بعد أن قبض على إخوة أبى على بن محتاج وأهله وقتل بعضهم[4]، وبعث عماد الدولة إلى ابن محتاج يؤكد له أنه ما زال على عهده معه وحذره من غدر نوح، فكان ذلك مما حمل ابن محتاج على أن يرسل إلى إبراهيم بن أحمد السامانى (عم نوح) وكان مقيمًا عند الحمدانيين بالموصل ـ يعرفه بأنه عقد له الرياسة عليهم وأن تكون له خراسان مقابل أن يمضى معه لحرب نوح[5] وكان ذلك فى أواخر أيام الخليفة المستكفى[6].

توجه إبراهيم بن أحمد السامانى إلى همدان سنة 334هـ والتقى بأبى على بن محتاج الذى سار معه إلى خراسان[7] التى ما لبثت أن ثارت على نوح بن نصر[8]، ولما تجلى عداء أبى على بن محتاج لنوح بن نصر أرسل عماد الدولة على بن بويه رسولاً من قبله إلى نوح، يخبره بأنه سيعهد إلى ركن الدولة بمعاونته فى محاربة ابن محتاج وحليفه إبراهيم بن أحمد السامانى، وقد استمرت الحرب بين نوح وابن محتاج فترة طويلة[9]، حيث تمكن ابن محتاج من الاستيلاء على نيسابور ومرو وبخارى سنة 335هـ، وخطب فيها لإبراهيم بن أحمد

---

(1) النرشخى: تاريخ بخارى، ص129، الكرديزى: زين الأخبار، ص155.
(2) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص158 - 159.
(3) مسكويه: تجارب الأمم، جـ6، ص100.
(4) تجارب الأمم، جـ6، ص101.
(5) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص164.
(6) مسكويه: تجارب الأمم، جـ6، ص101.
(7) ابن الأثير: جـ8، ص164، مسكويه: جـ6، ص102.
(8) مسكويه: جـ6، ص102.
(9) ابن الأثير: جـ8، ص165.

السامانى، غير أن إبراهيم السامانى سرعان ما آثر خلع نفسه واتفق مع نوح بن نصر على أن يتقلد إمرة جيشه[1].

لما توفى الأمير الحميد نوح بن نصر فى ربيع الآخر 343هـ (أغسطس 954م) [2] خلفه ابنه عبد الملك الملقب بالرشيد[3]، فأسند إلى "بكر بن مالك" إمرة الجيوش[4] فى خراسان، وسيره لإخراج أبى على بن محتاج منها، وخدمت الظروف "بكر بن مالك" فقد تفرق رجال ابن محتاج عنه، وعادوا إلى طاعة الأمير السامانى عبد الملك، وظل أبو على فى مائتى رجل من أصحابه سوى من انضم إليه من الديلم، واضطر إلى المسير إلى ركن الدولة بالرى مستجيرًا به[5].

ظل أبو على بن محتاج مقيمًا عند ركن الدولة الذى توسط لدى الخليفة العباسى المطيع لإقرار سلطة أبى على فى خراسان، وعاونه فى ذلك معز الدولة البويهى، فأرسل الخليفة العباسى تقليد ولاية خراسان لأبى على سنة 343هـ (954م) [6].

حاول الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح أن يحتفظ بنفوذ السامانيين فى غربى الدولة. غير أن "أشعث بن محمد" وكان من خيرة قواده، لم ينجح إلا فى مصالحة الديلم وركن الدولة على شروط معقولة دون أن يحملهم على الولاء للأمير السامانى الذى لم يلبث أن توفى فى شوال 350هـ (نوفمبر 961م) [7]، فآلت السلطة من بعده لأخيه أبى صالح منصور بن نوح الملقب بالأمير السديد[8]، فبدأت الفتنة فى خراسان وتطرق الضعف إلى الدولة

---

(1) ابن الأثير: جـ8، ص165.
(2) مسكويه، تجارب الأمم، جـ6، ص154 – 157، الكرديزى: زين الأخبار، ص154 - 159.
(3) وكان إذ ذاك فى العاشرة من عمره. فامبرى: تاريخ بخارى، ص116 - 117.
(4) هو أبو سعيد بكر بن مالك الفرغانى. الكرديزى: زين الأخبار، ص159.
(5) يذكر مسكويه أن ركن الدولة استقبل أبا على وأحسن وفادته، تجارب الأمم، جـ6، ص157.
(6) مسكويه: جـ6، ص154 – 157، الكرديزى: زين الأخبار، ص159. لم يلبث أبو على بن محتاج أن توفى فى آخر رجب سنة 344هـ. زين الأخبار، ص160.
(7) وكان ذلك أثر سقوطه من فوق جواده. الكرديزى: زين الأخبار، ص161، فامبرى: تاريخ بخارى، ص117.
(8) السديد؛ أى: العادل، فامبرى: ص117.

السامانية[1].

ومن العوامل التى ساعدت على انحلال الدولة السامانية خروج بعض ولاتها عليها، من أمثال البتكين الذى نشأ مملوكًا فى بلاط السامانيين، ثم أخذ يترقى حتى بلغ منصب الوزارة بعد أن ولى نيسابور، وبدلاً من أن يساند الدولة السامانية ويحفظ كيانها، عمد إلى مهاجمة أميره منصور بن نوح فى جيش كبير، غير أنه تعذر عليه عبور نهر جيحون فى بداية الأمر مما اضطره إلى العودة إلى غزنه[2]، إلا أن التوفيق حالفه فى محاولته الثانية حتى اضطر الأمير منصور أن يصالحه على أن تصير له نيسابور على خراج سنوى قدره خمسون ألف دينار[3].

وفى عهد الأمير منصور شق أهل سجستان عصا الطاعة على أميرهم خلف بن أحمد وولوا مكانه رجلًا من أصحابه يدعى طاهر بن الحسين[4]، فاستنجد خلف بالأمير منصور الذى أمده بجيش استرد به هذه البلاد، لكنه لم يلبث أن طرد منها، ثم استردها ثانية بمعونة السامانيين، إلا أن الأمير خلف لم يلبث أن ساءت علاقته بالسامانيين، فقامت الحروب بين الفريقين، واستمرت سبع سنوات انتهت بالصلح وإعادة الخطبة لمنصور بن نوح، الأمر الذى يوضح مدى الضعف الذى تطرق إلى البيت السامانى[5].

كذلك قامت الحرب فى جهات الرى بين منصور بن نوح وركن الدولة الحسن بن بويه[6]، ذلك أن أبا على "محمد" بن إلياس أطمع منصور بن نوح[7] فى بلاد الديلم وزعم

---

(1) مسكويه: تجارب الأمم، جـ6، ص189.

(2) النرشخى: تاريخ بخارى، ص137، فامبرى: ص117.

(3) فامبرى: ص117.

(4) ذلك أن خلف بن أحمد ذهب إلى الحج سنة 353هـ واستخلف على أعماله طاهر بن الحسين وكان من أصحابه، فطمع طاهر فى الملك وعصى خلف لما عاد من الحج، فسار خلف إلى بخارى واستنصر بالأمير منصور بن نوح. ابن الأثير: جـ8، ص201.

(5) ابن الأثير: جـ8، ص201، 202.

(6) ابن الأثير: جـ8، ص207.

(7) كان ابن إلياس عامل البويهيين فى كرمان فلما خرج عليهم قصده عضد الدولة فهرب إلى خراسان، ولقى الأمير منصور فشجعه على المسير إلى بلاد الديلم. مسكويه: تجارب الأمم، جـ6، ص232،

له أن قواد جيوش ركن الدولة لا يطيعونه، فطلب الأمير منصور من وشكمير بن زيار والحسن بن الفيرزان المسير لمحاربة ركن الدولة وأمدهما بالجيوش، وانتهت الحرب بين الفريقين سنة 361هـ بالصلح[1]، الذى تضمن أن يرسل ركن الدولة وابنه عضد الدولة إلى الأمير منصور السامانى مائة وخمسين ألف دينار كل سنة[2].

لما توفى منصور بن نوح فى منتصف شهر شوال[3] سنة 366هـ[4] (يونيه 977م) واجه ابنه نوح الثانى[5] بن منصور الملقب بالسعيد والمكنى بأبى القاسم عدة صعاب بسبب ضعف نفوذ السامانيين، فقام بأمر الدولة السامانية فى مستهل إمارته وزيره أبو الحسين العتبى، واستبد محمد بن سيمجور قائد الجيش فى خراسان من قبل السامانيين بالأمر فى هذه البلاد واتخذ من صغر سن الأمير الجديد فرصة لتحقيق مطامعه، فعزله الوزير أبو الحسين العتبى وولى أبا العباس تاش[6] إمرة الجيش وأصبح نائبًا لأبى القاسم على خراسان عام 371هـ[7]، كما قامت فى هذه السنة أيضًا الحرب بين الأمير نوح بن منصور وبين عضد الدولة بن بويه، الذى استولى على جرجان وطبرستان سنة 372هـ[8].

على أن الوزير الجديد "عبد الله بن عزيز" الذى كان يضمر العداوة والبغضاء للوزير العتبى، عمل على عزل أبى العباس تاش عن خراسان وإعادة أبى الحسن بن سيمجور إليها، فامتنع أبو العباس عن تنفيذ أوامر الوزير الجديد، ولجأ إلى فخر الدولة بن بويه

.233

(1) مسكويه: تجارب الأمم، جـ6، ص233، ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص207، 208، النرشخى: تاريخ بخارى، ص134.

(2) ابن الأثير: جـ8، ص225.

(3) يذكر النرشخى: تاريخ بخارى، ص133 أن وفاته يوم الأحد السادس عشر من شهر المحرم سنة 365هـ، بينما يذكر الكرديزى: زين الأخبار، ص164 أنه مات فى شوال سنة 365هـ ولقبه الأمير السديد.

(4) النرشخى: ص133، ابن الأثير: جـ8، ص243.

(5) هو أبو القاسم نوح وكان عمره حين ولى الأمر ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور. ابن الأثير: جـ8، ص243.

(6) الكرديزى: زين الأخبار، ص166، ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص4، وهو الملقب بحسام الدولة. فامبرى: تاريخ بخارى، ص118.

(7) ابن الأثير: جـ9، ص4.

(8) ابن الأثير: جـ9، ص4، 5، الكرديزى: زين الأخبار، ص167.

بجرجان[1]، فأمده بجيش حارب به ابن سيمجور واستولى على نيسابور[2].

تعرضت الدولة السامانية فى عهد نوح بن منصور للزوال، ففى سنة 383هـ ثار عليه أبو الحسن بن سيمجور، وفائق الخاصة، غلام نوح بن نصر - وهما من أكبر قواد السامانيين - واتصلا بشهاب الدولة هارون بن سليمان إيلك المعروف ببغراخان[3] وأطمعاه فى الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر[4]، وتمكن إيلك من الانتصار على جيوش نوح فى هذه السنة والاستيلاء على بخارى، غير أن نوحا لم يلبث أن استرد حاضرة إمارته[5].

أدت ثورة الأمراء على نوح بن منصور إلى استعانته بسبكتكين صاحب غزنة، حيث انتصرت جيوشهما بالقرب من هراة على هؤلاء الأمراء الذين استعانوا ببنى بويه وفروا إلى جرجان، وتمكن نوح من استعادة نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين[6]، فأحسنا السيرة، وعاد نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة وأقام محمود بنيسابور[7].

توفى الأمير نوح بن منصور[8]، بعد أن استمر فى الحكم أكثر من واحد وعشرين عامًا[9]، وكان عهده مليئًا بالثورات بسبب صغر سنه، وتدخل النساء والوزراء فى حكم بلاده، وتطلع بنو بويه والأتراك إلى امتلاك بلاده، فضلًا عن قيام المنافسة بين أفراد البيت السامانى نفسه، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك فى قوله "توفى الأمير الرضا نوح بن منصور

---

(1) فامبرى: ص118.
(2) فامبرى: ص118.
(3) كانت بلاده تمتد من حدود الدولة السامانية شرقًا حتى حدود الصين. ابن الأثير: جـ9، ص36، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ3، ص160.
(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص122.
(5) ابن الأثير: جـ9، ص36، 37، فامبرى، ص122.
(6) ابن الأثير: جـ9، ص38.
(7) الكرديزى: زين الأخبار، ص170، ابن الأثير: جـ9، ص38.
(8) ابن الأثير: جـ9، ص39.
(9) حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص147 ملحق بتاريخ بخارى، ابن الأثير: جـ9، ص48.

الساماني، واختل بموته آل سامان، وضعف أمرهم ضعفًا ظاهرًا وطمع فيهم أصحاب الأطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة"[1].

خلف أبو الحارث منصور أباه نوح فى رجب 387هـ / 997م[2] وأعاد فائق الخاصة إلى خدمة السامانيين[3].

وولاه الإمارة[4]، وعين حاجبه الكبير بكتوزون[5] واليًا وقائدًا لجيوش خراسان[6] بدلًا من محمود بن سبكتكين، الذى كان مشغولاً بقتال أخيه إسماعيل[7]، وكان بين فائق وبكتوزون عداء، فأغرى فائق أبا القاسم بن سيمجور ببكتوزون ومناه بولاية جيوش خراسان إذا هو طرده منها فحاربه وانتصر عليه وصفت له خراسان[8].

أخذ محمود بن سبكتكين يرسل الهدايا إلى أبى الحارث منصور طمعًا فى توليته خراسان، ثم اضطر إلى استخدام القوة، فسار بجيشه إلى نيسابور، واضطر بكتوزون إلى الانسحاب مستنجدًا بالأمير السامانى أبى الحارث الذى أجابه، وكان فى مقدور محمود

---

(1) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص48.

(2) تاريخ البيهقى، ص707.

(3) استمال شمس الدولة إيلك خان ملك الخانيين فائق الخاصة إليه فى سبيل تحقيق أطماعه فى أملاك السامانيين، وأرسله فى ثلاثة آلاف رجل إلى بخارى فبادر أبو الحارث منصور إلى عبور نهر جيحون تاركًا عاصمته، غير أنه بعد أن دخل فائق بخارى ما لبث أن أظهر الولاء للأمير أبى الحارث منصور السامانى وطالبه بالرجوع فعاد. العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص269، 280، الكرديزى: زين الأخبار، ص171، 172.

(4) حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص147، ملحق بتاريخ بخارى، الكرديزى: زين الأخبار، ص172.

(5) بكتوزون: لفظ أويغورى معناه الأمين العادل. فامبرى: تاريخ بخارى، هامش ص123.

(6) تاريخ البيهقى، ص707.

(7) ابن الأثير: جـ9، ص48.

(8) أرسل محمود بن سبكتكين بعد أن فرغ من أمر أخيه يعرض على أبى الحارث خدماته وأنه يقوم مقام أبيه فى نصرة الدولة السامانية، فأقره الأمير السامانى على ما فى يده واعتذر له عن نيسابور التى وليها بكتوزون. العتبى: جـ1، ص291، ابن الأثير: جـ9، ص52.

أن يقضى عليهما إلا أنه فضل أن يتبع سياسة أبيه فى إظهار الولاء للدولة السامانية فترك لهما نيسابور[1].

ومع ما قام به الأمير منصور بن نوح تجاه بكتوزون[2] وفائق الخاصة إلا أنهما قبضا عليه وسملا عينيه[3]، ولم يمض عليه فى الإمارة غير سنة وسبعة أشهر، ووليًّا أخاه الصغير عبد الملك بن نوح فى صفر 389هـ فاتخذ محمود بن سبكتكين من اضطراب حبل الأمور فى الدولة السامانية وسيلة للاستيلاء على أملاكهم، فبعث إلى هذين المتآمرين يلومهما ويقبح فعلهما، وأعد عدته وجهز الجيوش للقائهما[4]، والتقى الجيشان فى مرو فى جمادى الأولى سنة 389هـ (أبريل / مايو 998م) فحلت الهزيمة بالجيش السامانى، وارتد فائق الخاصة بصحبة عبد الملك بن نوح إلى بخارى[5]، وقصد بكتوزون نيسابور[6]، وقد استطاع محمود بن سبكتكين أن يستولى على نيسابور وبخارى، ويوطد سلطته فى خراسان ويزيل نفوذ السامانيين عنها ويقيم فيها الخطبة للخليفة القادر بالله[7].

حاول عبد الملك بن نوح السامانى وفائق وبكتوزون بعد اجتماعهم فى بخارى استعادة خراسان، لكن وفاة فائق فى شعبان سنة 389هـ أوهن عزيمة السامانيين ولم يبق لهم سوى بخارى فيما وراء النهر[8].

---

(1) العتبى: جـ1 ص292 – 295، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص147، ابن الأثير، جـ9، ص52.
(2) حيث أكرمه ولقبه بسنان الدولة. حمد الله المستوفى: تاريخ كزبدة، ص147 ملحق بتاريخ بخارى.
(3) يذكر البيهقى فى تاريخه، ص707، 708 أن بكتوزون كان يرى أن هذا الأمير حدث (صغير) وأن هواه مع السلطان محمود، وأسر بذلك إلى فائق وأوضح له أن هذا الأمير يستخف بهما وأنه (أى بكتوزون) يخشى أن يسلمه وإياه إلى محمود، كما سلم أبوه أبا على سيمجور إلى سبكتكين واتفقا على عزله، وذات يوم ركب أبو الحارث للصيد فى سرخس فدعاه بكتوزون إلى خيمته وما أن دخل الأمير منصور حتى قيدوه، ثم سملوا عينيه، ثم أجلسوا عبد الملك بن نوح أخاه على العرش، وجعلوا أمور الملك فى يد "سديد بن الليث".
(4) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص54.
(5) الكرديزى: زين الأخبار، ص173، فامبرى: تاريخ بخارى، ص123.
(6) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص310، 312، 315.
(7) هلال بن الصابئ: تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، ص374، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص148ملحق بتاريخ بخارى.
(8) البيهقى: ص709، ابن الأثير: جـ9، ص55.

سرعان ما سقط عبد الملك بن نوح فريسة لغدر إيليك خان[1]، الذى ادعى حمايته له، فقدم من كاشغر[2] إلى بخارى لمساعدته ضد أعدائه، غير أنه ما لبث أن كشف عن غرضه الحقيقى حين قبض على قواد السامانيين، ثم دخل بخارى نفسها يوم الثلاثاء، العاشر من ذى القعدة سنة 389هـ (24 أكتوبر 999م) وقبض على عبد الملك نفسه وزجه فى السجن[3].

لم يكن لمحمود بن سبكتكين مطمع فى أملاك السامانيين فيما وراء النهر، فقد اعتبر نهر جيحون حدّا طبيعيًّا لإمارته من جهة الشمال.

لذلك لم يجد بأسًا فى ترك بخارى ليستولى عليها جاره إيليك خان معلنًا سقوط الدولة السامانية[4].

حاول الأمير السامانى المنتصر (أبو إبراهيم) أن ينقذ ما بقى للسامانيين من نفوذ، بعد أن تمكن من الهرب من السجن حيث سار إلى خوارزم[5]، وتلقاه كثير من أتباع أسرته السابقين ومنهم شمس المعالى قابوس بن وشمكير، ورغم أنه (أى المنتصر) نجح فى هزيمة قوات إيليك خان[6]، غير أن إيليك خان كان من القوة بحيث لم تؤثر فيه ضربات المنتصر (أبو إبراهيم) [7].

ظل الأمير المنتصر (أبو إبراهيم) ينتقل بين طبرستان وسجستان وخراسان وحوله قلة من أخصائه حتى نجح فى عام 391هـ / 1001م فى الاستيلاء على نيسابور[8]، وسرعان ما

(1) ذكره الكرديزى: أبو الحسن إيلك بن نصر، ويقول محقق زين الأخبار أن ابن الأثير ذكره إيلك خان ولقبه شمس الدولة أما اسمه الأصلى الذى ذكر على مسكوكاتهم: أبو الحسين نصر بن على الأمير الرابع المعظم لآل أفراسياب الإيلكخانيين.
(2) كاشغر: يسافر إليها من سمرقند وهى فى وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون. ياقوت: معجم البلدان، جـ7، ص207.
(3) فامبرى: تاريخ بخارى، ص123.
(4) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص56.
(5) العتبى: جـ1، ص321، ابن الأثير: جـ9، ص58، 59.
(6) ابن الأثير: جـ9، ص60.
(7) فامبرى: ص123، 124.
(8) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص324.

أخرجه منها نصر بن سبكتكين[1]، ثم وقع أسيرًا فى شراك إيليك خان الذى أسره هو وأتباعه، وما لبث أن هرب ولقى حتفه فى مضارب قبيلة بنى بهيج[2]. وبوفاة آخر الأمراء السامانيين فى ربيع الأول من عام 359هـ (ديسمبر 1005م) [3] انقرضت أسرة كانت تسيطر على بلاد ما وراء النهر وفرغانة، ثم ظلت ابتداء من عهد الأمير نصر ـ أى قرابة مائة وخمسة وأربعين عامًا ـ تحكم كل آسيا الوسطى[4].

(ب) السامانيون وعلاقتهم بالخلافة العباسية:

كان السامانيون يعملون فى خدمة الدولة العباسية كولاة لبعض مدن ما وراء النهر، وتم تعيين السامانيين فى هذه الولاية منذ عهد الخليفة المأمون الذى كافأهم بذلك على خدمتهم له[5] وانتقد بعض المؤرخين[6] سياسة المأمون فى تولية قواده إمارة المدن والولايات، وقالوا إنها أدت إلى قيام الإمارات المستقلة، غير أن السامانيين ظلوا منذ أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) على علاقة طيبة بالخلافة العباسية، فعمل أحمد بن أسد السامانى على نشر نفوذ العباسيين فى منطقة ما وراء النهر، فضم قسمًا كبيرًا من بلاد الصغد وبلاد ما وراء النهر إلى الدولة الإسلامية، وظل مواليًا للعباسيين حتى توفى، وخلفه ابنه نصر الذى منحه الخليفة المعتمد تفويضًا رسميًّا كاملًا بحكم منطقة ما وراء النهر مكافأة له على مواصلة جهود أبيه، وحينما ولى إسماعيل بن أحمد الإمارة بعد أخيه لم تعترض الخلافة على توليته بل أقرته تحقيقًا لرغبة السامانيين. وقد أدت هذه العلاقة الودية بين السامانيين والخلافة العباسية إلى موافقة الخليفة المعتضد على تولية إسماعيل بن أحمد السامانى خراسان بعد أن تمكن من هزيمة عمرو بن الليث الصفارى سنة 287هـ /

---

(1) العتبى: جـ1، ص324 – 328، تاريخ كزيدة، ص148 ملحق بتاريخ بخارى، ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص59.

(2) ابن الأثير: جـ9، ص60، تاريخ كزيدة، ص149، ملحق بتاريخ بخارى، فامبرى: تاريخ بخارى، 124.

(3) العتبى: جـ1 ص324 – 327، ابن الأثير: جـ9، ص59، 60، تاريخ كزيدة، ص149، ملحق بتاريخ بخارى.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص124.

(5) Lan Poole : Muhammadan Dynasties. P. 131.

(6) Noldeke : Sketches from Eastern History, p. 86.

900م[1].

كما استجاب هذا الخليف لرغبة إسماعيل السامانى فولاه كرمان وجرجان سنة 290هـ ولما جاء الخليفة المكتفى ولاه إقليم الجبال حتى حلوان[2]. وهكذا أصبحت معظم الأراضى الفارسية تحت حكم السامانيين برضاء من الخلافة العباسية.

استمر السامانيون على ولائهم للخلافة العباسية حتى فى الأوقات التى كانت الخلافة تحاول أن تحد من نفوذهم. ففى سنة 293هـ هرب "بارس الكبير" وكان من أكبر قواد السامانيين ويلى أمر جرجان من قبلهم، والتجأ هذا القائد إلى بغداد بما معه من أموال هذا الإقليم، فحماه الخليفة المكتفى، ولم يحرك الأمير السامانى أبو نصر أحمد بن إسماعيل ساكنًا[3]، ولم يغضب لهرب عامله بقدر ما أغضبه خروج هذه الأموال من يديه[4].

كذلك تمكن السامانيون فى عهد إسماعيل بن أحمد السامانى من فتح بلاد طبرستان واستردادها من يد "محمد بن زيد" الذى كان ينازع السامانيين والعباسيين فى خراسان، ولم يكتف السامانيون بطرد العلويين، بل أدخلوا طبرستان تحت السلطة الشرعية لدولتهم وصارت الخطبة تقام فيها باسم الخليفة العباسى[5].

وفى سنة 301هـ / 913م حينما ثار أهالى سجستان على نصر الثانى، عين الخليفة العباسى المقتدر حاكمًا من قبله على هذا الإقليم، فقبض على عمال السامانيين فى المنطقة[6].

---

(1) وقع عمرو بن الليث فى أسر إسماعيل بن أحمد السامانى فى يوم الأربعاء التاسع من جمادى الآخر سنة 288هـ (أول يونية 900م) وبالغ فى إكرامه حتى إنه رد إليه أمواله وجواهره، غير أنه حينما =
= أرسل إليه الخليفة العباسى المعتضد يطلب إليه إرسال أسيره إلى بغداد، لم يجد يدًا من إطاعة أمر الخليفة العباسى، حيث أرسل إلى دار الخلافة وظل فى السجن حتى أمر الخليفة المكتفى بقتله فى جمادى الأولى من عام 290هـ (أبريل 902م). النرشخى: تاريخ بخارى، ص121، 122، فامبرى: تاريخ بخارى، ص102، 103.

(2) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص337.

(3) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص3.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص112.

(5) النويرى: نهاية الأرب، جـ23، ص38 وما بعدها (مخطوط)، ابن الأثير: جـ7، ص188.

(6) ابن الأثير: جـ8، ص26.

ولم يحاول نصر السامانى الاعتراض على هذا التصرف، بسبب ولائه للخليفة[1].

حرص السامانيون على ذكر اسم الخلفاء العباسيين فى الخطبة ونقش اسمهم على السكة فقد ضرب الدينار السامانى على نمط الدينار العباسى، وذكر عليه أسماء الخلفاء العباسيين من الحكام السامانيين، وذلك فى مدن الشاش ونيسابور وسمرقند[2].

كذلك اهتم الأمراء السامانيون بالحصول على عهود التولية، ليؤكدوا بذلك شرعية حكمهم، فكانت البراءة التى أصدرها الخليفة المعتمد سنة 261هـ / 874م بتعيين الأمير نصر بن أحمد أميرًا على بلاد ما وراء النهر[3] إيذانًا بقيام الدولة السامانية.

لم يكن الخلفاء العباسيون يعارضون فيمن يتولى منهم زمام السلطة، فأقر الخليفة المقتدر الأمير السامانى أبو الحسن نصر الذى لقب السعيد بعد وفاة أبيه أبو نصر أحمد بن إسماعيل سنة 301هـ على البلاد التى كانت لأبيه، رغم صغره ومعارضة عمه إسحق ابن أحمد[4]، وساعد السامانيون الخلافة العباسية فى قمع حركات التمرد ضدها فى بلاد الفرس وما وراء النهر[5]، على أن الخلافة العباسية فى بعض الأحيان تحت ضغط بنى بويه أقرت بعض الثائرين على الدولة السامانية على ما وقع بأيديهم من بلاد، وذلك حين خرج القائد السامانى أبو على بن محتاج على الأمير الحميد نوح بن منصور واستولى على إقليم خراسان واستطاع بمعونة ركن الدولة ومعز الدولة البويهى أن يحصل على تقليد من الخليفة العباسى المطيع بحكم هذا الإقليم سنة 343هـ / 954م[6].

وكان للسامانيين دورهم فى حفظ الأمن وحراسة الطرق، وتسهيل سبل المواصلات

---

(1) عبد العزيز الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص122.

(2) ناصر الدين النقشبندى: الدينار الإسلامى لملوك الطوائف، جـ2، المجلد الثالث، ص296، مجلة سومر سنة 1947م. ضربت أول عملة ذهبية باسم إسماعيل بن أحمد سنة 295هـ / 907م.

(3) فامبرى: تاريخ بخارى، ص95.

(4) ابن الأثير: الكامل، جـ8، ص28.

(5) من أهمها ثورة طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار فى سجستان سنة 288هـ وثورة السبكرى فى فارس سنة 296هـ وثورة ليلى بن النعمان سنة 309هـ وثورة ما وكان بن كاكى سنة 330هـ.
Siddiqi : Caliphate and Kingship. P. 104 (Islamic Culture. Vol, 10, 1946)

(6) ابن الأثير: جـ8، ص164 – 167، 175، فامبرى: تاريخ بخارى، ص116.

وحماية القوافل، ويذكر ابن كثير[1] أنهم أنشئوا نقطًا للحراسة على الطرق كانت الواحدة منها تسع ألف فارس وأوقفوا عليها أموالًا جزيلة.

على أن السامانيين رغم تعاونهم مع الخلافة العباسية، لم يكونوا يرسلون إلى الخلفاء أى خراج بصورة منتظمة[2]. وقد أعطى ذلك للسامانيين نوعًا من الاستقلال مكنهم أن يوجهوا تلك الأموال إلى تنظيم دولتهم[3].

(1) البداية والنهاية جـ11، ص106. وأن الذى قام على ذلك إسماعيل بن أحمد.

(2) Siddiqi : Caliphate and Kingship, vol, 10, p. 104.

(3) اهتم السامانيون بتنظيم دواوينهم واختيار موظفيهم وكتابهم، وكانوا يميلون إلى الإكثار من عدد الوظائف شأنهم شأن الفرس القدماء، فقد كثر عدد الحجاب وعارض الجيوش واضطر السامانيون نظرًا لسعة أرجاء دولتهم إلى إنشاء ما يشبه منصب "نائب الملك" فكانوا يقيمون فى بخارى على حين أن صاحب جيشهم كان يقيم فى نيسابور والتى كانت على أيام الطاهريين قصبة خراسان. البيهقى، ص110، ابن الأثير: جـ8، ص151، آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، جـ1، ص30 - 31.

الدولة الغزنوية

يرتبط ظهور الغزنويين بالضعف الذى انتاب الدولة السامانية فى نهاية عهدها فقد كان السامانيون يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على العناصر التركية التى يجلبونها من بلاد التركستان المتاخمة لهم. وتطلعت هذه العناصر إلى الاستقلال بالولايات الشرقية منذ أن استعان بهم السامانيون فى إدارة شئون دولتهم[1].

كان البتكين[2] مملوكًا تركيًّا انخرط فى سلك الجيش الساماني[3]، وما زالت تتدرج به المناصب حتى أصبح كبر حجاب الأمير بعد الملك ابن نوح (343 – 350هـ / 954 – 961م) [4]، ومن ثم ارتفع شأنه وازداد نفوذه فى الدولة السامانية حتى كان الوزير أبو على البلعمى لا يصدر أمرًا من غير علمه ولا مشورته[5]، ثم تولى الإمارة على جيوش

---

(1) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص89.

(2) البتكين: كلمة مركبة من ألب بمعنى البطل وتكين بمعنى المسمى أو الشبيه. فامبرى: تاريخ بخارى ص117، وفى المعجم فى اللغة الفارسية لمحمد موسى هنداوى "ألب" بمعنى بطل أو رجل قوى وتكين "شجاع" أو "قادر".

(3) كان غلامًا لدى أحمد بن إسماعيل السامانى. حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص140، ملحق بتاريخ بخارى للنرشخى.

(4) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص98،دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص504، مادة البتكين،
Ali. M. A : A New History of Indo-Pakostan p. 7 (Dacca 1970).

(5) ولى أبو على البلعمى الوزارة بفضل نفوذ البتكين. دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص504، مادة البتكين.
Ali. M. A : A New History of Indo-pakestan, p.7.

خراسان[1]. وكان عمره وقتذاك خمسًا وثلاثين سنة، وقد عرف بوفائه، كما تميز بحسن التدبير والرأى[2].

لما توفى عبد الملك بن نوح سنة 350هـ / 961م رأى الأمراء ضرورة استشارة البتكين فى اختيار من يخلفه فى الإمارة، فأرسلوا يستأذنوه فى تولية الأمير السديد منصور ابن عبد الملك، ولما كان منصور هذا شابًا حدثا لذلك رفض البتكين توليته واختار عمه (أى عم منصور) ولكن الأمراء ولوا منصورًا[3]. وأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الأمير الجديد والبتكين، وباءت محاولات البتكين تحسين علاقته مع هذا الأمير بالفشل[4].

وبعد مضى ست سنوات استدعى الأمير منصور البتكين إلى بلاطه[5]، فخشى البتكين غدر الأمير السامانى وترك إمارة خراسان متجهًا مع أتباعه صوب غزنه[6]، فعين الأمير منصور أبا الحسين بن سيمجور مكانه فى خراسان[7] وأرسله فى عشرة آلاف مقاتل لمقاتله البتكين الذى تمكن من إيقاع الهزيمة بهم على مقربة من بلخ، ثم واصل مسيرة إلى غزنه فحاصرها واستولى عليها من حاكمها السامانى (أبو بكر لويك) [8] ولم يكتف بذلك بل غزا زابلستان، وأقام بها إمارة مستقلة عن السامانيين عاصمتها غزنه[9].

---

(1) كان سبهسالار السامانيين، البيهقى، ص98، 218. وتذكر دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص504 مادة البتكين أن ذلك فى ذى الحجة 349هـ (يناير / فبراير 961م).

(2) نظام الملك الطوسى: سياسة نامه ص141 – 142. يذكر بارتولد أن هدف الأمير السامانى من تعيينه أميرًا على جيوش خراسان إبعاده عن العاصمة بخارى بعد أن تزايد نفوذه فيها. دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص504.

(3) النرشخى: تاريخ بخارى، ص143.

(4) فامبرى: تاريخ بخارى، ص117.

(5) حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص143، ملحق بتاريخ بخارى.

(6) ابن الأثير: جـ8 ص192، منتخب التواريخ ص8، تصنيف عبد القادر بن ملوك شاه بدوانى، (كلكته 1868م).

(7) دائرة المعارف الإسلامية جـ2 ص504 مادة البتكين.

(8) الملقب بالصاحب أو "بادشاه" ولعله أحد زعماء الكشان المتأخرين. دائرة المعارف الإسلامية جـ2 ص391 مادة أفغانستان.

(9) حمد الله المستوفى، تاريخ كزيدة، ص143، ملحق بتاريخ بخارى. =

اتجه الأمير منصور إلى مصالحة البتكين[1] والاعتراف به حاكما لغزنه، وولى ابنه أبا إسحق إبراهيم[2] قيادة الجيوش بخراسان، فتفرغ البتكين لإدارة أمور غزنه التى ظل يلى حكمها ستة عشر عامًا[3].

لم يلبث البتكين أن توفى سنة 352هـ / 963م وكان ابنه أبو إسحق فى بخارى حين بلغه اضطراب الأمور فى غزنه[4]، فاستأذن أبو إسحاق الأمير منصور فى العودة إلى هذه المدينة حيث تمكن من القضاء على ثورة أبى على آنوك واستقر له حكم غزنه سنة 354هـ/965م[5].

ولما توفى أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين[6] فى ذى الحجة سنة 355هـ (ديسمبر 966م) خلفه "بالكاتكين"[7] واجتمعت كلمة الأمراء على اختياره[8]، ثم أجمع القادة بعد وفاته

= غزنة عاصمة زابلستان وهى ولاية واسعة فى طرف زابلستان، والأفصح فى اسمها "غزنين" وهو الاسم المعترف به عند العلماء وتعرب فيقال "جزنة" وإليها ينسب الغزنويون وهذا النسب سماعى وكان القياس يقضى بأن يقال "غزنيون" وتقع غزنة حاليًا إلى الجنوب الشرقى من مدينة كابول عاصمة أفغانستان على مسافة 120 (مائة وعشرين كيلو متر) تقريبًا. ياقوت: معجم البلدان، جـ6، ص289،

على مسعود الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص10، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة.

(1) مسكويه: تجارب الأمم، جـ6، ص191، 192، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص142، ملحق بتاريخ بخارى.

(2) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، جـ2، ص416.

(3) وقد ذكر ابن حوقل أن ملك البتكين أمتد إلى غزنة وكابل. صورة الأرض، ص434، 450.

(4) طبقات ناصرى (فارسى) للقاضى منهاج سراج الجوزجانى تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبى، جـ1، ص226.

(5) أحمد دده المولوى: جامع الدول،جـ1(مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدولة العربية رقم195). يقول بارتولد: أن أبا إسحاق لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه إلا بمعونة السامانيين وبهذا أصبحت غزنة إمارة تابعة للسامانيين. دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص504 مادة البتكين.

(6) أشار إليه ابن حوقل ولقبه صاحب خراسان. صورة الأرض، ص14.

(7) نظام الملك: سياسة نامة، هامش، ص153. كان لإسحاب مملوكان هما بلكاتكين، وسبكتكين. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، جـ2، ص416.

(8) حكم حتى سنة 363هـ / 972م حيث مات وهو يحاصر إحدى قلاع الهند. نظام الملك: سياسة نامة، هامش، ص153. وذكرت دائرة المعارف الإسلامية، جـ2، ص291، مادة أفغانستان. أنه ضرب السكة باسمه فى غزنة سنة 359هـ / 969م وهو الأمر الذى لم يفعله أحد من أسلافه.

على تولية "بيري" أحد غلمان البتكين[1]، وقد تعرضت البلاد فى عهده لخطر داهم، تمثل فى تحالف ابن حاكم غزنه السابق ابن آنوك مع بعض القوى المجاورة فى المنطقة[2] وفاجأ غزنه فى جيش كبير، فاضطرب أهلها، ولكن سبكتكين تمكن من إنقاذ الموقف وتصدى لهذا الجيش فاستقر رأى الجميع على توليته مكان "بيري"[3].

يعتبر سبكتين[4] أحد موالى البتكين[5] وزوج ابنته المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية[6] ويذكر ابن الأثير[7]: "أن أبا إسحق ابن البتكين لما توفى ولم يخلفه من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم اجتمع عسكره ونظروا فيمن يلى أمرهم، فاختلفوا، ثم اتفقوا على سبكتكين، لما عرفوه من التعقل والدين ولمروءة وحب الخير، فقدموه عليهم وولوه أمرهم، وحلفوا له وأطاعوه فوليهم وأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة".

عمد سبكتكين بعد أن ولى إمارة غزنه إلى توسيع ملكه فاستولى على مدينة بست[8]، كما

---

(1) نظام الملك: سياسة نامة هامش ص153، زامباوز: معجم الأنساب، جـ2، ص416.
(2) مثل أمير كابل وجيبال ملك الهند. المولوى: جامع الدول جـ (مخطوط).
(3) العتبى: تاريخ اليمينى جـ1 ص57، الجوزجانى: طبقات ناصرى: جـ1، ص226، 227.
(4) سبكتكين: هو سبكتكين بن جوقى الملقب بقرابجكم. الجوزجانى: طبقات ناصرى، جـ1، ص226وقرابجكم كلمة تركية مركبة من كلمتين "قرا" بمعنى أسود ويجكم بمعنى زعيم أو شجاع فتعنى الكلمة الزعيم الأسود.
(5) اشتراه البتكين من تاجر رقيق فى نيسابور عندما كان البتكين سبهسالار (قائد جيش) السامانيين. البيهقى: ص217، المولوى: جامع الدول، جـ1 (مخطوط).
(6) Lane Poole : Muhammadan Dynasties, p. 285.
(7) الكامل فى التاريخ، جـ8، ص247، نظام الملك: سياسة نامة ص153، تاريخ أبى الفدا جـ2، ص123.
(8) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص64 – 67، أبى الفدا: المختصر، جـ2، ص123، خواندمير: حبيب السير فى أخبار البشر، المجلد الثانى، ص18 بومباى 1857م.
وبست: مدينة بين سجستان وغزنة وهراة من أعمال كابل (كرشك حاليًا) ويقال لناحيتها كرم سير (لشدة حرارتها)، والى بست ينسب الشاعر ذو اللسانين صاحب التجنيس أبو الفتح البستى، وقد كان كاتبًا لباى توز، ثم تولى فيها بعد ديوان الرسائل فى عهد سبكتكين. ياقوت: معجم البلدان، جـ2ص170، العتبى: جـ1، ص67 - 68.

اضطر حاكم قصدار[1] إلى أداء الجزية له وإقامة الخطبة باسمه على المنابر[2]. ومع أن سبكتكين يعتبر من الناحية العملية مستقلا عن السامانيين إلا أنه اعترف لهم بالسيادة وفتح البلاد باسمهم[3] حتى "اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جيشه، وعمرت خزائنه، وأشفقت النفوس من هيبته[4]، ففى سنة 384هـ استعان نوح بن منصور السامانى (366 – 387هـ / 976 – 997م) بسبكتكين لمحاربة أبى على بن سيمجور وفائق الخاصة اللذين شقا عصا الطاعة فى خراسان، وأسند نوح ولاية خراسان لسبكتكين، ودارت الحرب بنواحى هراة بين نوح السامانى يعاونه سبكتكين وابنه محمود، وبين أبى على بن سيمجور وفائق الخاصة يعاونهم فخر الدولة بن ركن الدولة البويهي[5]، وانتهت الحرب بانتصار سبكتكين وتمكن من الاستيلاء على نيسابور[6]، وحقق سبكتكين بهذا النصر مكاسب كبيرة إذ منحه نوح لقب "ناصر الدولة" وولى ابنه قيادة الجيوش فى خراسان ومنح له "سيف الدولة"[7].

وبعد أن عاد الأمير نوح إلى حاضرة دولته بخارى، بقى سبكتكين فى هراة، وأقام ابنه محمود فى نيسابور، على أن أبا على وفائقًا عاودا الإغارة على خراسان، ففى سنة 385هـ / 995م اشتبك هذان القائدان مع محمود بن سبكتكين، فانهزم وانسحب إلى هراة[8]، على أن

---

(1) قصدار: بالضم ثم السكن ودال بعدها ألف وراء. ويقال لها قزدار. ناحية مشهورية قرب غزنة بينها وبين ست ثمانون فرسخًا وبينها وبين الملتان نحو عشرون مرحلة وقصدار قصبة ناحية يقال لها طوران. ياقوت: معجم البلدان، جـ7، ص95، العتبى: جـ1، ص72.

(2) العتبى: جـ1، ص74. خواندمير: حبيب السير، المجلد الثانى، 18.

(3) Lane Poole : Muhammadan Dynasties, p. 286.

(4) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص63.

(5) العتبى: جـ1 ص184، ابن الأثير: الكامل جـ9 ص38.

(6) ميرخواند: روضة الصفا ص1.

(7) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص187 – 193. وقد ذكر أن هذه المعركة دارت فى منتصف رمضان 384هـ ووافقه ابن الأثير، جـ9، ص39، 40 وحمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص146، ملحق بتاريخ بخارى.

(8) وأقام أبو على بن سيمجور فى نيسابور وأقام الخطبة باسمه (أى اسم أبى على). البيهقى: ص221.

سبكتكين ما لبث أن أعد جيشًا لطرد أبى على بن سيمجور من خراسان، واستطاع أن يوقع بقواته الهزيمة، ونجح فى إعادة هذا الإقليم لامرته[1].

توفى سبكتكين فى شعبان من عام 387هـ (أغسطس سبتمبر 997م) بعد أن حكم عشرين سنة[2]، وضع فيها أساس الدولة الغزنوية بفضل ما أحرزه من فتوحات، وقد وصفه العتبى بأنه "أبى النفس، حمى الأنف، جرىء القلب، قوى البطش كريم الخيم (السجايا) وضىء التدبير كبير الهمة كثير الحكمة"[3]، وكان يعتبر نفسه كأحد الجنود، فلا يسمو به تعاظم أو سلطة[4]، كما عرف بزهده وتعففه وترفعه عن الشهوات وتمسكه بالعدل[5]، وحسن الاعتقاد، وكان ذا مروءة تامه وحسن عهد ووفاء[6].

كان سبكتكين قد أوصى قبل وفاته لابنه إسماعيل[7] بالملك من بعده[8]، فلما توفى سبكتكين بايع الجند إسماعيل، فوزع عليهم الأموال، لكنهم مالبثوا أن استضعفوه لصغر سنه، واشتطوا فى طلب الأموال. حتى خلت خزائن أبيه. ولما علم محمود بولاية أخيه إسماعيل، وكان إذ ذاك بنيسابور أرسل إليه يطلب منه إمارة غزنه، ويأخذ بلخ بدلاً منها[9]، ويذكره أن أباه إنما عهد إليه بالملك لبعده (أى محمود) عنه، وترددت الرسل بينهما فى ذلك، ولما لم يستقر الأمر على حال يرضى الطرفين. لم يجد محمود بدأ من أن يقصد أخاه بغزنه، فسار من ينسابور إلى هراة، وهناك اجتمع بعمه "بغراجق" فساعده على الوقوف ضد أخيه، فتوجه إلى "بست" وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه إلى غزنه، فلما بلغ

---

(1) حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة ص146 ملحق بتاريخ بخارى بخارى.
(2) أبو الفدا: المختصر، جـ2، ص140.
(3) تاريخ اليمينى، جـ1، ص55، 56.
(4) العتبى: جـ1، ص61.
(5) حتى أنه عرف بالعادل، البيهقى، ص480، 481.
(6) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص48.
(7) كان إسماعيل أخو محمود من أبيه إذ أن أمه كانت ابنه البتكين أما محمود فقد أنجبه أبوه من زوجته ابنة رئيس زاولستان، ولهذا لقب محمد بالزاولى: نظام الملك سياسة نامه ص154، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص391 (فارس).
(8) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص49، تاريخ أبى الفدا، جـ2، ص140.
(9) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص274، بداونى: منتخب التواريخ ص9.

الخبر إسماعيل، وكان حينئذ فى بلخ سار إلى غزنه وفى تلك الأثناء كان بعض الأمراء الموالين له وعوده بمعاضدته والوقوف إلى جانبه، فالتقى هو وإسماعيل بظاهر غزنه حيث اشتد القتال بينهما فانهزم إسماعيل واعتصم بقلعة غزنة[1]، لحاصره محمود وطلب منه النزول وأمنه، فلما نزل أحسن إليه وأكرمه[2].

بينما كان محمود بن سبكتكين مشغولاً بالصراع مع أخيه حدث تطور فى معسكر السامانيين إذ قرب إيلك خان فائق الخاصة[3] وجعله فى حمايته، ثم أرسله فى جيش من ثلاثة آلاف رجل إلى بخارى، فبادر أبو الحارث منصور بن نوح إلى عبور النهر تاركا لهم بخارى، فدخلها فائق الخاصة الذى ما لبث أن أظهر الولاء والطاعة للأمير أبى الحارث وطالبه بالرجوع إلى حاضرته، فعاد ليحكم تحت سيطرة ونفوذ فائق، وعين أبو الحارث منصور حاجبه الكبير "بكتوزون" واليًا وقائدًا لجيوش خراسان[4]، فاستاء محمود الغزنوى من منصور بن نوح السامانى لانتزاعه نيسابور وأمرة خراسان منه، فأرسل إليه يذكره بطاعته وولائه، ويطلب منه أن يعيده إلى خراسان[5]. ولما لم يجب طلبه عول على استخدام القوة واتجه بجيشه إلى نيسابور وانسحب من أمامه بكتوزون، وأرسل يستنجد بالأمير السامانى أبى الحارث فأجابه ودارت الحرب بين الطرفين، وكان فى مقدور محمود أن يقضى عليهما، غير أنه آثر التريث، متبعًا سياسة أبيه فى إظهار الولاء للسامانيين[6].

لم تلبث الفرصة أن سنحت للأمير محمود الغزنوى لتحقيق أطماعه عندما تحالف فائق

---

(1) أبو الفدا: المختصر، جـ2 ص140.

(2) انظر: منتخب التواريخ لبداونى، ص9.

(3) غلام نوح بن نصر السامانى، وكان قد فر إلى شهاب الدولة هارون بن سليمان إيلك هو وأبو الحسن بن سيمجور القائد السامانى ثائرين على منصور بن نوح الأمير السامانى وأطمعاه فى الاستيلاء على بخارى. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ3، ص160.

(4) ولقبه بسنان الدولة. العتبى: تاريخ اليمنى، جـ1، ص271.

(5) العتبى: جـ1، ص271، ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص48.

(6) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص292 – 295، تاريخ كزيدة، ص147، ملحق بتاريخ بخارى، ابن الأثير: الكامل، جـ9 ص52.

وبكتوزون ضد الأمير السامانى رغبة فى التخلص منه منه، فقبضا عليه وسملا عينيه وولّيًا مكانه أخاه عبد الملك بن نوح سنة 389هـ / 998م[1] فسار محمود بقواته إلى "مرو"[2] حيث التقى بهم فى جمادى الأولى سنة 389هـ (أبريل / مياو 998م) وأوقع بهم الهزيمة وفر الأمير عبد الملك بن نوح وفائق إلى بخارى بينما تراجع بكتوزون وابن سيمجور – الذى كان قد انضم إليهما – إلى قهستان[3].

حقق محمود الغزنوى باستيلائه على خراسان آماله وآمال أبيه فى وراثة أهم ممتلكات السامانيين وولى عليها أخاه نصر بن سبكتكين الذى صار قائدًا لجيوش خراسان، وأعلن محمود الغزنوى نفسه سلطانًا، وأرسل إليه الخليفة القادر بالله العباسى الخلع والألقاب وأقره على ما فى يديه[4].

على أن الأمير السامانى عبد الملك بن نوح لم يركن إلى الهزيمة التى ألحقها به محمود بن سبكتكين وانتزاع خراسان منه، ففى سنة 389هـ / 998م دعا الأمراء المعادين للسلطان محمود فى بخارى وعلى رأسهم فائق وبكتوزون لمواجهة خطره، لكن خططهم للوقوف فى وجهه باءت بالفشل[5].

لم يبق للسامانيين سوى بخارى فيما وراء النهر، ولم يكن محمود يطمع فى الاستيلاء على أملاكهم فى هذا الإقليم، فقد اعتبر نهر جيحون حدًّا طبيعيًّا مناسبًا لدولته من جهة الشمال، وبذلك أتاح الفرصة لإيليك خان ليستولى على بخارى، فقصد عاصمة السامانيين وأظهر لعبد الملك ابن نوح أنه لم يقدم إلى بلده ألا للوقوف إلى جانبه ضد

---

(1) العتبى: جـ1، ص296 – 298، تاريخ أبى الفدا، جـ2، ص141، فامبرى: تاريخ بخارى، ص123.

(2) مرو: مرو الشاهجان: أشهر مدن خراسان وقصبتها، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخًا (175 ميلًا) وبالقرب من مرو الشاهجان مرو الروذ على بعد خمسة أيام منها وهى على نهر عظيم فلهذا سميت به لأن روذ معناها فى الفارسية نهر فسميت به غير أن مرو الروذ صغيرة بالنسبة لمرو الشاهجان. ياقوت: معجم البلدان، جـ8، ص32، 33 (م11 – الحياة السياسية).

(3) العتبى: جـ2، ص310.

(4) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص314، ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص54، 55.

(5) ذلك أن فائق الخاصة وهو من أقوى الأمراء المعادين للسلطان محمود توفى فى شعبان 389هـ، ففت ذلك فى عضد هؤلاء الأمراء وأضعف من شأنهم. ابن الأثير: جـ9، ص55.

أعدائه فظن عبد الملك صدق قوله، فلما التقى به بكتوزون وغيره من الأمراء والقادة ألقى القبض عليهم. ودخل إيليك خان بخارى معلنًا سقوط الدولة السامانية فى العاشر من ذى القعدة سنة 389هـ (الاثنين 24 أكتوبر سنة 999م) [1].

اتجه الغزنويون بعد سقوط الدولة السامانية إلى توسيع رقعة دولتهم بمد نفوذهم إلى الإمارات المحيطة بهم، فسار محمود لمحاربة خلف بن أحمد صاحب سجستان[2]، الذى قام بعدة محاولات للاستقلال عن غزنه فى عهد سبكتكين. ولما أيقن أنه لا يستطيع الوقوف فى وجهه طلب منه العفو والصفح، فعفا عنه وأبقاه على ولايته[3]، غير أن خلف بن أحمد لم يبق على ولائه للغزنويين وأخذ يترقب الفرص للعودة إلى العصيان[4]. فلما توفى سبكتكين سنة 389هـ وخلفه ابنه محمود، عاد خلف إلى الانتقاض على الغزنويين، فأرسل ابنه طاهر إلى قهستان فملكها، ثم سار منها إلى بوشنج[5] وهراة فانتزعها من واليها "بغراجق" – عم السلطان محمود[6] – فقام بغراجق بطرد طاهر من ولايته، واشتبك معه فى معركة انتهت بهزيمة طاهر، على أن طاهر ابن خلف لم يركن إلى الهزيمة، بل انقض فجأة على بغراجق وقتله[7]، فغضب محمود لمقتل عمه وتوجه سنة 390هـ على رأس جيش كبير إلى سجستان لقتال "خلف" وحاصره فى حسن "أصبهبذ" وأجبره على دفع فدية كبيرة[8] وصار مواليًا للدولة الغزنوية وسلطانها محمود[9].

---

(1) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص320، ابن خلدون: العبر، جـ4، ص363 (بولاق سنة 1284هـ)، ابن الأثير: جـ9، ص56 وذكر حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص148 ملحق بتاريخ بخارى أن استيلاء الخان على بخارى وسقوط الدولة السامانية كان فى الثانى والعشرين من ذى الحجة 389هـ.

(2) سجستان: تقع جنوبى هراة، وبينها وبين هراة ثمانون فرسخًا. ياقوت: معجم البلدان، جـ5، ص37.

(3) العتبى: جـ1، ص354، 356.

(4) ابن الأثير: جـ9، ص60.

(5) بوشنج: بلدة نزيهة فى واد مشجر نواحى هراة. ياقوت: جـ2، ص204.

(6) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ1، ص357، ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص60.

(7) العتبى: جـ1، ص357، 358، ابن خلدون: العبر، جـ4، ص364، ابن الأثير: جـ9، ص60.

(8) مقدارها مائة ألف دينار. العتبى: جـ1، ص359، 360.

(9) ابن الأثير: جـ9، ص60، خوند أمير: حبيب السير فى أخبار البشر جـ2 ص11.

ما لبثت الأمور أن تطورت فى سجستان لصالح محمود، إذ ساءت العلاقة بين خلف وابنه طاهر، وتمكن الابن من هزيمة أبيه وولى حكم البلاد، غير أن خلف تمكن من الاحتيال على ابنه وقتله[1]، وأعلن استقلال سجستان عن غزنه[2]. فغضب الجند الموالون لطاهر، وتمكنوا من الاستيلاء على السلطة وأعلنوا دخولهم فى طاعة محمود بن سبكتكين، وأقاموا له الخطبة فى سنة 393هـ / 1002 – 1003م[3].

عول محمود بن سبكتكين على القضاء على خلف بن أحمد الذى فر إلى قلعه[4] "طاق[5]" وما لبث أن دخل هذه القلعة واضطر خلف إلى طلب الأمان، فأجابه وسمح له أن يقيم حيث يشاء فاختار الجوزجان[6] ثم بلغ محمود أنه يكاتب إيلك خان ويحرضه على غزوه فأبعده إلى "كرديز" حيث توفى[7] فى رجب سنة 399هـ (مارس 1009م)[8].

---

(1) العتبى: جـ1، ص368، 370. يروى خوند أمير: حبيب السير جـ2 ص21 أن خلف ترك حكومة سجستان لابنه وانشغل بالعبادة، غير أنه ندم على ما فعل وغدر بابنه وقتله، ولما علم محمود بذلك قصده ليحاربه انتقاما لما فعله.

(2) ابن الأثير: جـ9، ص60.

(3) العتبى: جـ1، ص370، هلال بن الصابى: تحفة الأمراء، ص414، ابن الأثير، جـ9، ص63.

(4) قلعة طاق أو حصن طاق: كان لهذا الحصن سبعة أسوار يحيط بها خندق واسع عميق صعب العبور، لا يعبر منه إلا من طريق فى مضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع عند الاستغناء عنه.
العتبى: جـ1، ص371.

(5) طاق: من مدن سجستان بطرف خراسان بينها بين شمال زرنج مسيرة يوم الكرديزى: زين الأخبار هامش ص177.

(6) تاريخ أبى الفدا: جـ9، ص142. والجوزجان أو جوزجانان: اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهى بين مرو الروذ وبلخ ويقال لقصبتها "اليهودية" ومن مدنها الأنبار وفاراب وكلار.
ياقوت: معجم البلدان، جـ3، ص167.

(7) يذكر الكرديزى: أن موت خلف كان فى بلدة دهك فى زابلستان. زين الأخبار ص177.

(8) العتبى: جـ1، ص368 – 374 ويذكر حمد الله المستوفى: تاريخ كزيده (فارسى) ص392 أن خلف بن أحمد عاود الخروج على السلطان ولجأ إلى إيلك خان فقبض عليه محمود الغزنوى وأرسله من سجستان إلى قلعة جرجان فظل بها إلى أن مات.

أسند محمود ولاية سجستان إلى أحد أمرائه ويدعى "قنجى الحاجب" فثار عليه بعض أهل المدينة، فسار إليهم محمود الغزنوى، وتمكن من القضاء على ثورتهم فى ذى الحجة سنة 399هـ (يولية / أغسطس 1009م) وصفت له سجستان فأقطعها أخاه نصرًا بالإضافة إلى نيسابور[1].

ولما فرغ محمود الغزنوى من أمر سجستا اتجه إلى قصدار، وكانت خاضعة لنفوذ الغزنويين منذ أيام سبكتكين، غير أن أميرها منع ما كان يرسله للسلطان محمود، محتميًا بحليفه إيلك خان الذى كان يلى ما وراء النهر، ولما كانت علاقة السلطان محمود طيبة بالخان، فقد تغاضى عما قام به أمير قصدار، إلى أن تبدلت العلاقة وفسد الحال بينهما، فلم يعد هناك ما يمنع محمود من المسير إليه، وواتته الفرصة حينما انشغل الخان بصراعه مع أخيه "طغان خان" فاتجه إلى قصدار فى جمادى الأولى سنة 402هـ (نوفمبر / ديسمبر 1011م) مظهرًا أنه يقصد هراة، ثم ما لبث أن غير وجهته فأحاط بقصدار، فلم يجد حاكمها الذى فوجئ بالجيوش الغزنوية بدًّا من طلب الأمان وعاد إلى الطاعة[2].

واصل محمود الغزنوى جهوده لمده نفوذ دولته، فاتجه إلى بلاد غرشستان[3] وكان يلى حكمها فى زمن الغزنويين الشار أبو نصر محمد ابن أسد، الذى نزل على الملك لابنه الشاه محمد[4]، ولما آلت خراسان إلى محمود بن سبكتكين دخل فى طاعته حكام تلك البلاد، وقام العتبي[5] المؤرخ بالسفارة بين السلطان وبين الشاه وابنه فقبلا إقامة الخطبة باسم السلطان محمود سنة 389هـ / 998 – 999م وحافظا على طاعة محمود، ورفضا الانضمام إلى بقايا السامانية فى محاولتهم استعادة سلطانهم[6].

---

(1) العتبى: جـ1، ص386 – 389، ابن الأثير: جـ9، ص65.
(2) العتبى: جـ2 ص132، 133، ابن الأثير: جـ9 ص84.
(3) غرشستان: معناها بلاد الغرش وتسمى أيضًا غرستان و"غرج الشار" ومعنى الغرج "الجبال" والشار هو الملك ويسميها العوام "غرجستان" وهى ولاية تقع شمال غزنة ويحدها شمالا مرو الروذ وغربها هراة وأشهر مدنها "بايكان" مقر الشار (الملك) ويسير وسورمين وهى ملاصقة بلاد الغور. ياقوت: معجم البلدان، جـ6، ص277.
(4) واشتغل بالعلوم ومجالسة العلماء. العتبى: جـ2، ص133.
(5) أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت 428هـ / 1036م).
(6) يروى العتبى أن الشاه محمد حضر إلى بلاط السلطان الغزنوى ليقدم فروض الولاة والطاعة. تاريخ اليمينى، جـ2، ص133 - 138.

غير أنه عندما اعتزم السلطان محمود غزو الهند فى نفس العام (389هـ) وأرسل إلى ولاة الأقاليم فى دولته يطلب منه إمداده بالقوة اللازمة – لم يستجب حاكم غرشستان – وأظهر التمرد[1] والعصيان، فتغاضى السلطان محمود عن عصيانه حتى عاد من غزوته فى الهند وعول على استعادة نفوذه فى غرشستان[2] فأرسل إليها جيشًا بقيادة أبى سعيد التونتاش وأرسلان جاذب والى طوسن، واستطاع الجيش الغزنوى دخول غرشستان غير أن حاكمها لم يستسلم للهزيمة، ولجأ مع بعض قواته إلى إحدى القلاع وتحصن بها، فحاصره الجيش الغزنوى حتى اضطر إلى الاستسلام وقبض عليه حيث سيق إلى غزنه[3]، وخضعت غرشستان من جديد للسلطان محمود[4].

رأى السلطان محمود أن يتابع سياسته فى تدعيم سلطة دولته، بغزو بلاد الغور[5]، فسار إليها على رأس قواته، وخرج إليه حاكمها "ابن سوري" فى عشرة آلاف مقاتل[6]، ودارت الحرب بين الفريقين، وتمكن جند الغزنويين من دخول مدينة آهنكران[7]. وكان ذلك فى سنة 401هـ / 1010 – 1011م[8].

استمرت إغارات السلطان محمود على بلاد الغور، مستغلًّا فى ذلك قدراته وإمكانياته الحربية، ففى سنة 405هـ / 1014م زحف على "خوابين" – وهى متصلة بأراضى بست

---

(1) العتبى: جـ2، ص140، ابن خلدون: العبر، جـ4، ص359، ابن الأثير: جـ9، ص55.

(2) ابن الأثير: جـ9، ص55.

(3) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ2، ص140 - 146.

(4) العتبى: جـ2، ص140 – 146. خوندمير: حبيب السير، جـ1 ص20.

(5) الغور: ولاية واسعة موحشة تغلب عليها الطبيعة الجبلية والمناخ البارد وكانت تقع بين هراة وغزنة، ورغم إحاطة ديار الإسلام بهذا الإقليم فقد ظلوا على الكفر إلا قلة منهم اعتنقت الإسلام وقد وصف العتبى ملكهم بأنه زعيم الكفرة، وكانت مدينة فيروزكوه عاصمتهم، وكان ملوكهم يحملون اسم "سوري". الأصطخرى: المسالك والممالك، ص153 – 157، العتبى: جـ2، ص123، ياقوت: معجم البلدان جـ6 ص213.

(6) العتبى: جـ2 ص122، 123، البيهقى: ص118 – 120، ابن الأثير: جـ9، ص82.

(7) العتبى: جـ2، ص125، ابن الأثير: جـ9، ص82.

(8) العتبى: جـ2، ص124، ابن خلدون: العبر، جـ4، ص369.

ودراو – وتمكن من فتح الحصون الموجودة فى هذه المنطقة[1]، ولم يزل يواصل غزوه بلاده الغور حتى تمكن من الاستيلاء على "وي"[2] قاعدة تلك البلاد[3].

ظلت بلاد الغور خاضعة للغزنويين فى عهد السلطان محمود وابنه السلطان مسعود، وجاء أمراؤها بين راغب وكاره يقدمون فروض الطاعة للسلطان مسعود، ولم يتفق فى أى عهد أنهم خضعوا لملك مثله من قبل. على حد قول البيهقي[4].

ولم يكن الأفغان[5] أقل خطرًا من الغور، فكانوا يسكنون الجبال القريبة من غزنه، ويقطعون الطرق المؤدية لها، فعول السلطان محمود على إخضاعهم فقصد فى سنة 409هـ / 1018م بلادهم وسلك مضايقها. وفتح مغالقها، وغنم أموالهم فركنوا إلى الهدوء والطاعة لغزنه[6].

كذلك اتجه السلطان محمود الغزنوى إلى جرجان وطبرستان لاخضاعهما وكانتا تحت حكم آل زيار[7]. وقد عمل السلطان محمود على الاستفادة من الخلافات التى نشبت داخل الأسرة الزيارية. وكان دارا بن الأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير الزيارى قد لجأ إليه، وحدث أن تغير عليه السلطان محمود فأودعه السجن، ثم أراد أن يفيد منه بعد

---

(1) البيهقى: ص118.

(2) كان "وي" ذات موقع استراتيجى هام بحيث يستطيع من يسيطر عليها أن يفرض سيطرته ونفوذه على المنطقة كلها. البيهقى، ص121.

(3) البيهقى، ص121 - 124.

(4) البيهقى، ص118.

(5) كان العنصر الأفغانى يقيم فى بلاد سليمان القريبة من غزنة، ويتسم الأفغان بالأنوف الطويلة الضيقة والعيون السوداء، ويبلغ طول قامتهم ما بين 63.5 إلى 69 بوصة، وهم من أصل إيرانى تركى ويتصفون بحدة الطباع. محمود طه أبو العلاء: دراسات فى جغرافية العالم الإسلامى، ص109، على مظهر: افغانستان، ص21 - 28.

(6) العتبى: تاريخ اليمينى، جـ2، ص301 – 303، ابن خلدون: العبر، جـ4، ص373، ابن الأثير: جـ9، ص115.

(7) نسبة إلى مؤسسها زيار بن وردان شاه حاكم جيلان والد مرداويج، زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، جـ2، ص320، دائرة المعارف الإسلامية، جـ10، ص471.

الاضطرابات التى حدثت فى جرجان فأطلقه وقرر إرساله فى جيش للاستيلاء على جرجان باسمه[1]، وخشى منوجهر الذى آل إليه الحكم فى جرجان وطبرستان وبلاد الجبل سنة 403هـ[2] مغبة الأمر فسارع بتقديم الطاعة والولاء للسلطان محمود وتعهد بدفع أتاوة قدرها خمسون ألف دينار كل عام له، وأقام له الخطبة على منابر بلاده[3].

وجه سلاطين الغزنويين جهدهم للقضاء على حركات التمرد والعصيان التى قامت ضدهم فى طبرستان وجرجان، فقد استغل دار ابن منوجهر – والى طبرستان وجرجان من قبل الغزنويين انشغال السلطان مسعود سنة 426هـ / 1034م ببعض الغزوات فى الهند، والشغب الذى أحدثه الغز (السلاجقة) فى خراسان، وامتنع عن إرسال الأموال المقررة على ولايته إلى غزنة، وراسل أمير أصفهان علاء الدولة ابن كاكوية[4]، فلما انتهى السلطان مسعود من غزواته فى الهند وأخضع الغز فى خرسان. سار إلى جرجان واستعادها، ثم اتجه إلى آمل وطبرستان[5] ففارقها وإليها وتحصن مع جنده بالجبال، فسار إليهم السلطان مسعود واقتحمها عليهم وهزهم، فلما رأى "دارا" أنه لا قبل له بالسلطان مسعود طلب منه العفو والصفح فعفا عنه وأعاده إلى ولايته[6].

أما خوارزم التى تقع شمال غرب خراسان، ويتولى حكمها أفراد يتسمون باسم مأمون[7]، فقد تزوج آخر حكامها أبو العباس المأمون بن المأمون[8] من أخت السلطان

---

(1) العتبى: جـ2، ص187 - 192.

(2) العتبى: جـ2، ص179، 180، زامباور: معجم الأنساب، جـ2، ص320.

(3) سعى منوجهر إلى تقوية مركزه بطلب مصاهرة السلطان فأجابه وزوجه إحدى بناته. العتبى: جـ2، ص172 - 181.

(4) هو علاء الدولة (عضد الدين) أبو جعفر محمد بن وشمنزار ابن كاكويه، استولى على أصبهان سنة 398هـ وهمدان وسابور خواست سنة 414هـ، وتوفى سنة 433هـ. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، جـ2، ص328.

(5) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص160.

(6) البيهقى: ص491، ابن الأثير: جـ9، ص165.

(7) البيهقى: ص731.

(8) وهو من آل فريغون الذين كانوا يحكمون فى ولاية الجوزجان. العتبى: جـ2، ص101.

محمود[1]، وكان أبو العباس هذا يدين بالولاء للسلطان الغزنوى، وبلغ من خضوعه له أنه أمر بكتمان أمر الخلعة والألقاب التى أرسلها إليه الخليفة القادر بالله، خشية من غضب السلطان لحصوله عليها بغير وساطته[2].

ولم يلبث أبو العباس خوارزمشاه أن أثار شك السلطان محمود فى صدق ولائه له حين رفض إرسال رسول من قبله ليشهد عقد ميثاق الصلح بين السلطان وخانات التركستان[3]، ورأى السلطان محمود أن يؤكد خضوع حكام خوارزم له، فطالب أميرهم أبا العباس أن يقيم الخطبة باسمه، لكن رجال خوارزمشاه عارضوا هذا الأمر بشدة[4]. ورأى الأمير أبو العباس أن يقيم الخطبة للسلطان محمود فى جميع بلاده ما عدا مدينتى خوارزم والجرجانية التى يتمركز فيها المعارضون للسلطان محمود[5].

لم يلب هؤلاء المعارضون أن ثاروا على ابن العباس خوارزمشاه بقيادة كبير الحجاب "البتكين البخاري"[6] وقصدوا دار الإمارة وحاصروا خوارزمشاه وقتلوه فى منتصف شوال سنة 407هـ (مارس 1017م) [7]، ثم جاءوا بابن أخيه[8] أبى الحرث محمد بن على بن المأمون – وكان فى السابعة عشر من عمره – وأجلسوه على العرش واستولى البتكين

---

(1) العتبى: تاريخ اليمينى جـ2، ص252، البيهقى، ص743، ابن الأثير: جـ9، ص98، وإن كان البيهقى يذكر، ص734 أنه تزوج من أخت الأمير سبكتكين السيدة "كالجي".

(2) البيهقى، ص734، 735 يشيد أبو الريحان البيرنى بأخلاق أبى العباس فيقول: "وقد خدمته سبع سنين لم أسمع لفظًا نابيًا جرى على لسانه".البيهقى، ص734.

(3) البيهقى، ص736.

(4) حاول خوارزم شاه أن يقوى مركزه بالتحالف مع خانات التركستان ضد السلطان محمود، لكنهم رفضوا أن ينكثوا بعهدهم مع السلطان الغزنوى وعرضوا أن يتوسطوا فى الصلح بينهما.
البيهقى: ص736 - 742.

(5) البيهقى، ص736.

(6) يذكره حمد الله المستوفى باسم "اينالتكين"، تاريخ كزيدة، ص396 (فارسى).

(7) كان عمر هذا الأمير اثنين وثلاثين عامًا. البيهقى: ص742.

(8) يذكر العتبى: أنه عقد لأحد أولاده إمارة خوارزم. تاريخ اليمينى، جـ2، ص254.

البخارى على شئون الحكم مع وزيره "أحمد طغان" وأستبدوا بالسلطة أربعة أشهر كانت فيها البلاد مسرحًا للفتن والمؤامرات[1].

ولما بلغ السلطان محمود ثورة هؤلاء المعارضين على خوارزمشاه وقتله أرسل إلى خانات التركستان يخبرهم بعزمه على محاربتهم[2]، وأوقع الهزيمة بقائد جيشهم البتكين البخاري[3]، ثم دخل السلطان محمود خوارزم واستولى عليها[4].

اتجه الغزنويون بعد ذلك إلى الاستيلاء على أملاك البويهيين التى تحيط بدولتهم من الغرب والجنوب الغربى، وقد تهيأت الظروف أمام السلطان محمود نتيجة انقسام البويهيين إلى عدة قوى تتصارع فيما بينها. فبدأ زحفه على أملاكهم سنة 420هـ / 1029م الرى وبلاد الجبل[5].

كان يلى حكم الرى مجد الدولة أبو طالب رستم بن على، وكان فى الرابعة من عمره عندما آل إليه الملك بعد وفاة أبيه فخر الدولة سنة 387هـ / 997م. ولذا تولت والدته السلطة الفعلية فى البلاد، وكانت الرى موضع تفكير السلطان محمود وكان يستشير وزيره أبا الحسن الميندى فى المسير إليها لكنه أثناه عن ذلك[6].

---

(1) البيهقى: ص742.

(2) العتبى: جـ2، ص254 – 256، البيهقى، ص742.
رغم علم خانات التركستان أن السلطان محمود حين يستولى على خوارزم سيكون كالشوكة القوية فى قلبهم. البيهقى: ص744.

(3) البيهقى: ص744 – 745. كذلك قبض السلطان محمود على خمارتاش الشرابى، وشاذتكين، وكانوا رؤوس الفتنة والمدبرين لها. البيهقى، ص745.

(4) وضم إليها الجرجانية. حمد الله المستوفى: تاريخ كزيده، ص396 (فارسى). يذكر ابن الجوزى: المنتظم جـ7 ص284 فى حوادث سنة 407هـ أن محمود بن سبكتكين ملك خوارزم ونقل أهلها إلى الهند.

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ3، ص167.

(6) البيهقى: ص289. كان السلطان محمود يبعث برسله إلى الرى مهددًا بالغزو أو مطالبًا بالجزية فى عهد أم مجد الدولة، لكن مستشارها بدر بن حسشويه الكردى كان يظهر لهؤلاء الرسل ما لديه من قوة عسكرية فكان يرتب طوائف الجند بطول الطريق بكامل أسلحتهم وهيئتهم حتى يبعث الرهبة =

ولما اضطربت الأحوال فى الرى بعد وفاة أم مجد الدولة سنة 419هـ[1] وشغب الجند ضد الأمير مجد الدولة[2]، اضطر هذا الأمير إلى مكاتبة محمود بن سبكتكين، فأرسل إليه يطلب منه الدخول فى طاعته، فوافق مجد الدولة على شروطه[3]، فأرسل السلطان محمود جيشًا[4] إلى الرى فقبض على مجد الدولة وأرسله إلى غزنه[5]، وبذلك تيسر للسلطان محمود ضم الرى إلى حوزته سنة 421هـ[6].

أصبحت ولاية كرمان فى متناول الغزنويين بعد استيلائهم على الرى، ففى سنة 422هـ بلغ السلطان مسعود[7] اضطراب الأحوال فى هذه الولاية، فأرسل قائده أحد على نوشتكين[8] فتمكن من الاستيلاء على كرمان دون صعوبة تذكر وطرد منها جند البويهيين[9].

= فى نفس رسول السلطان وليخبروا السلطان بما شاهدوه. فكان ذلك طريقًا للكف والموادعة ومما يروى أنه حينما هددها السلطان بالقتال قالت للرسول: "إن السلطان لن يقدم على محاربة عجوز مثلى، وإذا اختار الحرب، فلن أتردد عن الطعن والنزال، فإن انتصرت فسيذكر لى هذا النصر إلى يوم الدين، وأما إذا فاز هو، فسيتحدث المتحدثون أنه لم يغز إلا على امرأة عجوز" ولهذا لم يقدم السلطان على قصد هذه المرأة طول حياتها. أبو شجاع: ذيل تجارب الأمم ص290، 291. براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى ص197، 198.

(1) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، جـ11، ص58 (مخطوط).

(2) وكان يميل إلى المذاهب المناوئة للمذهب السنى وكان مولعًا بقراءة كتب الشيعة والمعتزلة، ابن الجوزى: المنتظم، جـ8، ص38.

(3) وكانت هذه الشروط أن يدخل مجد الدولة فى طاعته مقابل أن يساعده ضد المتمردين عليه وأن يزوجه إحدى بناته. مرآة الزمان، جـ11، ص457 – 459 (مخطوط).

(4) وكان على رأس هذا الجيش ثلاثة من مقدمى قواده هم أيكوتكين وعلى الحاجب وغازى الحاجب. الكرديزى: زين الأخبار، ص193 "فارسي".

(5) الكرديزى: ص193 وإن كان سبط بن الجوزى يذكر أنه أرسل مع ابنه أبى دلف إلى إحدى قلاع خراسان. مرآة الزمان: جـ11، ص457 – 459 (مخطوط).

(6) وكان فتح الرى فى جمادى الأولى سنة 421هـ، الكرديزى: زين الأخبار، ص193.

(7) عن طريق جواسيسه، البيهقى: ص456، 457.

(8) على أن يكون واليًا وقائدًا وأن يكون أبو الفرج الفارسى صاحب الجيش والأعمال والأموال. البيهقى: ص456، 457.

(9) البيهقى: ص457.

ولما أرسل الأمير البويهى أبو كاليجار[1] إلى السلطان مسعود يعتب عليه استيلائه على كرمان أجابه بأنه سار إلى هذه الولاية للقضاء على المفسدين فيها ولاستنجاد أهلها به، فضلاً عن أن الخليفة العباسى أرسل إليه كتابًا يطلب فيه الاستيلاء على هذه الولاية[2].

لم يكن الاستيلاء على كرمان وغيرها من أملاك البويهين فى شرق الدولة الإسلامية هو نهاية المطاف لآمال الغزنويين، بل كانوا يطمحون فى القضاء على نفوذ البويهيين فى العراق، يتضح ذلك من قول السلطان مسعود لقائده حسن سليمان[3] فى الرى: "وأعلم علم اليقين أنا سنعمل الفكر فى شئون هذه النواحى عندما تستقيم لنا الأحوال ونصل إلى قاعدة ملكنا، وسنبعث قائدًا كبيرًا إلى هنا مع جيش عظيم بصحبته أحد الأكفاء والثقاة من أرباب القلم ليتخذه الجميع مثالاً حسنًا فى أعمالهم حتى يدخل باقى العراق فى طاعتنا إنشاء الله"[4]، كما تجلت أطماع السلطان مسعود فى العراق حين وجه حاجبه "تاش فراش" إلى خراسان والعراق فى شوال سنة 422هـ (سبتمبر / أكتوبر 1031م) وقال له: "وأملى أن يفتح الله عليك أبواب العراق جميعها"[5]، غير أن ما تعرضت له الدولة الغزنوية من فتن وثورات، فضلاً عن ظهور خطر السلاجقة حال دون تحقيق هذه الأطماع.

---

(1) البيهقى: هامش ص456.

(2) البيهقى: ص457.

(3) أحد أعيان أمراء جبال هراة وقد عينه السلطان شحنه (قائدًا) لإقليم الرى، البيهقى: ص23.

(4) البيهقى: ص23. وكان ذلك يوم الأربعاء لأربع عشر ليلة بقين من رجب سنة 421هـ.

(5) البيهقى: ص309.

ظهور السلاجقة وزوال سلطان الغزنويين

أثار ظهور السلاجقة[1] مخاوف السلطان محمود الغزنوي[2]، خاصة بعد تحالفهم مع الأمير على تكين[3]، الذى كثيرًا ما أثار المتاعب للسلطان الغزنوى فيما يجاوره من البلاد وقطع الطريق على سله المترددين إلى ملوك الترك[4] ولما عقد الصلح بين السلطان محمود بن سبكتكين وبين الأمير القره خانى قدرخان سنة 415هـ / 1024 – 1025م[5] حذره "قدرخان" من السلاجقة وتعاظم قوتهم واحتمال قيامهم بالاستيلاء على بعض الولايات مستغلين غيابه فى بلاد الهند، وأشار عليه بأن يستعين بهم ليأمن شرهم[6].

---

(1) السلاجقة: نوع من قبائل للغز الأتراك، وقد أخذت هذه القبائل تفارق موطنها الأصلى فى سهول التركستان على شكل موجات خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى واستقروا فى أول أمرهم فى بلاد ما وراء النهر. وقد عرف السلاجقة بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق، وكان لسلجوق أربعة أولاد هم: إسرائيل (بيغو أرسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل وخلف ميكائيل أولاده بيغو وطغرلبك وجغرى بك داود.
الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص2، 3، ابن العمد: تاريخ المسلمين، ص267، الراوندى: راحة الصدور، ص145، 146، ابن الأثير: جـ3، ص176 – 178، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص91 ترجمة محمود محروس قشطة، بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا، ص100 – 107، دائرة المعارف الإسلامية، جـ5، ص34 - 37.

(2) تزايدت قوة السلاجقة خاصة بعد أن امتلكوا جيشًا كامل العدة والعدد واشتبكوا فى معارك حربية ضد القره خانيين كان النصر فيها حليف السلاجقة. ابن الأثير: جـ9، ص176 - 178.

(3) ابن الأثير: جـ9، ص176.

(4) ابن الأثير: جـ9، ص176 - 178.

(5) البيهقى: ص22، ابن الأثير: جـ9 ص176، 177، الكرديزى: زين الأخبار ص188، 189.

(6) الراوندى: راحة الصدور، ص147.

استجاب السلطان محمود الغزنوى لهذا التحذير، وأراد أن يتبين بنفسه مدى قوة السلاجقة، فأرسل إليهم رسالة، طلب فيها أن يختاروا أحدهم يفد إلى مقره على شاطئ جيحون ليعقد معه العهود والمواثيق[1]، فقدم إليه إسرائيل على رأس جيش كبير، فلما علم السلطان محمود بقدومه أنفذ إليه رسولاً يقول له: "لسنا الآن فى حاجة إلى الاستمداد بجيشك، وإنما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك، فاترك الجيش فى مكانه، وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك". فأجاب إسرائيل طلب السلطان وسار إليه ومعه ولده قتلمش فى جماعة من خير فرسان السلاجقة[2] فلما وصل إلى حضرة السلطان بالغ السلطان محمود فى إكرامه وأجلسه على طرف سريره[3].

أراد محمود أن يعرف قوة السلاجقة على حقيقتها، فأوهم إسرائيل أنه يود الاستعانة بهم القضاء على من يحاول الخروج عليه حينما يذهب لغزو بلاد الهند، وسأل إسرائيل عن مقدار ما يستطيع السلاجقة أن يمدوه من الجيوش، وكان إسماعيل يحمل قوسًا وسهمين، فأخذ سهمًا وأعطاه للسلطان محمود وقال له: "أرسل هذا السهم لجندنا إذا عرضت لك حاجة إلينا يأتك من مائة ألف فارس ..." فأجابه السلطان: وإذا لم يكف هذا العدد؟ فتناول إسرائيل السهم الآخر وأعطاه للسلطان محمود وقال له: "أرسل هذا السهم إلى جبل "بلخان"[4] فسوف يأتيك خمسون ألف غيرهم، وإذا لم يكفك هذا العدد فأرسل إلينا هذا القوس، وكان إسرائيل قد ناول السلطان قوسه – فسوف يأتيك إذا شئت مائتا ألف فارس"[5].

تأكدت مخاوف السلطان محمود الغزنوى تجاه السلاجقة وتعاظم قوتهم، فأمر بالقبض على إسرائيل بن سلجوق وولده قتلمش وبقية من معه من الفرسان، ثم

---

(1) راحة الصدور، ص147، 148.

(2) راحة الصدور، ص148.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) جبال بلخان: إلى الشمال الشرقى م خراسان. الراوندى: راحة الصدور، هامش ص149.
وبلخان كانت مدينة فى ظهر أبيورد. الكرديزى: زين الأخبار، هامش ص192.

(5) الراوندى: ص148، 149.

أرسل الأمير السلجوقى إلى بلاد الهند حيث سجن فى قلعة كالنجـر[1]، وبقـى هناك حتى توفى[2].

كان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة واعتقاله إسرائيل ومن معه من القواد والفرسان أسوأ الأثر فى نفوس السلاجقة، الذين عزموا على الثأر من الغزنويين، فاختاروا لقيادتهم ميكائيل بن سلجوق[3]، الذى نجح فى نقل السلاجقة إلى إقليم خراسان[4]، فقد كتب إلى السلطان محمود يقول: "إن مقامنا أصبح يضيق بنا، وأن مراعينا أصبحت لا تفى بحاجة مواشينا، فأذن لنا أن نعبر النهر وأن نجعل مقامنا بين نساء[5] وباورد[6] فأشار أرسلان الجاذب[7] حاكم مدينة طوس على السلطان محمود بألا يسمح لهم بالعبور إلى خراسان[8]، غير أن السلطان محمود لم يلتفت إلى قول أرسلان الجاذب، لأنه لم يعد يخشى بأس السلاجقة بعد القبض على إسرائيل وصفوة قوادهم، وسمح لهم بعبور نهر جيجون والاستقرار فى إقليم خراسان سنة 416هـ / 1025م[9].

---

(1) الراوندى: ص149 – 151. وذكر الكرديزى: أنه بعد مقابلة السلجان محمود لقدرخان، أخبره جواسيسه بأن إسرائيل ابن سلجوق مختفى فى مكان ما بالصحراء فأرسل إليه من قبض عليه وأحضروه فأرسل إلى غزنة ومن هناك أرسل إلى الهند حيث كان آخر العهد به. زين الأخبار، ص189.

(2) قام السلاجقة بمحاولة لإخراج سلجوق من سجنه، غير أن الحراس تمكنوا من إعادة إسرائيل إلى سجنه بعد أن اكتشفوا اختفاءه. الراوندى: راحة الصدور، ص149 - 151.

(3) البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص5، حسين أمين: تاريخ العراق فى العصر السلجوق، ص48. وتذكر بعض المصادر أن ميكائيل قتل قبل هذا التاريخ أثناء غارات السلاجقة على الأتراك غير المسلمين، ابن الأثير: جـ9، ص167، 177، أبو الفدا: المختصر، جـ2، ص171.

(4) البندارى: ص5، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص25.

(5) نسا: مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبين مرو خمسة أيام وبين أبيورد يوم، ياقوت: معجم البلدان، جـ8، ص282.

(6) باورد: وهى أبيورد بلد بخراسان بين سرخس ونسا.ياقوت: جـ2، ص53.

(7) هو أبو الحرب أرسلان الجاذب. الكرديزى: زين الأخبار ص190.

(8) الراوندى: راحة الصدور، ص153، الكرديزى: ص190، ابن الأثير: جـ9 ص177.

(9) زين الأخبار: ص190، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة، ص435، 436 (فارسى).

عمل السلاجقة منذ أن استقروا فى إقليم خراسان على توطيد نفوذهم فى هذا الإقليم بتدعيم قواتهم وتسليحها، كما أخذوا يبسطون نفوذهم على الأطراف المجاورة ويتحينون الفرص للقضاء على نفوذ الغزنويين فى خراسان وما وراء النهر[1].

أدت سياسة السلاجقة التى تنتطوى على التوسع إلى تذمر أهل نسا وباورد وفراوة[2] وجاءوا إلى بلاط السلطان محمود سنة 418هـ حيث رفعوا شكواهم من عدوان السلاجقة على بلادهم، فكتب السلطان محمود إلى والى طوس أرسلان الجاذب يأمره بمحاربة السلاجقة ودارت عدة معارك انتهى الأمر فيها بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوي[3] فلما علم السلطان محمود الغزنوى بهزيمة أرسلان الجاذب أرسل إليه يلومه على عجزه وتقصيره فى صد السلاجقة فأجابه بأن أمرهم قد قوى بحيث لا يستطيع وحده مواجهتهم وطلب من الحضور بنفسه لقمع السلاجقة[4]، فلم يجد السلطان محمود بدًّا من التوجه بنفسه لمحاربة السلاجقة وتجهز لقصدهم فى سنة 419هـ وتحرك من غزنة إلى بست ومنها إلى طوس حيث استقبله أميرها ووضح له حقيقة الحال، فقوى عزمه على محاربة السلاجقة وإجلائهم عن البلاد التى استولوا عليها، وعند "رباط فراوة" التقى الغزنويون بالسلاجقة حيث دارت بين الفريقين معركة كبيرة انتصر فيها الجيش الغزنوى انتصارًا ساحقًا[5].

على أن جغرى بك داود أبا سليمان، وطغرلبك أبا طالب ولدى ميكائيل بن سلجوق[6] استطاعا بعد هذه الهزيمة جمع شمل السلاجقة وتوحيد صفوفهم وإعداد جيش قوى، وقد أتيحت لهم الفرصة لتحقيق أطماعهم عند وفاة السلطان محمود[7]،

---

(1) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ص26.

(2) فراوة: بليدة من أعمال نسا بين دهستان وخوارزم ويقال لها رباط فراوة. معجم البلدان، جـ6 ص352.

(3) الكرديزى: زين الأخبار، ص192.

(4) زين الأخبار، ص192.

(5) الكرديزى: زين الأخبار، ص192.

(6) الراوندى: راحة الصدور، ص154.

(7) زين الأخبار، ص194.

فأخذوا يعملون على توسيع رقعة أراضيهم وبسط نفوذهم على المناطق المجاورة، حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعًا لنفوذ السلاجقة[1].

لم يكتف جغرى بك وطغرلبك بما حققاه من نصر فى خراسان، وأرسلا إلى حاكم مدينة نيسابور "سورى بن المعتز" يطلبان من أن يأذن للسلاجقة بالإقامة فى هذه المدينة[2]، فرفض إجابة طلبهما وكتب إلى السلطان مسعود[3] بذلك فعول على المسير إلى نيسابور سنة 426هـ، وأعد جيشًا كبيرًا لمحاربة السلاجقة[4]. غير أنه لبث أن اضطر إلى عقد صلح معهم اعترف فيه بسيادتهم على نسا وفراوة ودهستان[5].

وكان السلاجقة قد أرسلوا كتبًا[6] إلى السلطان مسعود رغم النصر الذى حققوه على جيشه يلتمسون فيه العفو عنهم، وعقد الصلح معهم، يقرهم فيه على ما بيدهم من البلاد[7] وبعد مفاوضات جرت بين رسل السلاجقة والسلطان مسعود، وافق السلطان الغزنوى على طلب السلاجقة[8].

كان لعقد السلطان مسعود الصلح مع السلاجقة، أثر كبير فى توطيد نفوذهم بخراسان وتوسيع رقعة أراضيهم، فقد ذكر الراوندي[9] أن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود "اشتد بأسهم وازدادت قوتهم، ولاحت عليهم إمارات الملك، وعلامات الحكم،

---

(1) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص27، حسين أمين: تاريخ العراق فى العصر السلجوقى، ص49.

(2) البيهقى:، ص503، 504، الراوندى: ص154، 155.

(3) زين الأخبار، ص194 - 197.

(4) عهد مسعود بقيادة هذا الجيش إلى عدد من امرائه بلغوا عشرة على رأسهم "بكتغدى الحاجب" وكدخداى خواجه حسين بن على ابن ميكائيل، وكانت جملة الجيش خمسة عشر ألف فارس مجهزين بعدتهم بالإضافة إلى ألفين من الحراس. البيهقى: ص515، 516.

(5) البيهقى: ص528، الراوندى: راحة الصدور، ص156، 157، الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص9، ص12.

(6) البيهقى: ص525، 526.

(7) البيهقى: ص528، الكرديزى: زين الأخبار، ص202.

(8) البيهقى: ص528.

(9) راحة الصدور، ص156، 157، البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص8.

ومخايل السلطان، فلما عاد السلان الغزنوى من الهند إلى غزنة سنة 429هـ وعلم بعلو شأن السلاجقة وازدياد قوتهم أحس بالخطر الذى بات يتهدد دولتهم من ناحيتهم[1]، فكتب إلى أمير خراسان[2] يأمره بوجوب محاربة السلاجقة وإخراجهم من خراسان، غير أن أمير خراسان أجاب على كتاب السلطان مسعود بقوله: "إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن نقاومهم"[3]، لكنه ما لبث أن اضطر إلى الخروج لإجلاء السلاجقة عن منازلهم، وفى آخر شعبان سنة 429هـ (الثلاثاء 6 يونيه 1038م) التقى جيش مسعود بقيادة أمير خراسان بالسلاجقة على باب مدينة سرخس، ودارت معركة كبيرة بين الفريقين انتهت بانتصار السلاجقة[4].

كان لهذا النصر الذى أحرزه السلاجقة أثره الكبير فى قيام دولتهم، فسار طغرلبك إلى نيسابور ودخلها بعد أن منح أهلها الأمان، وجلس على عرش السلطان مسعود فى ذى القعدة من السنة نفسها (429هـ) باسم السلطان طغرلبك وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر المدنية[5].

لما بلغ السلطان مسعود ما أحرزه طغرلبك من نصر، عزم على محاربة السلاجقة[6]،

---

(1) ابن الأثير: جـ9، ص178، 179، الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص10 - 12.

(2) المراد به الحاجب الكبير سباشى. الراوندى: راحة الصدور، هامش ص157.

(3) الراوندى: راحة الصدور، ص157.

(4) البيهقى: ص579 – 593، راحة الصدور، ص158، ابن الأثير: جـ9، ص178 - 179.

(5) راحة الصدور، ص158، البيهقى، ص600 – 604، ابن خلكان: جـ2، ص440.

وصف البيهقى دخول طغرلبك نيسابور بقوله: "وكان طغرلبك قد كتب إلى إبراهيم ينال بقوله: "أن أعيان نيسابور قد تصرفوا بحكمة، فلا جرم أن يروا ما سيكون لهم وللرعايا جميعًا من الطيبات، وقد أقمنا على الجيوش أخانا داود وعمنا بيفو معهما المقدمون وسنحضر نحن على المقدمة مع خاصتنا، وذلك حتى لا يمس رعايا تلك البلاد سوء، جزاء ما قدموا من الطاعة وحفظوا أنفسهم ..." وبلغ طغرلبك نيسابور بعد ثلاثة أيام وخرج الأعيان جميعًا لاستقباله وكان طغرلبك قد أعتلى سرير (عرش) السلطان مسعود أمام الصفة، وأخذ بيد القاضى صاعد الذى طلب منه أن يعدل بين الناس ولا يترك الجيش يظلم الناس". البيهقى، ص603، 604، بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا، ص104.

(6) الراوندى: راحة الصدور، ص162، البيهقى: ص605 - 607.

فأعد جيشًا ضخمًا[1] سار به نحو خراسان حيث قضى الشتاء بنيسابور سنة 430هـ / 1039م ثم تحرك فى الربيع إلى باورد ومنها إلى سرخس[2]، ومن هناك اتجه ناحية داندانقان[3].

لم يكن السلطان مسعود ينزل بجنده فى تلك الناحية[4]، حتى أقبل السلاجقة واستولوا عليه المنطقة المحيطة به، وقطعوا الطريق عليه إلى غزنة[5]، مما اضطره إلى استكمال إعداد جيشه، واستغلا السلاجقة لملاقاته، فلما دارت الحرب بين الطرفين هزم جند الغزنويين، وارتد بعضهم، فانضموا إلى السلاجقة، وعلى الرغم مما أبلاه السلطان مسعود من شجاعة أثنال القتال، إلا أن فرار قواده وعصيانهم أوامره لهم بمواصلة القتال أدى إلى هزيمة الغزنويين فى داندانقان[6]، وكان ذلك فى يوم الجمعة الثامن من رمضان سنة 431هـ (24 مايو 1040م) [7].

ولما حلت الهزيمة بقوات السلطان مسعود واضطر إلى العودة إلى غزنة، أخذ السلاجقة يتتبعون جيشه المهزوم ويوقعون به، ويغنمون منه لما لا حصر له من الأسرى والأموال والسلاح والدواب[8].

---

(1) بلغ عدده ما بين أربعين وخمسين ألف جندى، البيهقى: ص607.

(2) الكرديزى: زين الأخبار، ص203.

(3) داندانقان: بلدة من نواحى مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها فى الصحراء وتقع بين سرخس ومرو. معجم البلدان، جـ2، ص610، زين الأخبار، هامش ص203.

(4) زين الأخبار، ص203.

(5) راحة الصدور، ص162، 163.

(6) يرجع البيهقى هزيمة الغزنويين فى داندانقان إلى شدة القيظ وقلة المؤن والعلف وهزال الدواب، فضلاً عن أن المعركة كانت فى الأيام الأولى من رمضان كما أن السلاجقة قاموا باستنزاف مياه الآبار فى منطقة القتال وردموها. البيهقى: ص680، الراوندى: راحة الصدور، ص163.

(7) أمر السلطان مسعود بعد عودته إلى غزنة باعتقال قواده الثلاثة على داية وحاجبه العظيم سباشى وحاجبه بكتغدى لإهمالهم وعدم طاعتهم أوامره، حيث أمر بقتلهم. زين الأخبار، ص203.

(8) البيهقى، ص663 – 695، الحسينى: أخبار الدولة السلوجقية، ص11 – 12، الراوندى: راحة الصدور، ص163، 164، ابن الأثير: جـ9، ص179، 180.

كانت موقعة داندانقان حدًّا فاصلاً بين السلاجقة والدولة الغزنوية، فبعد هزيمة السلطان مسعود لم يجرؤ الغزنويون على التصدى للسلاجقة أو محاولة استعادة ما فقدوه من البلاد، كما تطرق الضعف إلى جسم الدولة الغزنوية بسبب النزاع بين أمراء الجيش والتنافس بين أمراء البيت الغزنوى على السلطة.

وزعت ولايات الدولة الغزنوية بعد انتصار السلاجقة فى داندانقان على أمرائهم فاتخذ جغرى بك مدينة مرو دارًا لملكه واختص بأكثر خراسان، وتقلد موسى ولاية بست وهراة وسجستان، وولى قاورد ولاية الطبسين[1] ونواحى كرمان، وعين إبراهيم ينال واليًا على قوهستان وجرجان[2]، أما طغرلبك فإنه فضلًا عن استيلائه على نيسابور[3]، استطاع أن يضم إلى حوزته مدينة الرى، واتخذها مقرًّا لحكومته[4].

استقر رأى السلاجقة على مكاتبة الخليفة القائم بأمر الله العباسى لينالوا تفويضًا منهم بحكم البلاد التى بسطوا سلطانهم عليها، فأنفذوا إليه رسالة[5] حملها إليه أبو إسحاق

---

(1) الطبسين: من مدن إقليم قوهستان لسترنج، ص399.

(2) الراوندى: ص167، 168، البندارى: ص8، أبو المحاسن: جـ5، ص30.

(3) الراوندى: ص158، البيهقى: ص600 – 604، وفيات الأعيان، جـ2، ص440.

(4) راحة الصدور، ص168.

(5) ومما جاء فيها: نحن معشر آل سلجوق أطعنا دائمًا الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها من قلوبنا، ولقد اجتهدنا فى غزو الكفار، وإعلان الجهاد، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق، قبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم أو جناية وأرسله إلى قلعة كالنجر فى بلاد الهند، فمات بعد أن قضى فى الأسر سبع سنوات، واحتجز كذلك فى القلاع الأخرى الكثير من أهلنا وأقاربنا، فلما مات محمود وجلس مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب فلا جرم إذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم، ولكن مسعودًا وجه إلينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كروفر وهزيمة وانتصار حتى ابتسم لنا الحظ وانحاز إلينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا منه بالغلبة وانكسر مسعود وأصبح ذليلاً، وولى الأدبار تاركًا لنا الدولة والإقبال وشكرًا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر، فنشرنا عدلنا، وإنصافنا على العباد، وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن نكون فى هذا قد نهجنا وفقًا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين".
الراوندى: راحة الصدور، ص166، 167.

الفقاعي[1] تضمنت ولاءهم وتمسكهم بأهداف الدين والجهاد فى سبيل الله وحبهم للعدل، والتمسوا فى ختام رسالتهم اعتراف الخليفة القائم بقيام دولتهم[2].

لما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافة أرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى طغرلبك فى مدينة الرى رسولاً[3] يبلغه سروره ورضاءه برسالة السلاجقة ويدعوه للحضور إلى بغداد[4].

لما عاد السلطان مسعود إلى غزنة فى شوال سنة 431هـ[5] أمر بالقبض على سباشى وغيره من الأمراء[6]، وعين بدلا منهم، وأرسل ابنه الأمير مودود إلى خراسان[7] كما أرسل ابنه الأمير مجدود إلى الملتان لحمايتها ممن ثار بها من الأفغان[8].

كان لهزيمة داندانقان أثرها السَّيئ فى نفس السلطان مسعود حتى إنه عزم على الانسحاب إلى بلاد الهند فيذكر كل من الكرديزي[9] وابن الأثير[10] أن السلطان مسعود سار إلى بلاد الهند ليجمع من هناك جيشًا قويًا يستعين به على قتال السلاجقة واصطحب السلطان معه أخاه محمد[11] مسمولًا[12] وحمل معه الخزائن[13]، فلما عبر نهر سيحون

---

(1) راحة الصدور، ص167، البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص7، 8.
(2) الراوندى: ص167، البندارى: ص7، 8.
(3) هبة الله بن محمد المأمون، الراوندى: ص168.
(4) الراوندى: ص168، 169.
(5) البيهقى، ص705، ابن الأثير: جـ9، ص181.
(6) الكرديزى: زين الأخبار، ص203، ابن الأثير: جـ9، ص181.
(7) بعد أن أعطاه إمارة بلخ وأرسل معه الوزير أحمد بن عبد الصمد وارتكين الحاجب وأربعة آلاف فارس، البيهقى: ص723، زين الأخبار، ص204.
(8) زين الأخبار، ص204.
(9) زين الأخبار ص204.
(10) الكامل: جـ9، ص181.
(11) حيث جيء به من قلعة برغند على بعد ستة أيام من غزنة. البيهقى، ص725، زين الأخبار، ص204.
(12) يذكر البيهقى أن السلطان مسعود أمر بأن يؤتى بأولاد أخيه محمد الأربعة أحمد وعبد الرحمن وعمر وعثمان حيث أكرمهم وخلع عليهم بعد أن استحلفهم بأغلظ الإيمان على الإخلاص فى خدمته وطاعته. البيهقى: ص726.
(13) الكرديزى، زين الأخبار، ص204، ابن الأثير: جـ9، ص181.

واقترب من رباط ماريكله هاجم الجند الموالين لأخيه محمد تلك الخزائن، ونهبوها وعزلوا السلطان مسعود وولوا مكانه أخاه محمد[1]، إلا أن محمدًا أبى قبول الولاية، ثم اضطر إلى إجابة طلبهم كارهًا، وبقى مسعود فيمن معه من العسكر، ثم التقى الجمعان فى منتصف ربيع الآخر سنة 432هـ فاقتتلوا وعظم الخطب، وحلت الهزيمة بعسكر مسعود وتحصن هو فى رباط ماركيله إلا أن محمدًا استطاع أن يقبض عليه وأرسله معتقلاً إلى قلعة كيري[2].

لم يلبث الأمير محمد أن فوض أمر دولته إلى ولده أحمد – وكان مصابًا بخلل فى قواه العقلية – فاتفق مع ابن عمه يوسف بن سبكتكين وابن على خويشاند على قتل مسعود ليصفوا الملك له ولأبيه، وتمكن من الاستيلاء على خاتم أبيه واحتال به على محافظ القلعة فأدخله إلى عمه مسعود فقتله[3] وأنفذ الأمير محمد إلى ابن أخيه مودود بخراسان يخبره بمقتل أبيه[4]، فعاد مجدًّا فى عساكره إلى غزنة، وقامت الحرب بينه وبين عمه محمد فى ثالث شعبان سنة 432هـ وتمكن مودود من هزيمة عمه وقضى على أتباعه[5] وعاد إلى غزنة حيث استقر له أمرها[6].

استمر حكم مودود بن مسعود الغزنوى حتى توفى فى العشرين من رجب سنة 441هـ وخلفه ابنه مسعود الثانى، لكنه لم يبق فى السلطنة سوى خمسة أيام، ثم تقلد السلطنة بعده عمه أبو الحسن على بن مسعود الأول، غير أن عبد الرشيد بن يمين الدولة محمود الغزنوى انتهز فرصة الاضطراب الذى ساد الدولة الغزنوية بعد موت

---

(1) الكرديزى: زين الأخبار، ص204، ابن الأثير: ص181.
(2) زين الأخبار: ص204، 205، ابن الأثير: جـ9، ص181.
(3) الكرديزى: زين الأخبار، ص205. وهناك رواية أخرى أوردها ابن الأثير تفيد بأن محمد استجاب لإغراء ابنه بقتل أخيه مسعود وأرسل إليه من قتله وألقاه فى بئر وسد رأسها. الكامل: جـ9، ص181.
(4) ابن الأثير: جـ9، ص181، 182.
(5) ابن الأثير: جـ9، ص182. يذكر ابن الأثير أن مودود بنى فى المكان الذى انتصر فيه على عمه محم قرية ورباط سماه فتح آباذ.
(6) ابن الأثير: جـ9، ص181، 182.

مـودود ودعا الجند إلى طاعته فأجابوه، وساروا إلى غزنة، ففر على بن مسعود واستقر الأمر لعبد الرشيد[1].

أراد عبد الرشيد الاستعانة بطغرل – زوج أخت مودود وحاجبه – لطرد السلاجقة من خراسان، غير أن طغرل ما لبث أن تآمر ضد عبد الرشيد، وقصد غزنة حتى أصبح على بعد ستة فراسخ منها، وحاول خداع عبد الرشيد مدعيًا أن الجند تألبوا عليه وألحوا فى العودة للمطالبة بزيادة أرزاقهم، وعلى الرغم من اعتصام عبد الرشيد بقلعته فى غزنه، فقد قبض عليه طغرل وقتله (سنة 444هـ) واستولى على بلاده، غير أن هذا العمل من جانب طغرل لم يرض بعض القواد، كما لم يرض نائب الغزنويين فى الهند، على الرغم مما بذله طغرل من جهود فى إغرائه واستمالته إليه. واتصال هذا الوالى بوجوه القواد، وأنكر عليهم قعودهم عن الأخذ بثأر عبد الرشيد، مما أثار حماسة بعض القواد، فدخلوا على طغرل وقتلوه، وولى عرش الغزنويين فروخ زاد[2]، غير أن هذا الأمير لم يسلم من التآمر عليه، إذ لم يلبث أن ثار بعض قواده ومماليكه عليه واتفقوا على قتله، لكنه نجا من تآمرهم بمساعدة بعض أنصاره، ويبدو أن هذا الحادث قد أثر فى نفسه تأثيرًا سيئًا، فلم يطل به العمر وتوفى فى شهر صفر سنة 451هـ[3].

مما تقدم يتجلى لنا كيف أدى ظهور السلاجقة واتساع سلطانهم، وانتصارهم على الغزنويين فى داندانقان إلى انهيار الدولة الغزنوية، وانحلالها نتيجة للنزاع والتنافس بين أفراد البيت الغزنوى؛ الأمر الذى ترتب عليه زوالها على يد شهاب الدين الغورى سنة 582هـ / 1186م[4].

---

(1) ابن الأثير: جـ9، ص208.

(2) ابن الأثير: جـ9، ص217، 218.

(3) ابن الأثير: جـ10، ص2.

(4) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ3، ص183.

المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات العربية:

* ابن أعثم الكوفى (ت 314هـ / 926م) أبو محمد بن أحمد.

- مخطوط الفتوح. الجزء الثانى، معهد المخطوطات العربية – جامعة الدوله العربية رقم 357 تاريخ.

* البلاذرى (279هـ / 892م) أحمد بن يحيى بن جار.

- مخطوط أنساب الأشراف، جامعة بغداد رقم 1636 مصور عن نسخة الدار البيضاء بالرباط رقم 68

* بيبرس الدوادار (ت 725هـ / 1324م) ركن الدين المنصورى.

- مخطوط زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة الجزء الرابع معهد المخطوطات العربية – جامعة الدول العربية رقم 276 تاريخ.

* الذهبى (748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد.

- سير أعلام النبلاء الجزء الخامس معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية رقم 287 تاريخ.

- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام مخطوط بدار الكتب رقم 396 تاريخ.

* سبط بن الجوزى (654هـ / 1257م) أبو المظفر بن قيزوغلى.

- مخطوط مرآة الزمان، دار الكتب المصرية رقم 551 تاريخ.

* السمعانى: عبد الكريم بن محمد.

- الأنساب، مخطوط بمكتبة دار العلوم رقم 8367.

* الصابى: هلال بن الصابى.
- المنتزع من كتابى التاجى فيلم بدار الكتب رقم 235.
* العمرى: ياسين خير الله العمرى البغدادى.
- مخطوط غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد دار السلام مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد رقم 823.
* العينى (ت 855هـ/1451م) بدر الدين محمود.
_ مخطوط عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية رقم 334 تاريخ ومخطوط بدار الكتب رقم 1584م.
* أبو الفدا (ت 732هـ/1331م) إسماعيل بن على عماد الدين.
_ المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسينية 1325ه.
_ تقويم البلدان باريس 1830م.
* النويرى (ت 732 هـ /1332م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب. مخطوط بدار الكتب رقم 551 معارف عامة.

ثانيًا : المصادر العربية :

ابن الآبار (ت 658هـ/1259م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله.
_ إعتاب الكتاب تحقيق د. صالح الأشقر مجمع اللغة العربية دمشق 1961م.
- الحلة السيراء تحقيق د. حسين مؤنس مصر الطبعة الأولى 1961م.
* ابن الأثير (ت 630هـ/1238م) أبو الحسن على بن أبى الكرام.
_ الكامل فى التاريخ بيروت الطبعة الرابعة 1403هـ/1983م.
* الأصفهانى (ت 359هـ/967م) أبو الفرج.
_ كتاب الأغانى (21جزءا) القاهرة 1927م - 1961م.
* الأصفهانى: حمزة بن الحسين.
_ تاريخ سنى ملوك الأرض كلكتة 1866م مطبعة الحياة بيروت 1961م.
* الأزدى (ت 334 هـ/945م) أبو زكريا يزيد بن محمد.
_ تاريخ الموصل تحقيق د. على حبيبة دار التحرير للطبع والنشر القاهرة 1387هـ/1967م.

* الأصطخرى (ت 341هـ/952م) أبو إسحق إبراهيم محمد الفارس.
_ المسالك والممالك ليدن 1870 - 1893م.
* البسوى (ت 277هـ/890م) أبو يوسف يعقوب بن سفيان.
_ المعرفة والتاريخ تحقيق د. أكرم العمرى بغداد 1394هـ/1973م.
* ابن بكار (ت 256هـ/869م) الزبير.
_ الأخبار الموفقيات، تحقيق د. سامى مكى العانى مطبعة العانى بغداد 1972م.
* البندارى (ت فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى).
- مختصر تاريخ دولة آل سلجوق مطبعة الموسوعات 1318هـ/ 1900م.
البيرونى (ت 440هـ/1048م) أبو الريحان محمد أحمد.
_ الآثار الباقية عن القرون الخالية نشر إدوار دسخاو ليبزج 1876م وأعادت طبعة مطبعة المثنى بغداد سنة 1923م.
* ابن تغرى بردى (ت 874هـ/1496م) جمال الدين يوسف.
_ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة دار الكتب 1929 - 1930م.
* الجاحظ (ت 255 هـ /868م) أبو عثمان عمرو بن بحر.
_ التاج فى أخبار الملوك تحقيق د. أحمد زكى المطبعة الأميرية القاهرة 1914م.
_ البيان والتبيين تحقيق د. عبد السلام محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة1949م طبعة أولى.
- التبصر بالتجارة نشره حسن حسنى عبد الوهاب القاهرة 1354هـ/1953م.
* ابن الجوزى (ت 597 هـ /1200 - 1201م) جمال الدين أبو الفرج.
_ المنتظم فى أخبار الملوك والأمم حيدر أباد الدكن 1357هـ/1358م.
الجهيشاوى (331هـ/933م) أبو عبد الله محمد بن عبدوس.
_ الوزراء والكتاب حققه وراجع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى، وعبد الحفيظ شلبى مطبعة البابى الحلبى بمصر.
* ابن أبى الحديد (656هـ/1258م) أبو حامد عز الدين عبد الحميد.
_ شرح نهج البلاغة الجزء الثامن تحقيق / الشيخ حسن آدم قاضى بيروت الشرعى بيروت 1963م مصر 1381م.

* الحسينى (عاش فى القرن السابع الهجرى) على بن السيد أحمد.
_ أخبار الدولة السلجوقية نشر محمد إقبال جامعة البنجاب 1923م.
* ابن حزم (384-456هـ/944-1064م) أبو محمد على.
_ جمهرة أنساب العرب تحقيق د. عبد السلام هارون دار المعارف الطبعة الرابعة.
* ابن حوقل (ت 380هـ/990م) أبو القاسم محمد.
_ صورة الأرض ليدن 1967م.
* ابن خرداذبة (توفى فى حدود سنة 300ه) أبو القاسم عبيد الله.
_ المسالك والممالك ليدن 1889م،1967م.
* الخطيب البغدادى (ت 463هـ/1070-1071م) الحافظ بن أبى بكر.
_ تاريخ بغداد أو مدينة السلام القاهرة 1349هـ/1931م.
* ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) عبد الرحمن بن محمد.
_ مقدمة بن خلدون بيروت 1900م ترجم دى سلان.
_ العبر وديوان المبتدأ (7أجزاء بولاق 1284ه، بيروت 1886م).
* ابن خلكان (ت 681هـ/1271م) شمس الدين أبو عباس.
_ وفيات الأعيان جزآن المطبعة المينية مصر 1310م (8 أجزاء دار بيروت للطباعة والنشر 1385هـ/1996م).
* ابن خياط (ت 240هـ/ 854م)أبو عمر خليفة بن خياط.
-كتاب التاريخ تحقيق د. أكرم العمرى بغداد 1967م.
* ابن الداية (333هـ/941-942م) أبو جعفر أحمد بن يوسف.
_ سيرة أحمد بن طولون نشر فولرز برلين 1894م.
* الدينورى (ت 282هـ/895م) أبو حنيفة أحمد بن داود.
_ الأخبار الطوال تحقيق د. عبد المنعم عامر راجعه د. جمال الدين الشيال أعادت طبعة مكتبة المثنى ببغداد.
* ابن الساعى (ت 674هـ/1275م) على بن أنجب البغدادى.
_ كتاب مختصر أخبار الخلفاء المطبعة الأميرية مصر 1309م الطبعة الأولى.
* ساويرس بن المقفع (توفى أواخر القرن الربع الهجرى العاشر الميلادى).

_ سير الآباء البطاركة الجزء الأول والخامس عشر من مجموعة بباريس 1907، 1910، 1915م patrologia orientalis.
* السيوطى (911هـ/1605م) عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين.
_ تاريخ الخلفاء، القاهرة 1351م.
* أبو شجاع (ت 488هـ/1095م)
_ ذيل تجارب الأمم تصحيح ه.ف أمدرور مطبعة الكردى 1334ه.
* الشهرستانى (548هـ/ 1153م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم.
_ الملل والنحل مصر 1317م.
* الصابى (ت 448هـ/1056م) أبو الحسين هلال بن المحسن.
_ تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء تحقيق د. عبد الستار أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية.
* الصولى (ت 335هـ/946م) أبو بكر محمد بن يحيى.
_ كتاب الأوراق عنى بنشره: هيورث دن مكتبة الصاوى ط1 1934م.
* ابن طباطبا (709هـ/1309م) محمد بن على بن طباطبا.
_ الفخرى فى الآداب السلطانية القاهرة 1923م، 1962م.
* الطبرى (ت 310هـ/940م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى.
_ تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل دار سويدان ـ بيروت.
* ابن عبد ربه (349هـ/940م) أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلس.
_العقد الفريد شرح وتحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، إبراهيم الإبيارى دار الكتاب العربى بيروت7 أجزاء.
* ابن العبرى (ت 685هـ/1286-1287م) جريجوريوس أبى الفرج.
_ تاريخ مختصر الدول تحقيق الأب صالحانى اليسوعى المطبعة الكاثوليكية بيروت1890م.
* العتبى (ت 428هـ/1036م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى.
_ تاريخ اليمينى جزءان القاهرة 1286ه وبه شرح الشيخ المنينى المعروف باسم الفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العتبى.
* ابن العديم (ت 660هـ/1261م) أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد.
_ زبدة الحلب فى تاريخ حلب تحقيق سامى الدهان المطبعة الكاثوليكية بيروت 1370هـ/1951م.

* عريب بن سعد (ت 336هـ/976-977م).
_ صلة تاريخ الطبرى المطبعة الحسينية 1302م.
* ابن عذارى (توفى أواخر القرن السابع الهجرى) أبو عبيد الله محمد المراكشى.
_ البيان المغرب فى أخبار المغرب 3 أجزاء نشر دوزى ليدن 1848-1851م.
* ابن العماد (ت 1089هـ/1678م) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى.
_ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب مكتبة القدسى القاهرة 1350ه.
* أبو الفدا (774هـ/1372م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرش.
_ البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت 1977م.
_ المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسينية الطبعة الأولى ب.ت.
* ابن الفقيه (ت 290هـ/902-903م)أبو بكر أحمد بن محمد.
_ مختصر كتاب البلدان ليدن 1303هـ/1885م.
* ابن قتيبه (279هـ/889م) أبو محمد عبد الله بن مسلم.
_ الإمامة والسياسة جزءان القاهرة 1322ه.
_ كتاب المعارف حققه د. ثروت عكاشة القاهرة 1353هـ/1934م.
* القلقشندى (ت 821هـ/1418م) أبو العباسى أحمد.
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء القاهرة 1913-1917م.
* المسعودى (349هـ/956م)أبو الحسن على بن الحسين.
_ مروج الذهب ومعادن الجوهر القاهرة 1946م.
_ التنبيه والإشراف طبعة دى غويه.
* مسكويه (421هـ/ 1030م) أبو على أحمد بن محمد.
_ تجارب الأمم. تصحيح ونشر ه.ف. أمدروز مطبعة شركة التمدن الصناعية 1332هـ/1914م.
* المقدسى (ت 387هـ/997م) شمس الدين أبو عبد الله.
_ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ليدن 1967م.
* المقدسى (ت 322هـ/933م) مطهر بن طاهر المقدسى.
_ البدء والتاريخ منسوب إلى أبى زيد أحمد بن سهل البلخى مكتبة المثنى ببغداد، مؤسسة الخانجى 1919م.

* المقريزى (ت 845هـ/1441م) تقى الدين أحمد بن على.

_ النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم 1937م.

_ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بولاق 1270ه.

_ السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول من القسم الأول تحقيق/مصطفى زيادة طبعة 1956م.

* ابن منظور (ت 711هـ/1311م) أبو الفضل جمال الدين.

_ لسان العرب طبعة بولاق ب. ت. وطبعة بيروت 1955م.

* مؤلف مجهول (من القرن الحادى عشر الميلادى).

_ نبذة من كتاب التاريخ. عنى بنشرها وترجمتها بطرس غرياز نيوبج دار النشر والآداب الشرقية موسكو 1960م.

* ابن النديم (383هـ/933م) محمد بن إسحاق.

_ كتاب الفهرست جزءان ليبسك 1871م.

* الهمذانى (ت 521هـ/1227م) محمد بن عبد الملك.

_ تكملة تاريخ الطبرى ملحق بالجزء الحادى عشر من تاريخ الطبرى دار سويدان – بيروت.

* ابن الوردى (750هـ/1349-1350م) زين الدين عمر.

_ تاريخ بن الوردى.

* ياقوت الحموى (ت 636هـ/1229م) شهاب الدين أبو عبد الله.

_ معجم البلدان مطبعة السعادة 1906م.

* اليعقوبى: (282هـ/895م) أحمد بن أبى يعقوب.

_ تاريخ اليعقوبى قدم له وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم المطبعة الحيدرية، النجف 1384هـ/1964م وحققه هوتسما بطبعة بريل ليدن 1883م.

_ البلدان. المطبعة الحيدرية النجف 1377هـ/1957م وطبعة ليدن 1309هـ/1891م وطبعة دى غوية 1892م.

ثالثًا: المراجع العربية:

أحمد أمين:
- فجر الإسلام الجزء الأول الطبعة الثالثة 1935م.
أرنولد: (السير توماس):
_ الدعوة إلى الإسلام ترجمة إلى العربية حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى مكتبة النهضة العربية.
بارتولد: فاسيلى فلاديميرج – تاريخ الترك فى آسيا ترجمة أحمد السعيد سليمان مكتبة الأنجلو 1958م.
بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور):
1- ولاية العهد من بداية الدولة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية 1986م.
2- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى 1989م/1410هـ.
3- سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية من قيام دولتهم حتى نهاية القرن الثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى 1418هـ/ 1998م.
4- بنو الفرات فى العراق فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى مكتبة الأنجلو 1987م.
البيلى، محمد بركات (الدكتور):
_ دراسات فى تاريخ الدولة العباسية.
حسن إبراهيم حسن:
_ تاريخ الإسلام السياسى الجزء الثالث الطبعة الأولى الجزء الثانى الطبعة الخامسة 1959م مكتبة النهضة المصرية.
_ تاريخ الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية.
حسن أحمد محمود (الدكتور):
_ الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى. دار النهضة العربية 1968م.
حسين أمين:

_ تاريخ العراق فى العصر السلجوقى بغداد 1965م.

حسين عطوان:

_ الدعوة العباسية تاريخ وتطور بيروت 1984م.

خاشع المعاضيدى:

_ دولة بنى عقيل فى الموصل بغداد الطبعة الأولى.

الخربوطلى، الدكتور على حسنى:

_ الدولة العربية الإسلامية 1958م.

الدورى، الدكتور عبد العزيز:

_ دراسات فى العصور العباسية المتأخرة بغداد 1946م.

زامباور (فون):

_ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة أخرجه زكى حسن وحسن أحمد محمود جزءان القاهرة 1952 - 1953م.

الزركلى، خير الدين:

_ الأعلام الطبعة الثانية – القاهرة.

زيدان، جورجى:

_ تاريخ التمدن الإسلامى (خمسة أجزاء) القاهرة 1902 - 1906م.

سرور، الدكتور محمد جمال الدين:

_ الحياة السياسة فى الدوله العربية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة. دار الفكر العربى الطبعة الرابعة 1393هـ/1973م.

_ تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى دار الفكر العربى الطبعة الرابعة 1396هـ/1976م.

العانى، حسن فاضل زعين:

_ سياسة المنصور أبى جعفر الداخلية والخارجية منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية دار الرشيد1981م.

العبادى، الدكتور أحمد مختار:

_ فى التاريخ العباسى والفاطمى دار النهضة العربية بيروت لبنان.

عبد المنعم ماجد (الدكتور):
_ العصر العباسى الأول.
عبد النعيم حسنين:
_ سلاجقة إيران والعراق مكتبة النهضة المصرية 1959، 1970م.
على حبيبة (الدكتور):
_ العباسيون فى التاريخ مكتبة الشباب مصر 1980م.
عمر كمال توفيق:
_ تاريخ الدولة البيزنطية الهيئة العامة للكتاب فرع إسكندرية.
فاروق عمر:
_ العباسيون الأوائل الجزء الأول بغداد 1977م.
فاميرى (أرمينيوس):
_ تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر. ترجمة أحمد محمود الساداتى مراجعة وتقديم يحيى الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
فان فلوتن:
_ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية. نقله إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن، محمد زكى إبراهيم القاهرة 1934م.
فلهوزن، يوليوس:
_ تاريخ الدولة العربية إلى نهاية الدولة الأموية. ترجمة إلى العربية د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، مراجعة د. حسين مؤنس مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1958، 1968م.
كارل بروكلمان:
_ تاريخ الشعوب الإسلامية. نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير بعلبكى دار العلم للملايين بيروت 1948م.
كريستينسن:
إيران فى عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب القاهرة 1957م.

لسترنج، كى:
_ بلدان الخلافة الشرقية ترجم كوركيس عواد، وبشير فرنسيس، بغداد 1373هـ/1954م.
لين بول (ستانلى):
_ طبقات سلاطين الإسلام ترجمه إلى الفارسية عباس إقبال وترجمه عن الفارسية طاهر مكى مطبعة البصرى بغداد 1968م.
المباركبورى، القاضى أطهر:
_ العرب والهند فى عهد الرسالة. ترجمة عبد العزيز عزت الهيئة المصرية للكتاب 1973م.
متز آدم:
_ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة 1366هـ/1947م.
محمد حسين الزبيدى:
_ العراق فى العصر البويهى.
محمد كرد على:
_ خطط الشام بيروت 1389هـ/1969م.
محمد مختار:
_ التوفيقات الإلهامية دراسة وتحقيق د. محمد عمارة الطبعة الأولى 1400هـ/1980م.

رابعًا: الكتب الفارسية:

بدوانى، عبد القادر بن ملوك شاه:
_ منتخب التواريخ، كلكتة 1868م.
البلعمى:
_ تاريخ طبرى بالفارسية مطبعة نوال كشور الهند 1291هـ.
البيهقى (ت 458هـ/1066م) أبو الفضل محمد بن الحسين:
_ تاريخ مسعودى المعروف بتاريخ البيهقى. ترجمه إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت دار النهضة العربية 1982م.
الجوزجانى، القاضى منهاج سراج الجوزجان:.

_ طبقات ناصرى تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبى فى مجلدين كابل 1342 ش. هـ.
حمد الله المستوفى:
_ تاريخ كزيدة نشر بروان لندن 1910م.
خواند أمير، غياث الدين بن همام الدين:
_ حبيب السير فى أخبار البشر المجلد الثانى بومباى 1857م.
الراوندى، محمد بن على بن سليمان الراوندى:
_ راحة الصدور وآية السرور ترجمه إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطى الصياد.
الكرديزى، (عاش فى القرن الخامس الهجرى) أبو سعيد الحى:
_ زين الأخبار تحقيق د. عبد الحى حبيبى من منشورات إيران.
ناصر خسرو:
_ سفرنامه ترجمه يحيى الخشاب.
النرشجى (ألفه بين سنتى 332-337هـ) أبو بكر محمد بن جعفر النرشجى:
_ تاريخ بخارى وملحق به الفصل الثانى من الباب الرابع لتاريخ كزيدة ترجمة أمين عبد المجيد، ونصر الله مبشر الطرازى دار المعارف .
نظام الملك (485هـ/ 1092م) أبو الحسن بن على:
_ سياسة نامة ترجمة وتعليق د. السعيد محمد العزاوى دار الرائد العربى بغداد.

خامسًا: الدوريات والبحوث:

دائرة المعارف الإسلامية.
_ الدورى، الدكتور عبد العزيز:
_ ضوء جديد على الدعوة العباسية. مجلة كلية الآداب ببغداد العدد الثانى 1957م.
سامية توفيق عبد الله (الدكتورة):
_ الحياة السياسية فى خراسان فى القرنيين الأول والثانى الهجرى. رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة.
طه حسين:
ثورتان مقالة بمجلة الكاتب المصرى العدد الثامن.

على مسعود الشابى.
_ الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى. رسالة دكتوراه كلية الآداب – جامعة القاهرة.
فاروق عمر (الدكتور):
_ الألقاب الإسلامية، مقالة فى مجلة كلية آداب بغداد العدد 13 سنة 1970م.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

1- Ali. M. A: New History of indo – pakestan (Dacca 1970).

2- brown: (Edward g): A literary history of Persia form the earliest times until firdawsi (London 1928).

3- Dozy (R. P. A): Histoire des Musulmans d Espagne 3 toms (Leyden 1932).

4- Gibb. (H): the Arab conquest (London 1928).

5- Guest (B. R.): Action of Abu Muslim. The journal of the Royal Asiatic society (1932).

6- Harold Bowen: the life and time of Ali ibn isa the good vizier (cambridg 1926).

7- Fry: turks. J. A. O. S. (1926).

8- Ibn isfandyar: History of tabaristan (London 1905).

9- Lane poole: Muhammadan Dynasties (Paris 1925).

10- Muir (willian Temple) the caliphate its rise Declin and fall (London 1924).

11- Nicholson (John): Aliterary History of the Arabs (London 1919).

12- Noldeka: sketches form Eastern History of the. (London 1892).

13- Walker: Arara coin of the zang. J. A. O. S

14- Encylopedia of Islam.

15- Encylopedia Br itaunica.

فهرس الموضوعات